وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
كلية التربية / ابن رشد

الظَّوَاهِرُ التَّرْكِيبِيَّةُ
فِي خُطَـبِ نَهْجِ البَلاَغَـةِ

ـ دراسة دلالية تطبيقية ـ

أطروحة تقدَّم بها

حسن هادي نور تاج الدّين الحسيني

إلى

مجلس كلية التربية ـ ابن رشد ـ في جامعة بغداد
وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة
في اللغة العربيّة وآدابها / بلاغة

بإشراف

الأستاذ الدكتور
قحطان رشيد التّميميّ

الأستاذة الدكتورة
عهود عبد الواحد عبد الصّاحب العكيليّ

ربيع الأول 1431 هـ
آذار 2010 م

بسم الله الرحمن الرحيم

5 أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء & تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ &4

صدق الله العظيم

{ إبراهيم/24 – 25}

الإهداء

إلى من بدأ معه عمري ثم رحلت روحه في

الخالدين ... أبي

إلى نبع الحنان ووافر العطاء ... أمي الحبيبة

إلى عنوان الحب وبلسم الجراح ... زوجتي

إلى زهرتي حياتي ... محمد و زينب

أهدي لهم

ثمرة جهدي هذا مع كل الحب

الباحث

تصـــديـــر

كتب القاضي الفاضل

إلى العماد الأصفهاني قائلاً :

((إِنِّي رَأَيتُ أَنَّهُ لاَ يَكْتُبُ إِنسَانٌ كِتَاباً فِي يَوْمِهِ إِلاَّ قَالَ فِي غَدِهِ :

لَوْ غُيِّرَ هَذَا لَكَانَ أَحْسَنَ ، وَلَوْ زِيْدَ كَذَا لَكَانَ يُسْتَحْسَنَ، وَلَوْ قُدِّمَ

هَذَا لَكَانَ أَفْضَلَ ، وَلَوْ تُرِكَ هَذَا لَكَانَ أَجْمَلَ ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ العِبَرِ

، وَهُوَ دَلِيْلٌ عَلَى اسْتِيْلاءِ النَّقْصِ عَلَى جُمْلَةِ البَشَرِ))

بسم الله الرحمن الرحيم

إقـــــــرار المشـــــرفين

نشهدُ أنَّ إعداد هذهِ الأطروحة الموسومة بـ (**الظَّواهِرُ التَّركِيبيَّةُ فِي خُطَبِ نَهْجِ البَلاَغَةِ ـ دراسة دلاليَّة تطبيقيَّة**) التي تقدَّم بها الطالب (حسن هادي نور تاج الدين) قد جرى تحت اشرافنا في قسم اللغة العربيّة بكليّة التّربيّة (ابن رشد) جامعة بغداد. وهي جزء من متطلّبات نيل درجة (الدكتوراه) في اللّغة العربيَّة وآدابها / بلاغة .

التوقيع :

الاسم : أ. د. قحطان رشيد التّميميّ

التاريخ : / / 2010 م

التوقيع

الاسم : أ. د. عهود عبد الواحد العكيليّ

التاريخ : / / 2010 م

، أرشد

التوقيع :

الاسم : أ. د. عهود عبد الواحد عبد الصَّاحب العكيليّ

رئيسة قسم اللغة العربية

(رئيسة لجنة الدراسات العليا)

التاريخ : / / 2010 م

إقـــــــــرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة أننا أطلعنا على أطروحة الطالب (**حسن هادي نور تاج الدين**) الموسومة بـ (**الظَّواهِرُ التَّركِيبيَّةُ فِي خُطَبِ نَهْجِ البَلاغَةِ ـ دراسة دلالية تطبيقية**) وقد ناقشناه في محتوياتها ، وفي ماله علاقة بها ، ونعتقد أنَّها جديرة بالقبول لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربيَّة وآدابها / بلاغة بتقدير ( ) .

رئيس لجنه المناقشه
الاسم: أ.د. علي عبد الرزاق السامرائي
التاريخ: / / 2010

عضو لجنه المناقشه
الاسم: أ.د. أحمد شاكر غضيب
التاريخ: / / 2010

عضو لجنه المناقشه
الاسم: أ.د. عبد الرحمن شهاب أحمد
التاريخ: / / 2010

عضو لجنه المناقشه
الاسم: أ. حذام جمال الدين الآلوسي
التاريخ: / / 2010

عضو لجنه المناقشه
الاسم: أ.م.د. إبتسام عبد الكريم المدني
التاريخ: / / 2010

عضو لجنه المناقشه (المشرف)
الاسم : أ. د. قحطان رشيد التّميميّ
التاريخ : / / 2010

عضو لجنه المناقشه(المشرف)
الاسم : أ. د. عهود عبد الواحد العكيليّ
التاريخ : / / 2010

مصادقة مجلس كلية التربية (ابن رشد)

ابن

الاسم : ا.م.د. حيدر كريم خضير
عميد كلّيّة التّربية / ابن رشد / جامعة بغداد
التاريخ : / / 2010

المحتويات

المحتويات

الموضوع	الصحيفة
المقدِّمة	5 -1
الفصل الأوّل : التّقديم والتّأخير	56 - 6
مدخل :	10 – 7
دلالة تقديم المسند إليه (المبتدأ)	10
في سياق الخبر المثبت .	16 – 10
في سياق الاستفهام .	17 – 16
دلالة تقديم ضمير الشأن .	21 – 17
دلالة تقديم الخبر المفرد على المبتدأ .	22 – 21
تقديم الخبر شبه الجملة (الظّرف أو الجار والمجرور) : على المبتدأ :	22
في سياق الإثبات .	27 – 23
في سياق النّفي .	28 – 27
دلالة تقديم (كل) وتأخيرها :	28
في سياق الإثبات .	29
في سياق النّفي .	30 – 29
تأخير (كل)	31 – 30
تقديم المسند إليه (الفاعل) على الفعل	31
في سياق النّفي .	33 – 32
في سياق الاستفهام .	34 – 33
في سياق الإثبات .	38 – 34
دلالة تقديم المفعول به	38
تقديم المفعول به على الفاعل	39

الموضوع	الصحيفة
في سياق النّفي .	39 – 41
في سياق الاستفهام .	41 – 42
في سياق الإثبات .	42 – 45
تقديم المفعول به على الفعل	45
في سياق النّفي .	45 – 46
في سياق الاستفهام .	46 – 47
في سياق الإثبات .	47
تقديم شبه الجملة	47 – 48
تقديم شبه الجملة على المسند (الفعل)	48
في سياق النّفي .	48 – 49
في سياق الاستفهام .	49 – 50
في سياق الإثبات .	50 – 52
تقديم شبه الجملة (الظّرف أو الجار والمجرور) على المسند (الخبر)	52 - 53
دلالة تقديم شبه الجملة (الظّرف أو الجار والمجرور) على المسند إليه (الفاعل ونائب الفاعل)	53 – 55
دلالة تقديم شبه الجملة (الظّرف أو الجار والمجرور) على المفعول به	55 - 56
الفصل الثّاني : التعريف والتنكير	57 – 131
مدخل	58 – 61
التّعريف	61 – 62
صور التّعريف ودلالاتها	

الضّمير .	62 – 79
العلميَّة .	79 – 84
اسم الإشارة .	84 – 92
الاسم الموصول .	92 – 103
التّعريف بالأداة (ال) .	103- 113

الموضوع	الصحيفة
التعريف بالإضافة .	113-120
التّنكير .	121
مدخل	121
من دلالات تنكير المسند إليه :	
الدلالة على العموم .	122
الدلالة على التفخيم والتّهويل .	122-123
الدلالة على إرادة الجنس .	123-124
الدلالة على الإيجاز .	124-125
الدلالة على إرادة فرد غير معيّن .	125-126
الدلالة على التّعظيم أو التحقير.	126-127
الدلالة على التّكثير أو التّقليل .	127-128
من دلالات تنكير المسند (الخبر)	128
الدلالة على قصد الإخبار بثبوت المسند للمسند إليه .	128
الدلالة على التّعظيم .	129
الدلالة على التّحقير .	129-130
الدلالة على العموم .	131
الفصل الثالث : الفصل والوصل	132-164
مدخل :	133-135
الفصل :	136
كمال الاتصال .	136-141
كمال الانقطاع .	142-

145	
-145 149	شبه كمال الاتصال .
-149 151	الوصل :
-151 152	القصد إلى إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي .
-152 157	اتفاق الجملتين خبراً وإنشاءً مع المناسبة في المعنى .

الموضوع	الصحيفة
الوصل بحروف العطف :	157-161
دلالة الفصل والوصل بين الأخبار والصِّفات :	161-164
الفصل الرّابع : الإطلاق والتّقييد	165-229
مدخل :	166-168
التّقييد بـ (النّواسخ) :	169
التّقييد بـ (إنَّ) وأخواتها .	169-172
التّقييد بـ (كان) وأخواتها .	173-179
التّقييد بـ (النّفي) :	180-190
النّفي بـ (لا) النّافية .	180-182
النّفي بـ (لا) النّافية للجنس .	182-183
النّفي بـ (ليس) .	184-186
النّفي بـ (ما)	186-187
النّفي بـ (لم)	187-188
النّفي بـ (لن)	188-190
دلالة التّقييد بـ (المفاعيل) .	190-198
التّقييد بـ (المفعول به) .	190-192
التّقييد بـ (المفعول المطلق) .	192-195
التّقييد بـ (المفعول لأجله) .	195-196
التّقييد بـ (المفعول فيه) .	196-198

التّقييد بـ (الحال) .	198-202
التّقييد بـ (التّمييز) .	202-203
التقييد بـ (التوابع)	204-215
التّقييد بـ (التّوكيد) .	204-208
التّقييد بـ (النّعت) .	208-213
التّقييد بـ (البدل) .	213-215
التّقييد بـ (الشّرط) .	215-224

الموضوع	الصحيفة
التّقييد بـ (التّوكيد) .	204-208
التّقييد بـ (النّعت) .	208-213
التّقييد بـ (البدل) .	213-215
التّقييد بـ (الشّرط) .	215-224
التّقييد بـ (القصر) .	224
القصر بـ (إِنَّما) .	225-227
القصر بـ (النّفي) و (إِلاَّ)	227-229
الخاتمة .	230-235
المصادر والمراجع .	236-249
ملخص الأطروحة باللغة الانكليزية .	1-3

المُقَدِّمَة

المقدمـــــــة

الحمد لله المنعم على عباده بما هداهم إليه من الإيمان والمتمّم إحسانه بما أقام لهم مَنْ جلّى البرهان فله الشكر على جزيل إحسانه وعظيم مننه ،والصلاةُ والسلام على خير خلقه سيدنا محمد المصطفى وعلى آله الغُرّ النّجباء وأصحابه أهل الصدق والوفى وسلّم تسليما كثيراً .

وبعد.....

فقد كان وراء اختيار هذا الموضوع عنوانا لأطروحتي في الدكتوراه أمران: **الأول**: يتمثل في أنّ تجربتي الأولى لنيل درجة الماجستير كانت حافزاً لي لتناول هذهِ الدراسة إذ لم أتمكن الخروج من تحت مظلة نهج البلاغة، ومحاولة الوقوف على الظواهر البلاغية في نصوصه البليغة والأمر **الآخر**: حرصُ الباحث ورغبته الشديدة في أن يكون ميدان التطبيق نصا متيناً لا يعتوره شيء فكان ذلك نهج البلاغة للإمام علي 8فكلامُهُ جدير بان يستشهد به ؛ إذ يمثل نصاً نثريا ضخما غنيا بالإبداع يعود إلى عصر الاحتجاج مشهود لمنشئهِ بالفصاحة والبلاغة فكان أن استحوذ على تفكيري موضوع ((الظَّوَاهِرُ التَّرْكِيبيَّةُ فِي خُطَبِ نَهْجِ البَلاَغَةِ ــ دراسة دلاليَّة تطبيقيَّة)) وسوف أقتصر على الثنائيات من تلك الظواهر وأقصد بها الثنائيات التركيبية القائمة على علاقة التضاد التي عنى بدراستها علم المعاني والمتمثلة بـ (التقديم والتأخير، والحذف والذكر ، والتعريف والتنكير، والفصل والوصل، والإطلاق والتقييد) وقد ارتأينا أن نتناول في هذهِ الدراسة أربع ثنائيات مستثنين من ذلك ثنائية (الحذف والذكر)؛ إذ عنت بدراستها رسالة مستقلة تحت عنوان (الحذف صوره ودلالاته في كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (γ) للباحث (هادي شندوخ حميد) فقد استوفى الباحث الحديث حول جزئيات هذه الظاهرة : لذا آثرنا عدم تناولها هنا تجنبا للإعادة والتكرار . أمَّا الهدف الأساس من الدراسة فهو الكشف عن بلاغة تلك الظواهر ودلالاتها الفنية والنفسية على وفق منهج بلاغي يقوم على التحليل النصي التطبيقي القائم على المزاوجة بين الدراسة النحوية والدراسة الدلالية والبلاغية في محاولة لاستقصاء حالات الاستعمال اللغوي لكلّ ظاهرة ، ورصد القيم البيانية التي تظهر في الانحراف أو العدول الذي يمثل النسق الدلالي في النص العلوي .

ومن الجدير بالذكر أن أشير هنا إلى أنّني تجاوزت الحديث عن الخطاب العلوي وصاحبه فهما غنيان عن التعريف فضلاً عمّا تناوله الباحث (حيدر احمد حسين الزبيدي) من الحديث عن الخطابة بشكل عام وبلاغة الإمام وخطابته بشكل خاص في رسالته الموسومة بـ((المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (8)))[1] . ولقد كان اعتمادي في استقراء مادة البحث والاستشهاد بالأمثلة وتحليلها على نسخة (شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي) بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ؛ لِمَا انمازت به هذهِ النسخة من الدقة في ضبط المتن والموضوعية والشمولية فضلا عن اعتماد الكثير من البحوث والدراسات العلمية التي تناولت جوانب من نهج البلاغة هذهِ النسخة دون غيرها .

واقتضت طبيعة الدراسة أن تكون على أربعة فصول تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة ثُمَّ ثبتٌ بأهم مصادر البحث ومراجعه .

أمَّا الفصل الأول فكان بعنوان (التقديم والتأخير) ذكرتُ فيه المواضع التي ورد فيها هذا التحول واقفا على الباعث لهذا التغيير معتمداً على السياق في ذلك كُلّه وقد ضمَّ (تقديم المسند إليه (المبتدأ) ، تقديم ضمير الشأن ، تقديم الخبر المفرد على المبتدأ ، تقديم الخبر شبه الجملة (الظرف أو الجار والمجرور) ، تقديم (كل) وتأخيرها، تقديم المسند إليه (الفاعل) ، تقديم المفعول به ، تقديم شبه الجملة) .

وانعقد الفصل الثاني لدراسة (التعريف والتنكير) وقد توزّع على محورين:

درست في الأول منه التعريف وضّم (الضمير، العلم، اسم الإشارة، الاسم الموصول، التعريف بالأداة (ال)، التعريف بالإضافة) . أمَّا المحور الآخر فكان الحديث فيه عن التنكير وشمل(تنكير المسند إليه، تنكير المسند (الخبر)) .

وتعلّق الفصل الثالث بالحديث عن (الفصل والوصل) وقُسِّم على ثلاثة محاور :

تناول الأول منها (الفصل) ، وجاء الحديث في الثاني عن (الوصل) ، وتوقّف المحور الثالث على دراسة (دلالة الفصل والوصل بين الأخبار والصفات) .

أمَّا الفصل الرابع فقد خصص لدراسة (الإطلاق والتقييد) وتضّمن (النواسخ ، النفي ، المفاعيل ، الحال ، التمييز ، التوابع ، الشرط ، القصر) .

ولا يسعني بعد هذا التقديم إلاَّ أن أقف وقفة إجلال وإكبار لأ تقدّم ببالغ الشكر والتقدير لأستاذي الفاضلين المشرفين على هذهِ الأطروحة . الأستاذ الدكتور (قحطان رشيد

1 - ينظر : المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام) : 8 – 16.

التميمي) ، والأستاذة الدكتورة (عهود عبد الواحد عبد الصاحب العكيلي) . اللذين تابعا عملي هذا خطوة خطوة وبذلا جهداً كبيراً في تصحيح ما جاء فيه من هنات مما أجدني عاجزاً عن شكرهما . فجزاهما الله عني وعن العلم وأهله خير الجزاء.

ويلزمني الواجب أيضاً أن أتقدّم بعميق الشكر والامتنان إلى الأخ العزيز الدكتور صاحب منشد عباس على ملاحظاته وتوجيهاته ، والدكتور عبد المطلب محمود سلمان ، والدكتور محمود عبد حمد ، و الأستاذ كاظم داخل جبير.

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر الخالص إلى أمين وموظفي مكتبة كلية التربية/ جامعة المثنى ؛ لما قاموا به من جهد كبير في توفير كثير من مصادر البحث ومراجعه.

وشكري وتقديري لكل من أهدى لي كلمة نصح أو ارشاد أو دعاء وفقهم الله جميعاً .

وأخيراً ..... لا أزعم أنّي قد وفيت البحث حقّه ، غير أنّي أقول :

قد بذلت فيه قصارى جهدي وأخلصت فيه كثيراً ، آملاً في أن يكون عملي هذا مقبولاً عند الله وأهل العلم . فإن كان ذلك فهو من الله فضل ورحمة ، وإن لم يكن فحسبي أنّي سعيت واجتهدتُ ، فالكمال لله وحده عليه توكلت وإليه أنيب . والحمد لله ربَّ العالمين .

الفصل الأول

التقديم والتأخير

المدخـــــل :

التقديم والتأخير ثنائية تركيبية تشغل حيزا واسعا ومجالا رحبا لا يجد له الباحث حدودا تحصرهُ ؛ لتعلق الأمر بآفاق المعنى والدلالة . فتحرر الباحث من القيود المنطقية الضيقة التي وضعها النحويون ومن بعدهم البلاغيون يجعلهُ يرى الكلام كله تقديماً وتأخيراً.

تبرز هذه الثنائية بشكل واضح في اللغات ذات الموقع الحر ، فهي تشكل خصيصة مهمة من خصائص تلك اللغات؛ إذ تمثل ((بؤرة مباحث الأسلوب الدائرة حول التركيب))[1].

وهو ما تمتاز به اللغة العربية من غيرها من اللغات ذلك ((أنَّ الكلمة تحمل معها ما يدل على صيغها الإعرابية ، ومنها أنَّ تقديمها وتأخيرها في الجملة يعطيها وظيفة أخرى ومعنى آخر غير المتمثل في الإعراب)) [2] . لذا عُدّت قديما أسلوبا من الأساليب البلاغية لدى المتكلمين ((أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم))[3]. كما إنَّ فيها دلالة واضحة على ((حسن التصرف في الكلام ووضعه الموضع الذي يقتضيه المعنى))[4].

وتتناول هذه الثنائية ركني الجملة الأساسيين أي المسند والمسند إليه كما تتناول القيود أو متممات الجمل . مما أكسب التركيب ((أهمية خاصة من حقيقة أَنَّه يخضع للطابع الخاص فيما يتعلق بترتيب الأجزاء داخل الجملة)) [5].

يقتضي ذلك أن تكون عناصر الجملة عرضة لتغيير مكانها ضمن بنية السطح محاولة منها للكشف عن مواطن الإبداع والإيحاء في بنية العمق . فمن المعلوم أَنَّ أي تغيير يحدث في ترتيب أجزاء الجملة يؤدي لامحالة إلى تغيير في المعاني المرتبطة في ذهن المتكلم ؛ إذ إنَّ ((مجرد المخالفة ينبئ عن غرض ما)) [6]. هذا يعني أنَّ التغير الحاصل في عناصرالجملة تقديما وتأخيرا لايتم اعتباطا إنّما يحدث ذلك لسبب فـ ((لكل تقديم غرض يتعلق بالمعنى العميق والدلاله البعيدة)) [7]. إنَّ التغير المكاني لأجزاء الجملة جعل من هذه الثنائية مظهرا من مظاهر المرونة التي يوظفها المتكلم ويديرها في تعبيره، بوصفها وسيلة من وسائل الإبانة والبوح عن أفكاره وأحاسيسه وخواطره.

إنَّ ارتباط التقديم والتأخير بعناصر الجملة ونظام ترتيبها يدفعنا إلى ضرورة الوقوف عند قضية على جانب كبير من الأهمية هي قضية (الرتبة) التي تُعدُّ من القرائن اللفظية المعول عليها من قبل النحويين والبلاغيين لتوضيح الدلالة داخل الجملة ؛ لأنَّ ((العبارة

---

1 - نظرية اللغة في النقد العربي : 211
2 - الدلالة الزمنية في الجملة العربية : 25
3 - البرهان في علوم القران : 273:3 .
4 - أساليب بلاغية : 168 .
5 - نظرية اللغة في النقد العربي : 211
6 - اللغة : 188 .
7 - في نحو اللغة وتراكيبها : 92 ، وينظر : نحو المعاني :26

إنَّما تدل على المعنى بوضع مخصوص وترتيب مخصوص ، فإن بدّل ذلك الوضع والترتيب زالت تلك الدلالة))[1].

على هذا الأساس درس النحو العربي ترتيب الجملة العربية وفق منهج معياري قائم على مصطلح (الرتبة) فالمبتدأ يتقدم الخبر في الجملة الاسمية والفعل يتقدم متعلقاته غير أنَّ هذا لم يمنعهم من تقصي حالات العدول عن هذا الترتيب المعياري بما لايخرج الكلام عن جادة الصواب .

ولقد عني علماء البلاغة عناية كبيرة بتتبع دلالات الترتيب ؛ إذ جاء تفسيرهم لسياقات التقديم وفق تصورات ((يعود بعضها إلى المبدع وحركته الذهنية ويعود بعضها إلى المتلقي واحتياجاته الدلالية ، ويخلص بعضها الثالث للصياغة ذاتها على معنى أَنَّها من طبيعتها المثالية))[2].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ أهم ما يشد انتباه الدارس لنظام ترتيب الجملة هو ((طبيعة الاحتمالات القائمة في بنية التراكيب؛ لأنَّ ضياع (الاحتمالات) يشد الصياغة إلى جبرية تناسب وظيفتها اللغوية لا وظيفتها البلاغية)) [3]. وهذا ما اصطلح عليه النحويون بـــــ (التقديم الجائز) و(التأخير الجائز).

إنَّ مقتضيات الحال والمقام هي التي تلجئ المتكلم إلى التلاعب في مواقع الكلمات داخل الجملة ، فالحالات والمواقف التي يكون عليها المتكلم هي التي تفرض عليه أن يكسر حصار السياق المثالي الذي افترضه النحويون فيقدم ويؤخر حتى يتوافق ذلك والمقام ومقتضى الحال ((من خلال عوامل نفسية تكتنف عملية التخاطب كتشويق السامع أو للتفاؤل أو للتلذذ)) [4]؛ إذ تصبح تلك التحولات في عناصر الجملة ((بمثابة منبهات فنية يعمد اليها المبدع لخلق صورة فنية)) [5] .

وقد كان التقديم والتأخير موضع اهتمام الدراسات النحوية والبلاغية وعنايتها . قال عنه عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) ((هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لايزال يفتر لك عن بديعه ، ويفضي بك إلى لطيفه ، ولاتزال ترى شعرا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ، أن قدم فيه شيء ، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان)) [6]. كما أشار إلى أهميته في التأثير النفسي في المخاطب من حيث التمهيد في بداية الكلام لما يأتي بعده بقوله: ((إنه ليس إعلامك الشيء بغتة مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له))[7] .

---

1 - منهاج البلغاء وسراج الأدباء : 179 .
2 - البلاغة العربية – قراءة أخرى - : 238 .
3 - المصدرنفسه - : 237
4 - البلاغة والأسلوبية: 201
5 - المصدر نفسه .
6 - دلائل الإعجاز: 142.
7 - المصدر نفسه: 167-168

وقد أشار سيبويه (ت180 هـ) إلى أن الغاية من التقديم هي العناية بالمتقدم والاهتمام به إذ يقول عن العرب ((يقدمون الذي بيانه أهم لهم ، وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم)) [1]. غير أنَّ هذا التعليل لم يرق لعبد القاهر الجرجاني ولم يقف عنده بل تجاوزه إلى ضرورة بيان وجه العناية والأهمية فيقول : ((وقد وقع في ظنون الناس أَنَّهُ يكفي أن يقال : إنَّهُ قُدِّم للعناية ولانَّ ذكره أهم من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية ، ولِمَ كان أهم))[2]

وهكذا أضحت ثنائية التقديم والتأخير ملمحا بارزا من ملامح كثيرة تكشف عن قدرات وطاقات تعبيرية خلاقة للمتكلم يديرها إدارة واعية ، فيطوعها تطويعا ينسجم وما يجول في ذهنه من أفكار وما يخطر في باله من أحاسيس ، وهو يقوم هنا بعملية زحزحة الألفاظ في هندسة بناء العبارة بطريقة فنية رائعة ((وهذه الفنية المتشابكة مع حسه الشعوري واللاشعوري هي التي تتدخل في التركيب اللغوي للعبارة))[3]. وبذلك تمثل هذه الثنائية سمة من سمات الجمال في كلام العرب، لما لها من قدرة على استكناه المستوى الدلالي في التركيب النحوي .

وإذا كانت خطب الإمام علي (8) هي محور هذه الدراسة فإننا نعرض لأبرز أنماط التقديم والتأخير فيها ، وما يتبعها من قيم إبداعية وفنية أثرت النص.

دلالة تقديم المسند إليه (المبتدأ) :

في سياق الخبر المثبت :

إنَّ الأصل في مرتبة مبتدأ الجملة الاسمية التقديم على خبره [4] ؛ لأنَّهُ أوُل شيء يتبادر إلى ذهن المتلقي أو السامع ، فهو المحكوم عليه ، والمحكوم عليه سابق للحكم . وقد دفع هذا الأمر دارسي اللغة والبلاغة إلى التأمل في ركني الجملة الاسمية ما جاء منهما على الأصل أو ما أزيل عنه ، فهناك كلام حقّهُ التقديم على الأصل الذي بني عليه ، وله مقاصد لغوية وبلاغيه تعود ((للصياغة ذاتها على معنى أنَّه من طبيعتها المثالية)) [5] معنى هذا أنَّ التزام الأصل المثالي في التقديم والتأخير لعناصر الجملة يعود أيضا إلى أغراض بلاغية تفهم من السياق هي :

1 - الكتاب: 1/ 34.
2 - دلائل الإعجاز : 144
3 - أساليب المعاني في القران :307
4 - ينظر : شرح الكافية : 1/ 201 ، معاني النحو :137/1
5 - البلاغة العربية – قراءة أخرى - : 238

الدلالة على كونه أصلا ولا مقتضى للعدول عنه :

إذا أراد المتكلم أن يفيد السامع حكما ما ، فأي لفظ يدل على ذلك الحكم فالأصل فيه التقديم ، ولا مقتضى للعدول عنه ، فيأتي تقديمه في النطق نتيجة لذلك ؛ لأنَّ ((ترتيب الألفاظ في النطق لايكون إلاَّ بترتيب المعاني في الذهن)) (1)

من ذلك ما جاء في خطبة له 8 إذ يقول : (أَوّلُ الدّينِ معرفتُهُ ، وكَمَالُ معرفتِهِ التّصديقُ بِهِ ، وكَمَالُ التّصديقِ بِهِ توحيدُهُ ، وكَمَالُ توحيدِهِ الإخْلاَصُ لَهُ ، وكَمَالُ الإخْلاَصِ لَهُ نفيُ الصّفاتِ عَنْهُ) (2). قدم المسند إليه (المبتدأ) خمس مرات متمثلا بـ (أوّلُ الدّينِ ، كمالُ معرفته ، كمالُ التّصديق ، كمالُ توحيدِهِ ، كمالُ الإخلاصِ) فهذه الأمور أول شيء يتبادر إلى الفهم ؛ فقد اراد الامام بتقديمه هذا أن يحكم أن الانسان إذا أراد أن يدخل في رحاب الدين فأول خطوة التعرف على ذلك الدين فلو قال الامام : (معرفة الدين أ,له) لما كانت العبارة صائبة ؛ لأن هناك من يتعرف على الدين ولكن ليس بقصد الدخول فيه ، وقد يكون الغرض من ذلك المحافظة على تماسك السياق وترابطه عن طريق عطف هذه الجمل المتتابعة بعضها على بعض مما يؤدي إلى تسلسل الأفكار وتتابعها في أذهان المخاطبين .

ومنه قوله 8: (أَمْرُهُ قَضَاءٌ وحِكْمَةٌ ، ورِضَاهُ أَمَانٌ ورَحْمَةٌ)(3) قدم المبتدأ (أمرُهُ) ، (رِضَاهُ) ؛ لأنَّ التقديم أصل فيه . فضلا عن أنَّ ذكره يعمل على تمكين الخبر في ذهن المتلقي مما لايدع مجالا للشك أو الحيرة في ذلك ، فالأول متعلق بقدرته تبارك وتعالى ، والآخر متعلق بطاعة العبد لربه التي تعود عليه – بلا شك –بالرحمة والأمان . فضلا عن أَنَّ وروده على الأصل قد حافظ على تنغيم العبارة المتأتي نتيجة التقسيم الموسيقي في:

أمره قضاء وحكمة
رضاه أمان ورحمة

ومنه كذلك قوله 8: (فإنَّ المَرْءَ المُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إذا ذُكِرَت ويُغرَى بهَا لِئَامُ النَّاسِ ، كَانَ كالفَالِجِ 4) الياسِرِ الذي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لَه المَغْنَمَ ويُرْفَعُ عَنْهُ بِهَا المَغْرَمُ) (5)جاء تقديم اسم إنَّ (المرءَ المُسْلِمَ) الذي كان مبتدأ و وصفه لأنه الأصل ولا مقتضى للعدول

1 - المعاني الثانية في الأسلوب القرآني : 117
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد :92/1 .
3 - المصدر نفسه : 9 /171 .
4 - الغالب في قماره ، وقد فلج أصحابه وعلى أصحابه إذا غلبهم لسان العرب مادة (فلج): 10/ 315 .
5 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد 1/ 286 .

عنه كما يحمل في طياته معنى آخر هو النصح والتوجيه المتضمن معنى التنفير والترغيب[1]

الدلالة على الاهتمام والعناية بالمتقدم :

قال 8: (والحَكَمُ اللهُ والمَعْوَدُ إليه يَوْمَ القِيامَةِ)[2] قُدِّم المبتدأ (الحَكَمُ) لأنَّهُ المعني بإبراز الدلالة المتمثلة في الاهتمام والعناية به ، وقد يكون الغرض من التقديم التأكيد على اختصاص الحكم بالله وحده سبحانه ﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [3] ، جاء ذلك في سياق التظلم والتشكي منه 8.

ومن أمثلته ما جاء في خطبة له تختص بذكر الملاحم إذ قال 8 : (ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ المُعْطَى أعْظَمَ أجْرَاً مِن المُعْطِي)[4] قُدّم المبتدأ (المُعْطَى) الواقع اسما لـ (يكون) ؛ لأنَّه الأولى بالاهتمام والعناية ؛ وإنّما جاء المُعْطَى أعظَمَ أجْراً من المُعطِي؛ لأنَّ هناك من يعطي ويتصدق فيكون ماله مشوبا بالحرام فيقل أجره أَمَّا المُعطَى فقد يكون فقيرا مستحقا لذلك المال فيأخذه لسد حاجته دون أن يبحث عن أصله أحرام هو أم لا . [5] كما نلحظ أنَّ المفارقة في المعنى قد تمت بين (المُعْطَى / المُعْطِي) بوساطة التناغم الموسيقي الذي أحدثه جناس الحركات ؛ إذ عمد الإمام عليه السلام من خلاله إلى((خلق مواءمة تعبيرية بين موسيقى اللفظ ودلالته))[6] مما عزز الدلالة في النص .

ومن قوله 8 : (إنَّ الوَفَاءَ تَوْءَمُ الصِّدْقِ) [7]تمَّ تقديم المبتدأ (الوفاء) لغرض الاهتمام والعناية به ؛ لأنَّ الكلام إنَّما سيق لأجله ، كما أفاد دلالة تمكين الخبر في أذهان المتلقين عن طريق توثيق صلة الوفاء بالصدق ؛ إذ لا وفاء بلا صدق ولا صدق بلا وفاء . ومنه كذلك قوله 8 : (إنَّ أكْرَمَ المَوْتِ القَتْلُ)[8] انصب الاهتمام والعناية في الجملة على تقديم المبتدأ (أكرم الموت) ليدل على أنَّه المحور الذي يدور حوله الحديث ، ويتجه إليه بالخبر ، وقد أسهم التقديم في

1 - ينظر أمثلة أخرى ، المصدر نفسه : 5/ 5 ، 6 / 139 ، 170 ، 9 / 90 ، 124 .
2 - المصدر نفسه: 9 / 185
3 - البقرة / من آية 113
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 13 /72 .
5 - ينظر المصدر نفسه : 13 / 73
6 - الأسلوبية الصوتية (بحث)/ 75
7 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 2 / 245
8 - المصدر نفسه: 7 /243 .

تقوية حضور المسند إليه في ذهن السامع عن طريق تأكيده مما زاد من الشعور بأهميته في مقام الترغيب بالجهاد [1].

الدلالة على التعظيم والتنويه :

جاءت هذه الدلالة في مواضع كثيرة، لاسيما في مقدمات خطبه، فكثير ما يفتتحها بقوله 8: (الحَمْدُ لله) على النسق المعهود في بناء الخطبة . من أمثلته قوله 8 (الحمدُ لله المُتَجَلِّي لِخَلقِهِ بِخَلقِهِ والظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِم بِحُجَّتِهِ)[2].فتقديم المبتدأ (الحَمْدُ) إنّما جاء للدلالة على إظهار عظمة الله تعالى والتنويه بمنزلته. ومنه قوله 8 : (الحَمْدُ لله الدَّالِ عَلَى وجُودِهِ بِخَلْقِهِ،وبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أزلِيَّتِهِ)[3] فهذه النماذج وغيرها إنّما وردت للدلالة على التعظيم والتنويه في مقام تعدد صفات الله عز وجل فهو المحمود على كل شيء. وقد يغاير الإمام 8 هذا النمط اللغوي فيعمد إلى افتتاح خطبه بنمط لغوي آخر يحمل الدلالة نفسها كمافي قوله γ :(الحَمْدُ للهِ الذي لاَ يَضُرُّهُ المَنْعُ وَالجُمُودُ ، وَلاَ يُكْدِيهِ الإعْطَاءُ وَالجُودُ) [4] نلحظ أنَّ سياق التركيب يحمل دلالة التعظيم بتقديمه المبتدأ (الحَمْدُ) وقد أسهم في تأكيد هذا المعنى وإبرازه في النص التقابل الذي أنتج تضادا دلاليا بين تكامل الله جل وعلا في جميع أحواله وهو ما أضفى جمالا فنيا على مستوى العبارة ، ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أنَّ المقام هنا يختلف عن المقام الأول الذي وردت فيه ، فالأول يشير إلى تعدد صفات الله ، أمّا الأخير فيشير إلى وصف ذات الله تبارك وتعالى ؛ لذا نلمح معه دلالة أخرى هي الذم للعباد عن طريق التعريض . ومن أمثلته قوله 8 في خطابه مع الله جل وعلا: (أَنْتَ الأبَدُ لاَ أَمَدَ لَكَ ، وَأَنْتَ المُنْتَهَى فَلاَ مَحِيْصَ عَنْكَ ، وَأَنْتَ المَوْعِدُ فَلاَ مَنْجَى مِنْكَ إلاَّ إلَيْكَ)[5] أفاد تقديم المبتدأ المتمثل في تكرار الضمير (أنت) الدلالة على التعظيم في معرض المدح والثناء لله تبارك وتعالى عن طريق تعداد صفات الذات الإلهية ، ونلحظ أنَّ تقديم المبتدأ لم يقتصر على هذا المعنى فحسب ، بل تعداه إلى تخصيص المسند إليه المقدم بالمسند المؤخر . وتظهر هذه الدلالة بوضوح في مقامات الفخر في تركيب لغوي يجيء المبتدأ فيه بصيغة الضمير المعظم نفسه كما في

1 - ينظر أمثله أخرى، المصدر نفسه :1 / 253، 6 / 183، 309، 8 / 6، 91 / 9 / 160، 175، 178، 11 / 68، 109، 112.
2 - المصدر نفسه: 7 / 142 .
3 - المصدر نفسه : 9 / 113 ، وينظر : 6 / 304 ، 7 / 52 ، 66 ، 100 ، 195 ، 9 / 194 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 6 / 309.وينظر: 1 / 81 ،2 / 163 ،3 / 119 ،157 ،169 ،5 / 124 ،6 / 191 ،7 / 135 ،9 / 140 ،160 ، 10/ 62 ، 71 .
5 - المصدر نفسه: 152/7 ، وينظر : 26/7 .

قولـه 8 : (نَحْنُ الشِّعَارُ[1] والأَصْحَابُ ، وَالخَزَنَةُ والأَبْوَابُ)[2] فأفاد بذلك تقديم المبتدأ (نحن) المبالغة في تعظيم الأمر وتفخيم شانه ، كما أفاد دلالة التوكيد .

دلالـــــة المدح :

مـن ذلـك قولـه 8 لأصـحابه : (وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ[3] العَرَبِ والسَّنَامُ الأَعْظَمُ) [4] جـاء المبتـدأ الضمير (أنتم) مقدما على خبره الاسمي(لهاميم العرب والسنام الأعظم) مع إمكان تقديم الخبر عليه للدلالة على اختصاصهم بهذه الصفات ((وهي كونهم أجود العرب والسنام الأعظم واستعار لهم لفظ السنام لمشاركتهم إيّاه في العلو والرفعة))[5].

جاء ذلك في معرض المدح لهم ، وهو مايتلاءم وجو الخطبة العام المتضمن حث أصحابه واستنهاضهم للقتال . فمدحه إيّاهم بتقديم ذكرهم أدعى لتحريك نفوسهم وشحذ هممهم. ومن النصوص التي استقبلت دلالة المدح ما جاء في خطبة له يصف فيها المتقين إذ يقول : (مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ ، وَمَلْبَسُهُمُ الاقْتِصَادُ ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ) [6]

لقد وردت هنا ثلاث جمل متتابعة معطوفة على بعضها ، في نسق لغوي حافظ فيه على أصله المثالي في ترتيب عناصره ؛ إذ أفاد تقديم المبتدأ في هذه الجمل الثلاث (منطقهم، ملبسهم، مشيهم) اختصاص المتقين بهذه الصفات دون غيرها ؛ لبروزها فيهم ، فهم مصيبون في قولهم ، وأنَّهم مقتصدون في لباسهم بلا مضاهاة ومباهاة ، وأنَّهم يمشون متواضعين من غير تبختر أو خيلاء ، وهذه بحق صفات أهل الفضائل ؛ وذلك في معرض مدحهم . ومنه كذلك قوله 8 : (إِنَّ المُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ ، إِنَّ المُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ ، إِنَّ المُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ)[7] بعد كلام طويل وصف فيه الإمام 8 رجلا من أهل الضلال، ختم خطبته بهذه العبارة التي ذكر فيها صفات المؤمنين ، إذ قُدِّم المبتدأ (المؤمنين) الواقع اسما لـ (إنَّ) في هذه الجمل الثلاث لغرض لفت انتباه المخاطبين إلى مكانة المؤمنين ، فتكرار العبارة ثلاث مرات جاء ليبين لنا الجانب الآخر من الناس وهم (المؤمنون) فهم مستكينون بخضوعهم واستسلامهم لله ، ومشفقون خائفون من عذابه ، وأتى التكرار الثالث مؤكدا لما

1- وهو ما ولي شعر جسد الانسان دون سواه من الثياب ، ويقصد به الخاصة والبطانة والموصوف بالمودة
والقرب . ينظر: لسان العرب مادة (شَعر)
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 127/9 ، وينظر : 7/ 170 ، 83/8 ، 100 ، 9/ 90 ، 13 /147 .
3 - جمع (لُهْمُوم) الجواد من الناس والخيل . لسان العرب مادة (لَهَمَ) : 12 / 345 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 8 / 6 .
5 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 3 / 161 .
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 10 / 104 .
7 - المصدر نفسه 9 / 124 وينظر : 7 / 52 ، 221 ، 9/ 182 ، 13 / 237

سبقه من صفات ؛ لأنَّ ((التأكيد مطلوب في باب الخطابة))[1] ومما ساعد على إفادة المعنى وتقويته مجيء الخطاب بصيغة الجملة الاسمية ليفيد ثبوت هذه الصفات ، من أجل إيصال المعنى وتقريره في أذهان المخاطبين في معرض المدح ، ونلحظ أن التكرار قد أشاع جوا موسيقيا تمثل في تساوق صوت (النون) في نهايته مع صوت النون الذي ختمت به الفواصل الثلاث مما خلق إيقاعا يبعث على الرهبة والخشوع.

الدلالة على الذم:

وهذه الدلالة كثيرة الشيوع في خطب نهج البلاغة ، بل في عموم نهج البلاغة ، وتشيع هذه الدلالة في موضوعين اثنين هما : حديثه عن الدنيا . والآخر: حديثه عن أصحابه وعموم الناس .

قال 8 يصف الدنيا : (فإنَّ الدُّنيا رَنِقٌ 2) مَشْرَبُهَا ، رَدِغٌ 3) مَشْرَعُهَا يُونِقُ مَنْظَرُهَا ، وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا) [4] فقد قدم المبتدأ (الدنيا) للدلالة على استصغار شأنها وذمّها ولأنَّها محور الحديث والذّم ؛ كما أراد التحذير من هذه الدنيا التي في ظاهرها الرحمة ، وفي باطنها العذاب ، وذلك عن طريق مابّين لها من صفات ، كما نلمح في هذه العبارة التوازن الصوتي الذي تمثل في سجع فواصلها أضف إلى ذلك الجناس المصحف الذي وقع بين (يونق ، يوبق) بتصحيف بين (النون والباء) .

ومن أمثلته قوله 8 : (أَنْتُم شِرَارُ النَّاسِ ، وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ ، وَضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ) [5]

قدم المبتدأ (انتم) ليكون محورا يدور حوله الخبر (شرارُ الناس) ردا عليهم ودفعا لما قد يدور في أذهانهم بأنهم خيار الناس – كما يزعمون – وسبب ذلك هو اتباعهم الشيطان حتى أصبحوا أداة بيده يرمي بها ويضرب كل ذلك جاء في معرض الذم والتحقير لهم .

تقديم المبتدأ في سياق الاستفهام :

جاء تقديم المبتدأ في سياق الأسلوب الاستفهامي قليلا في خطب نهج البلاغة إذ تم فيه تسليط الاستفهام – سواء أكان حقيقياً أم إنكاريا أم تقريريا – على الاسم (المبتدأ)

---

1 - المصدر نفسه : 9 / 126 .

2 - الرَّنق تراب في الماء من القذى ونحوه ، .... ،ماء رَنْق بالتسكين أي كدر لسان العرب مادة (رنق) 5 / 333

3 - الرَّدغ والرَّدَغَة والرَّدْغَه بالهاء الماء والطين والوحل الكثير الشديد الفتح عن كراع.لسان العرب مادة (ردغ) : 5 / 189 .

4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 6 : 195 ، وينظر : 2 /74 ، 5 / 114 , 6 / 300 ، 7 / 178 ، 10 /49

5 - المصدر نفسه: 91/8 ، وينظر : 248/1 ، 269 ، 279 ، 136/5 ، 91/8 ، 72/9 ، 168، 222

ليكون محورا رئيساً تتمركز حوله معاني الاستفهام المنبثقة عن ظروف الحال والمقام ، فمن المعلوم أنَّ الذي يلي أداة الاستفهام هو محط الشّك والسّؤال عنه .

من ذلك قوله 8 : (أَفَلاَ تَأْتِبُ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبلَ مَنِيَّتِهِ ؟ أَلاَ عَامِلٌ لِنَفسِهِ قَبلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ ؟)[1] جاء تساؤله عليه السلام ممزوجا بنبرة التأنيب والتوبيخ لأولئك الذين لايتوبون من ذنوبهم ، ولا يعملون لأنفسهم ؛ وذلك بجعله كُلاًّ من المبتدأ (تائب) والمبتدأ (عامل) محورين من محاور المعنى فقدمهما في سياق استفهامي تتقدمه همزة الاستفهام تعقبها أداة النفي (لا) ليدل على أنَّ التوبيخ والتنبيه مختص بهما فضلا عن التنكير الذي يفيد العموم وإيقاع (تائب) و(عامل) الذي جاء على وزن (فاعل) ومنه كذلك قوله 8 (وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُم أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً ، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً) [2] سلك الإمام 8 طريق الاستفهام بـ (هل) ليبتعد عن التقرير محاولة منه 8 لإثبات رأيه جاعلا منه حقيقة لا مجال للشك فيها فيكون ذلك أشد لنفي الخبر وأكثر تاكيداً لصحته ، وذهب البحراني إلى أنَّ سؤاله لهم إنّما جاء على سبيل الإنكار [3]. ويبدو لي إن دلالة النفي أقرب إلى سياق الكلام من دلالة الإنكار ، فكثيراً ما تأتي (هَلْ) للدلالة على النفي .

ومنه قوله 8 لأحد أصحابه وهو يعوده لما رأى من سعة داره : (أَمَا أنتَ إليهَا فِي الآخِرَةِ كُنتَ أَحْوَجَ) [4] قدم المبتدأ (أنت) في سياق استفهامي تسبقه همزة الاستفهام تليها أداة النفي (ما) ليشير بذلك إلى إثبات الأمر وتقريره ، ونلحظ أيضا في هذا الاستفهام غصة عتاب موجهة إلى صاحبه

دلالة تقديم ضمير الشأن :

من أنماط تقديم المبتدأ في سياق الخبر المثبت ، تقديم ضمير الشأن والقصة ؛ لما له من موقع حسن في الجملة الاسمية ، إذ يتقدم جملته فيكون كناية عنها ، ويكون الكلام الذي يعقبه مفسرا له ، فهناك قسم من الضمائر يفسره ما قبله ، وآخر يفسره ما بعده ، وقد أشار إلى ذلك ابن عصفور (ت 669 هـ) بقوله : (فالذي يفسره ما بعده ينقسم أيضا إلى قسمين ، قسم يفسره المفرد وقسم تفسره الجملة ، فالذي تفسره الجملة ضمير الأمر والشأن والقصة .)) [5]

ولا يجيء هذا الضمير إلاَّ في سياق خطاب الغائب لا الحاضر ؛ لذا يكون ما بعده موضحا ومفسرا له ، جاء في شرح التصريح : ((ولا يكون ضمير الشأن لحاضر ، وإنّما يكون

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 74/2
2 - المصدر نفسه : 62/2
3 - ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 2/ 58
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 27/11 .
5 - شرح جمل الزجاجي : 2 /98

ضمير غيبة مفسرا بجملة بعده خبرية مصرحة بجزأيها، فإن كان بلفظ التذكير سمي ضمير الشأن ، وإن كان بلفظ التأنيث سمي ضمير القصة ، وقد يسمى بهما)) [1]

إن التزام المتكلم تقديم ضمير الشأن على الجملة التي تعقبه يجعل المتلقي أو المخاطب في حاله ترقب لما تؤول إليه هذه التوطئة من أمر يكون ذا شان عظيم ، ويعلل السكاكي(ت626 هـ) هذا الالتزام قائلا : ((وذلك أَنَّ السامع متى لم يفهم من الضمير معنى ، بقي منتظرا لعقبى الكلام كيف تكون ، فيتمكن المسموع بعده فضل تمكن في ذهنه وهو السر في التزام تقديمه)) [2]

أما الغرض من تقديمه فغالبا ما يقصد إليه المتكلم للدلالة على المبالغة في تعظيم الأمر وتفخيم شأنه ، وقد صّرح بهذا العلوي (ت749 هـ) إذ يقول : ((إنَّ ضمير الشأن والقصة على اختلاف أحواله إنَّما يرد على جهة المبالغة في تعظيم تلك القصة وتفخيم شأنها وتحصيل البلاغة فيه من جهة إضماره أولاً وتفسيره ثانيا ؛ لان الشيء إذا كان مبهما فالنفوس متطلعة إلى فهمه ولها تشوق إليه)) [3] وأضاف عبد القاهر الجرجاني غرضا آخر له هو التوكيد [4].

وذُكِرَ أَنَّ السر البلاغي في استلزام ضمير الشأن والقصة لصدر الجملة ((هو التفصيل بعد الإجمال ، والبيان بعد الإبهام ؛ وذلك أَنَّ الضمير يدل على معناه دلالة يشوبها الإبهام والإجمال ، والجملة التي تلي الضمير – وهي جملة الحال والشأن – تدل على هذا المعنى بوضوح وبيان،والبيان بعد الإبهام أوقع في النفس وأليق بمكان المدح والذم))[5]

ومن ذلك ما جاء في مقام بيان صفات الله عزّ وجلّ إذ يقول 8 : (هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ) [6]. وقوله : (هُوَ الْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا حَتى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا)[7].

صدرت هذه الجمل الثلاث بضمير الشأن (هو) إيذانا بفخامة مضمونها الدال على عظمة الله تعالى فضلا عن تمكين المعنى في ذهن السامع وترسيخه وتثبيته فبسماع المتلقي لهذه الجمل المبينة لما في الضمير من الغموض يتقرر المعنى في نفسه .

---

1 - شرح التصريح : 1 /162 – 163 ، وينظر : شرح الكافية : 3 /68 ، والتطور النحوي: 91
2 - مفتاح العلوم : 294 – 295 .
3 - الطراز : 270 ، وينظر : دلائل الإعجاز : 168 ، شرح المفصل : 65/2 شرح الكافية : 68/3 ، البرهان في علوم القران : 2 /41
4 - ينظر : دلائل الإعجاز : 168
5 - المعاني في ضوء أساليب القرآن : 250 .
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 13 /67
7 - المصدر نفسه ، الصحيفة نفسها . وينظر :1/ 286 ، 6 / 306 ، 7 / 135

وأحيانا يتصدر ضمير الشأن الجملة ليتضمن معنى تفصيل ما أجمل أو توضيح ما أبهم ، من ذلك قوله 8 في مقام تعظيم القرآن وبيان منزلته : (واعلَمُوا أنَّ هَذا القُرآنَ هُوَ النَّاصِحُ الذي لاَ يَغشُّ ، والهَادِي الذي لاَ يَضِلُّ والمُحَدِّثُ الذي لاَ يَكذِبُ) [1] .

أجمل الإمام الحديث عن أهمية القرآن بالإخبار عنه بجملة اسمية يتصدرها ضمير مبهم (هو) ثم فصّل ذلك الإجمال بأن ذكر له ثلاث صفات عن طريق التشخيص الذي قام بوظيفة مهمة في إظهار المعنى بوساطة الاستعارة إذ أضفى على المستعار له (القرآن) صفات الكائنات الحية بدلالة القرآئن الثلاث (الناصح) ، (الهادي) ، (المحدِّث) وهي أفعال لا يقوم بها إلاّ الإنسان فقد شبّه ما يضّمه القرآن من كلمات مقدّسة تنصح قارئها وسامعها بإنسان يحثه إيمانه وتقواه على ابداء النصح والهداية لكل من يطلبها بلا غش أو خداع ، وذلك لتوضيح المعنى في ذهن المخاطب .

ومنه قوله 8 في وصف الملائكة:(هُم أعلَمُ خَلقِكَ بِكَ،وأخْوَفُهُم لَكَ،وأقرَبُهُم مِنْكَ) [2] تم أجمال المعنى بتصدير الجملة ضمير الشأن (هم) ليثير في نفس المخاطب حالة من الترقب والانتظار لمعرفة ما يأتي من كلام ، فإذا به يمكّن المعنى في ذهن المخاطب عن طريق التفصيل والتوضيح بأن نسب إلى هذه الكائنات النورانية ثلاث صفات هي (العلم ، والخوف ، والقرب)

ومنه كذلك قوله 8 في النبي (9) : (فَهُوَ أمِينُكَ المَأمُونُ وخَازِنُ عِلمِكَ المَخزُونِ ، وشَهِيدُكَ يَومَ الدِّينِ)[3]

فالضمير (هو) يعود على شخص النبي الأكرم (9) المتقدم ذكره في الخطبة التي تناول فيها كيفية الصلاة عليه كما تناول تعداد صفاته ؛ وذلك في معرض المدح له . ومن أمثلته في مقام الارشاد والتحذير قوله 8 في الدنيا :(وَلَهيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ البَلاَءِ بِجِسمِكَ والنَّقضِ فِي قُوَّتِكَ أصدَقُ وأوفَى مِنْ أن تَكذِبَكَ أو تَغُرَّكَ)[4].

فقد بيّن 8 هذه الصفات بعد أن أجملها في ضمير الغائب (هي) العائد على (الدنيا) المتقدم ذكره في الخطبة . ومن شواهده قوله 8 في ذمّ أصحابه : (لَمْ يَستَضِيئُوا بِأَضوَاءِ الحِكمَةِ ، وَلَمْ

1 - المصدر نفسه: 10 /18
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 7/ 156- 157 .
3 - المصدر نفسه: 110/6،وينظر: 143/1 ، 144 ، 61/2 ، 136/7، 76/10 ، 104، 16/13 ، 134.
4 - المصدر نفسه: 183/11 .

بَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ فَهُمْ فِي ذلِكَ كالأَنعَامِ السَّائِمَةِ ، والصُّخُورِ القَاسِيَةِ)[1] بعد أن نفى عنهم الإفادة من الحكمة والعلوم الثاقبة أعقبه بتركيب جملي يتقدمه ضمير الشأن (هم) ليجعل المخاطب في حالة من الانتظار لمعرفة صفاتهم فإذا بالخبر يأتي ليصفهم بـ (الأنعام السائمة ، والصخور القاسية) مبالغة في ذمهم وتقبيحهم .ونلمح هنا اعتماد الإمام التشبيه لتوضيح المعنى وترسيخه في ذهن المخاطب عن طريق الجمع بين دال واحد في الطرف الأول (المشبه) المتضمن في قوله : (هم) العائد على أصحابه ، ودالين في الطرف الآخر (المشبه به) تمثل الأول في قوله : (الأنعام السائمة) وينتمي إلى عالم الحيوان ، وتمثل الآخر في قوله : (الصخور القاسية) وينتمي إلى عالم الجماد ، فهو ، بذلك يشبه الذين لم ينتفعوا من العلم ولم يعملوا به بالذين ليس لديهم شيء من هذا العلم تماما كالحيوانات والجمادات وهكذا يتضح لنا أن تصدير الجملة الاسمية بـ (ضمير الشأن أو القصة) يفيد الدلالة على تعظيم الأمر وتفخيم شأنه ، وكذلك يفيد تمكين المعنى وتقريره في ذهن السامع ، وذلك عن طريق مضمون الجملة التي بعده ، ويتضمن أيضا معنى تفصيل المجمل وتوضيح المبهم سواء أكان ذلك في سياق المدح أم في سياق الذَّمِّ .

دلالة تقديم الخبر المفرد على المبتدأ :

تتمثل أصالة البناء الهندسي لتأليف الجملة الاسمية في تقديم الأعرف (المبتدأ) على الأقل تعريفا (الخبر) فالخبر أحد ركني هذه الجملة لايتم المعنى إلاَّ به فهو المخبر به أو المحكوم به ، فلا بد من ذكره مظهرا كان أو مقدرا ، والأصل فيه التأخير غير أنَّ هذه الرتبة قابلة للتغيير ، إذ قد يفرض سياق الكلام بما فيه من المقامات والظروف ما يدفع المتكلم إلى زحزحته عن موقعه وتقديمه على المبتدأ مراعاة لاستعداد المخاطب النفسي لتلقي الخبر ، ففيه تتحقق الغاية المرجوة من البناء اللغوي . إذ ((يجوز عند البصريين تقديم الخبر اهتماما به ليستفيد السامع الحكم من أول وهلة ، لأنهَّ لو قدم المبتدأ لبقي ذهن السامع مترددا بين الأحكام الكثيرة قبل ذكر الحكم المقصود.)) [2]

هذا يعني أنَّ تقديم الخبر في سياق التركيب الاسمي يؤدي إلى حصر ذهن المخاطب في خبر واحد دون أن تذهب به التوقعات مذاهب متعددة عن طريق لفت انتباهه من أول وهلة ، وذلك لما يتمتع به الخبر من امكانية دلالية تتمثل في ثباته وعدم تغيره فاستقرار قيمته الدلالية في النص متأتية من اسميته الدالة على الثبات والدوام .

1 - المصدر نفسه: 7 /146 ، وينظر : 1 /142 ، 262، 300/6 ، 10/ 60، 105 ، 25/11 ، 112/13 .

2 - المغني في النحو : 334/2 .

إنَّ تقديم الخبر المفرد (الصريح) على مبتدئه ، لم يرد في الخطاب العلوي إلاَّ مرتين في نمط لغوي واحد تمثل في تقديم خبر (كان) على اسمها ؛ إذ يجوز في خبر الأفعال الناقصة أن يتقدم على اسمها ، إذا لم يكن هناك ما يوجب تأخيره.[1]

قال 8 في سياق حديثه عن الفتنة وكيفية الوقاية منها : (وَحَتّى يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا غَنَاءً أَحْسَنُكُمْ بِاللهِ ظَنّاً)[2] نلحظ أنَّ هذا النظم قد تضمن عدولا عن الأصل التركيبي المألوف تمثل في تقديم الخبر (أَعْظَمَكُم) على مبتدئه (أَحْسَنُكُم) للدلالة على التخصيص أي قصر صفة العظمة وتخصيصها بأولئك الذين أحسنوا الظن بالله عز وجل ((وإنّما كان كذلك لأنَّ مَنْ حسن الظن بالله كان أشدَّ النّاس بُعْداً منهم وتوكّلا عليه فيكونون عليه أشد كَلَباً وله أقوى طلبا فكان منهم أكثر تعباً)) [3]

ومن شواهده التي احتضنت الخبر مقدما قوله 8 في بيان صفات المتقين : (فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ .) [4] قدم الخبر المفرد (أَوَّلَ عَدْلِهِ) على مبتدئه (نَفْيُ الهَوَى) لتوجيه الأهمية إليه وتشديد العناية به ، إشارة منه 8 إلى أنَّ أهم موارد العدل وأصعبها على المتقين تتمثل في إمساك النفس من أن تقع في الشهوات ؛ وذلك في مقام المدح لهم ((ولأنَّ السالك أوّل ما يبدأ في تكميل القوة العلمية بإصلاح القوة الشهوية فيقف عند حدود الله ولا يتجاوزها في مأكول أو منكوح أو كسب ونحوه)) [5]

دلالة تقديم الخبر شبه الجملة (الظرف والجار والمجرور) على المبتدأ :

كَثُرَ هذا النمط من التقديم لما تمتاز به شبه الجملة من التوسّع في استعمالها اللغوي فمجيء الخبر شبه جملة (الظروف والجار والمجرور) يجعل من حركته داخل التركيب الاسمي أكثر مرونه ، وهذا النوع من التقديم يفيد في الأغلب الأعم (الاختصاص) ؛ لذا نرى أنَّ أغلب البلاغيين ذهبوا إلى أنَّ دلالة تقديم المسند (الخبر) الجار والمجرور على المبتدأ (المعرفة) الاختصاص وأرى أن دلالة مجيء الخبر (شبة الجملة) مقدما على المبتدأ (المعرفة) لاتنحصر في الاختصاص فحسب ، فالدلالة يحددها المقام ولما كانت مقامات الكلام متعددة ، فإنَّ الدلالات التي يقدّم من أجلها الخبر (الظرف والجار والمجرور) تتعدد وتتنوع تبعا لذلك ، وفيما يأتي أهم الأغراض والدلالات التي أفادها تقديم الخبر (شبه الجملة) في سياقي الإثبات والنفي :

---

1 - ينظر : الكتاب : 1/45-47 ، المقتضب : 4/87 - 89 ، الخصائص : 2/384. شرح الكافية : 4 / 199.

2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7 /61

3 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 3 / 8 .

4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6 / 282

5 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 2 /396

في سياق الإثبات :

الاختصاص :

تعد دلالة الاختصاص من أبرز الأغراض التي أشار إليها القدماء وقد دفعهم ذلك إلى أن يحصروا تقديم المعمول بهذه الدلالة وإرجاع المعاني الأخرى المستمدة من التقديم إليها . يقول السيوطي(ت911هـ) : ((كاد أهل البيان يطبقون على أنَّ تقديم المعمول يفيد الحصر سواء كان مفعولا أو ظرفا أو مجرورا))[1]

ومن أمثلته ما قاله 8 في خطبة له افتتحها بالحديث عن صفات الله جل وعلا : (لَهُ الإحَاطَةُ بِكُلِّ شَيء ، وَالغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيء ، وَالقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيء) [2]

قدم الخبر (لَهُ) على المبتدأ (الإحاطةُ) معطوفا عليه (الغلبةُ ، القوةُ) ليؤكد اختصاص الله تبارك وتعالى بهذه الصفات اثباتا منه عليه السلام على مطلقية السلطة الإلهية العظيمة على ماهو موجود في هذا الكون فهو قد أحاط بكل شيء علما كما أنَّه – جلت قدرته – الغالب لكل شيء والقوي على كل شيء وفي هاتين الصفتين إشارة إلى وصف قدرته جل وعلا بالتمام على كُلِّ مقدور ؛ إذ إنَّ القوة والغلبة من تمام القدرة [3] . ومما ساعد في تعضيد هذا المعنى مجيء الخبر (الضمير) العائد على الله ملصقا به (اللام) الدالة عل الملك والاستحقاق والاختصاص .[4] كما أفاد تكرار التركيب (بكل) و (لكل) و (على كل) معنى الترهيب وعمل على ترسيخه في أذهان المخاطبين .

ومنه كذلك ما جاء في خطبة له 8 يصف فيها أصحاب رسول الله(9) إذ يقول: (يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِم وَخُدُودِهِم وَيَقِفُونَ عَلَى مِثلِ الجَمْرِ مِنْ ذِكرِ مَعَادِهِم كَأَنَّ بَيْنَ أَعيُنِهِم رُكَبَ المِعْزَى مِنْ طُولِ سُجُودِهِم)[5] أفاد تقديم الخبر الظرف (بين أعينهم) على المبتدأ (رُكَبَ المعزى) تخصيص هذه المنطقة من الوجه دون سواها بهذه الصفه (رُكَبَ المعزى) التي تنشا نتيجة السجود والتذلل والخضوع لله عزّ وجلّ ، وقد يكون المراد من ذلك القدرة على تصوير المعنى في الذهن وتخيله وقد أسهم في إبراز هذا المعنى مجيء الظرف (بَيْنَ) الذي يفيد معنى الظرفية المكانية [6] ، فأفاد تقديم الظرف التركيز على البعد المكاني للحدث . وهذه بحق هي صفة الرعيل الأول من الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم) فهم يراوحون في عبادتهم فتارة يضعون جباههم على الأرض وتارة خدودهم خوفا من العقاب وطمعا في الثواب ، وذلك في مقام المدح لهم.

---

1 - الاتقان في علوم القرآن : 51/2.
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6 /272 .
3 - ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 2/ 375- 376
4 - ينظر الكتاب : 4 /217 ، المقتضب:416/4 ، شرح المفصل : 507/3 ، شرح الكافية : 4/ 290
5 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7 /59
6 - ينظر : شرح الكافية : 3 /282 ، همع الهوا مع : 148/2 .

ومن أمثلته قوله 8 : (وَعِنْدَنَا - أَهْلَ الْبَيْتِ - أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَضِيَاءُ الْأَمْرِ) [1] تقدم هنا الخبر الظرف (عِنْدَنَا) على المبتدأ (أَبْوَابُ الْحُكْمِ ، وضِيَاءُ الأَمْرِ) لبيان أهمية المتقدم المتمثلة في اختصاص أهل بيت النبوة بالمسند إليه ، وشدة قربهم ومعرفتهم بأمور الدين من شرعيات وعقائد ، وقد أسهم في بيان هذا المعنى الظرف (عِنْدَ) الذي يفيد ((كون مظروفها حاضرا حسًّا أو معنى أو قريبا حسًّا أو معنى)) [2] فاستطاع الإمام 8 بهذا التقديم أن يقوي الخبر ويؤكد مايدعيه لنفسه فيقطع بذلك على المتلقي طريق الشك والريبة .

التأكيـــد

منه قوله 8 : (وَقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا ، وَمَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَشَلُ) [3] نلحظ هنا كيف قدم الخبر الظرف (مع هذين الأمرين) على المبتدأ (الفَشَلُ) ليستطيع تقوية الخبر وتأكيده في أذهان مخاطبيه ((لأنَّ الغالب من الجبناء كثرة الضوضاء والجلبة يوم الحرب ، كما أنَّ الغالب من الشجعان الصمت والسكون))[4] وذلك في مقام الذم والتوبيخ لهم من خلال مراعاته القرب والمجاورة في قولة : (أرعدوا وأبرقوا) . ومن أمثلته قوله 8 : (إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ5 اللهِ وَالذُّلَّ اللَّازِمَ وَالْعَارَ الْبَاقِيَ) [6] كان لتقديم الخبر شبه الجملة مجرورا بحرف الجر (في) صدى في النص ليؤكد شدة توغلهم في أمر الفرار وإصرارهم عليه إذ تفيد (في) الظرفية مكانية وزمانية وحقيقية ومجازية[7] ؛ وذلك من اجل ذمه وتحقيره من جهة، والتنبيه على غضب الله وسخطه وما يتبعه من ذل ومهانة ، وما يعقبه من عار يلحق الأولاد والذرية من جهة أخرى ، فالفرار من الجهاد ونصرة الحق يجر صاحبه إلى الذِّلِّ والهوان في الدنيا ويبعده عن مرضاة الله في الآخرة ؛ وذلك في مقام الذم والتقريع .

وقد يأتي تقديم الخبر شبه الجملة ليفيد تأكيد الصفة وإبرازها من مثل قوله 8 في ذكر يوم النحر وصفة الأضحية : (وَمِنْ تَمَامِ الْأُضْحِيَةِ اسْتِشْرَافُ8 أُذُنِهَا ، وَسَلَامَةُ عَيْنِهَا)[9] قدم الخبر شبة

---

1 - شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد:7 /224،وينظر:144/1، 12/2، 274/6 ، 152/7 ، 171/9 ، 185، 33/11، 135/13.
2 - همع الهوامع : 2 /121 ، وينظر : لسان العرب مادة (عند) : 9 / 421 .
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1 / 223
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1 / 223.
5 - وَجَدَ عليه في الغضب يجده .... وَجِدَةً وموجدة ووجدانا : غضب . لسان العرب مادة (وَجَدَ) 15 /219
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 8 / 6
7 - ينظر : الكتاب : 226/4 ، المقتضب : 413/4 ، اسرار العربية : 143، معاني النحو:50/3 .
8 - والشرفاء من الآذان: الطويلة القُوفِ القائمة....وقيل:هي المنتصبة في طول.لسان العرب مادة (شرف) 7/ 91.
9 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 5/4 .

الجملة (من تمام الأضحية) على المبتدأ (استشرافُ أُذُنها) ليتسنى له تأكيد الصفة وإبرازها .

وقد يقدم الخبر شبة الجملة ليحمل دلالة أخرى زيادة إلى دلالة التأكيد ، وهي دلالة التشويق إلى معرفة المبتدأ ، فقد أشار البلاغيون إلى هذه الدلالة [1] ، إذ لا تزاحم بين المعاني البلاغية .

1 - ينظر مفتاح العلوم : 324 ، الإيضاح : 104 ، البلاغة فنونها وأفنانها : 231.

من ذلك قوله 8 يصف الملائكة : (وَبَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الفُرُوجِ زَجَلُ المُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ القُدْسِ ، وسُتُرَاتِ الحُجُبِ وَسُرَادِقَاتِ المَجْدِ ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيجِ [1] الذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ الأَسْمَاعُ سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا)[2]. قُدِّم الخبر الظرف هنا مرتين (بين فجوات تلك الفروج) و (وراءَ ذلك الرجيج الذي تستكُّ منه الأسماع) على المسند إليهما (زَجَلُ المسبّحين منهم) و (سبحاتُ نور تردع الأبصار عن بلوغها) ليؤكد الخبر وليحرك شوق المخاطب لمعرفة المبتدأ. ولقد ذكر السكاكي أنَّ هذه الدلالة إنّما تحسن عند تطويل الكلام[3] وهو ما نلحظه في تقديمالجملة الثانية .

المحافظة على التواصل السياقي للتركيب :

كثيراً ما ترد الجملة الاسمية وقد تقدم فيها الخبر (شبه الجملة) متضمنا ضميرا يرجع إلى أصل الكلام الذي يأتي عادة قبله ، مما يسمح للمخاطب بأن يمرَّ على الجملة دون الشعور بانقطاع السياق الذهني لديه ففي قوله 8 من خطبة له : (والطَّرِيقُ الوُسْطَى هِيَ الجَادَّةُ ،عَلَيْهَا بَاقِي الكِتَابِ وآثَارُ النُّبُوَّةِ ، ومِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّةِ ، وإليهَا مَصِيرُ العَاقِبَةِ) [4]. قُدِّم الخبر هنا ثلاث مرات متمثلا بـ (عَلَيْهَا)، (مِنْهَا) ، (إلَيْهَا) على المبتدأ المتمثل بـ (باقي الكتاب وآثار النبوة) ، (مَنْفَذُ السُّنَّةِ) ، (مَصِيرُ العَاقِبَةِ) وذلك لوجود الضمير العائد على المبتدأ (الطريق الوسطى) مما أتاح ذلك استمرارية التواصل السياقي عند المخاطب ، جاء ذلك في مقام الترغيب . ومنه كذلك ما جاء في خطبة له 8 في مقام الوعظ والإرشاد يصف فيها حال أهل القبور يوم القيامة قال فيهم : (عَلَيْهِم لُبُوسُ الاسْتِكَانَةِ ، وَضَرَعُ الاسْتِسْلاَمِ وَالذِّلَّةِ) [5] قدم الخبر الجار والمجرور (عليهم) على المبتدأ (لبوس الاستكانة) معطوفا عليه (ضرع الاستسلام والذلة) ليضمن استمرار الحديث عن صفات أولئك الذين يخرجون من الأجداث عند سماعهم دعوة الحق إلى يوم الفزع الأكبر ، ذلك اليوم الذي يسرع فيه الناس إلى الله مهطعين مسرعين إلى حسابه ، فقد وصفهم عليه السلام بالذلة والخضوع والخشوع وهي صفات ملازمة لهم .

عادات لغوية :

يقدَّم الخبر (شبة الجملة) في بعض أنماط التركيب الجملي جريا وراء عادة لغوية شائعة ، وكثير مايرد هذا في أسلوب التعجب وهو ((انفعال يعرض للنفس عند الشعور

1 - رجّة القوم ، اختلاط أصواتهم . لسان العرب مادة (رجج) : 5/ 141.
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 327/6 ، وينظر أمثلة أخرى : 225/1 ، 279 ، 74/2 ، 108/5 ، 5/7 ، 226، 27/9 ، 7/11.
3 - ينظر : مفتاح العلوم : 324 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1 / 254 .
5 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 6 / 197 . وينظر : 9 / 27 ، 122 ، 167 ، 10 / 133

بأمر يخفى سببه)) [1] ، ويلجا المتكلم إلى هذا النمط من التركيب ليعبر عن حالته النفسية تجاه الشيء المتعجب منه ، محاولة منه لإيصال ذلك الشعور إلى المخاطب . من ذلك ما جاء في الكلام له 8 خاطب به أصحابه : (لله أنتم) [2] ومنه تكرار هذا القول في خطبة له خطبها في مسجد الكوفة : (لله أنتم) [3] وكذلك قوله من كلام له 8 تحدث فيه عن الدنيا : (لله آباؤكم) [4]. فهذا استعمال لغوي شائع في باب التعجب .

في سياق النفي :

بعد إن بينا الدلالات والأغراض التي أفادها تقديم الخبر (شبة الجملة) في سياق الكلام المثبت ، نبين هنا مايفيده من دلالات في سياق النفي فدلالة السياقين مختلفة ، لقد أشار ابن الأثير (ت637 هـ) إلى هذا الاختلاف فهو يرجّح تقديم الظرف في سياق الإثبات ، في حين يجوز الأمرين في سياق النفي يقول : ((وأمَّا تقديم الظرف فإنَّه إذا كان الكلام مقصودا به الإثبات فان تقديمه أولى من تأخيره ، وفائدته إسناد الكلام الواقع بعده إلى صاحب الظرف دون غيره ، فإذا أريد بالكلام النفي ، فيحسن فيه تقديم الظرف وتأخيره ، وكلا هذين الأمرين له موقع يختص به)) [5] وذكر الزركشي (ت 794 هـ) الدلالة نفسها مضيفا إلى ذلك أنّ في تقديمه ما يفيد تفضيل المنفي عنه [6] واطلاقُهُ لهذه الدلالة في سياق النفي أمر لم يقبله الدكتور فاضل السامرائي إذ يقول : ((إنَّ تأخير الظرف يفيد نفي الشيء عن المذكور ، وتقديمه يفيد النفي عن المذكور وإثباته لغيره ، ولا يفيد دائما تفضيل المنفي عنه وألا فقولك : (لاعندك صواب ذم لامدح))[7] لقد ورد هذا النمط من التقديم في أربعة مواضع من ذلك قوله8 في الفتنة:(لَبِئسَ فِيهَا مَنَارُ هُدى،وَلاعَلَمُ يُرى)[8]

قُدِّم الخبر الجار والمجرور المتمثل في الضمير الدال على الفتنة (فيها) على المبتدأ المؤخر (مَنَارُ هُدى ، وَلاَعَلَمٌ يُرى) في سياق نفي للدلالة على أنها المقصودة بنفي هذه الصفات عنها . فلو ورد التركيب على النحو الأتي : (ليس منار هدى فيها) لم يُعطِ هذا المعنى .

---

1 - شرح الكافية : 4/ 228 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 54/10 .
3 - المصدر نفسه : 79/10 .
4 - المصدر نفسه : 5/11 . وينظر : 5/12 .
5 - المثل السائر : 24/2 .
6 - ينظر : البرهان في علوم القران : 277/3
7 - معاني النحو : 1/ 143
8 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 35/7 – 36 .

ومنه كذلك قوله 8 من خطبة له بيّن فيها أصناف الناس : (.... لَيْسَ مَعَهُ من الله سبحانَهُ بُرْهَانُ سُنَّةٍ ، وَلاَ ضِيَاءُ حُجَّةٍ) [1] بعد أنْ بين للمخاطبين أنَّ الناس قسمان ، قسم سائر على طريق الدين ،والآخر سائر على طريق البدع والضلال ، أردف حديثه بالإخبار عن حال القسم الأخير في سياق نفي إذ نرى أنَّ الخبر الظرف (مَعَهُ) قد ورد مقدما على مبتدئه المؤخر (برهانُ سنَّة ، ولا ضِيَاءُ حجَّة) للدلالة على نفي هذين الأمرين من أن يكونا مع صاحب البدعة . فهو نفى عنه المذكور وأثبته لغيره في معرض الذَّمِّ له ، وقد يكون الغرض من ذلك هو تحريك نفوس المخاطبين لاختيار الأفضل من بينهما والالتحاق به .

تقديم (كُلّ) وتأخيرها :

جاءت (كُلّ) في خطب نهج البلاغة متقدمة على الاسم الذي تؤكده ، كما جاءت متأخرة عنه ، وتقديمها جاء في سياقي الإثبات والنفي .

في سياق الإثبات :

لقد وردت بكثرة في هذا السياق من ذلك قوله 8 : (كُلُّ مُسَمًّى بِالوَحدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ ، وكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ ، وكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ ، وكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَملُوكٌ ، وكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ ، .... ، وكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرُهُ غَيْرُ بَاطِنٍ ، وكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ) [2]

نجد أنَّ (كُلُّ) قد وردت مضافة إلى نكرة مما أفادت معنى الاستغراق لكلّ فرد من أفراد الجنس فهم دونه سبحانه وتعالى في هذه الصفات ، وقد يكون المعنى الذي أفادته هو تعميق معنى التفرد في مقام المدح والثناء له . ومنه قوله 8 : (إذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقَصٌ سِوَاهُ ، وكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلاَهُ) [3] أفاد تقديم (كُلُّ) معنى الاستغراق وتعميق معنى التفرد في مقام المدح له سبحانه والذم لغيره . ومنه كذلك قوله 8 من خطبة له : (كَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُم إِمَامُ نَفْسِهِ) [4] فهذا استغراق وإحاطة بجميع الأفراد ونخص بذلك أفراد المجموعة المشار إليها والذي أفاده لفظ (منهم) ؛ وذلك في معرض الذم والتوبيخ وهو ما يتلاءم والموقف العام للخطبة .

في سياق النفي :

1 - المصدر نفسه : 26/10 . وينظر : 313/6 ، 201/8
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 124/5
3 - المصدر نفسه : 309/6
4 - المصدر نفسه: 297/6 وينظر : 250/2 ، 81/6 ، 270، 63/7 83، 152 ، 85/9 ، 139 ، 161 ، 174 ، 18/10 ، 54/13

قال □:(وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيب ، وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ ، وَلَا ذِي نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ)[1]

أفاد تقديم (كُلُّ) بعد أداة النفي (ما) وبعد (لا) النافية المكررة مرتين الدلالة على سلب العموم ، كما أفاد تكرار حرف (الباء) الزائدة توكيد ذلك السلب وذلك في معرض الذَّمِّ والتوبيخ ، كما يلفت نظرنا في هذا النص ذلك التناغم الصوتي الذي جاءت عليه فواصل الفقرات الثلاث ، إذ جاءت على زنة (فعيل) .

ومنه كذلك ما جاء من خطبة له 8 وقد سأله سائل عن أحاديث البدع وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر : (وَلَبْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسولِ الله صلى الله عليه وسلم مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ) [2]

أفادت الدلالة على سلب العموم من أن يكون كُلُّ الصحابة قد سألوا الرسول (9) وذلك في مقام التنبيه لهم .

تأخير (كُلّ) :

ورد هذا الاستعمال في خطب نهج البلاغة في ستة مواضع ، تميزت جميعها بأنِ اقتصرت دلالتها على تأكيد الخبر وتثبيته في ذهن المخاطب ، جاء ذلك في مواقف حاول الإمام فيها أثبات رأي وإقناع الآخرين به .

إنَّ مجيء (كُلّ) متأخرة يدخلها فيما يسمى بـ (التوكيد المعنوي) لا سيما إذا تحقق شرطها وهو إضافتها إلى ضمير يعود على المؤكّد فهي بذلك تفيد زيادة على تأكيد الخبر وتثبيته رفع احتمال الخصوص بما ظاهره العموم [3]. فقوله تعالى ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَآئِكَةُ ﴾[4]

فالمراد هنا ملك خاص من الملائكة وهو جبرائيل 8 لا جميع الملائكة إذ هو المنادي فقط ، وهذا التخصيص يرتفع إذا ماتَمَّ تأكيده بـ (كُلّ) كما في قوله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَآئِكَةُ كُلُّهُمْ ﴾[5] فالسجود تم من عموم الملائكة [6] كذلك قولنا : (جاءني القوم كُلُّهم) ((دال بحقيقة وضعه على أنَّ كُلَّ واحد منهم قد وقع منه المجيء ، ويرفع أن تكون متجّوزا في نسبة المجيء إلى جميع القوم بان يكون الجائي بعضهم))[7] على هذا يكون مجيء (كُلّ) متأخرة يفيد دلالتين : إحداهما : تأكيد الخبر وتثبيته ، والأخرى : رفع احتمال الخصوص بما ظاهره العموم .

---

1 - المصدر نفسه: 6/ 297 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 33/11
3 - ينظر : شرح شذور الذهب : 552 - 553
4 - آل عمران / من الآية 39 .
5 - ص /73 .
6 - ينظر : شرح قطر الندى : 293 ، أسرار العربية : 152.
7 - الطراز : 295

و من أمثلته ما جاء في بيان حكمة القرآن إذ يقول : (وَفِيْهَا الغِنَى كُلُّهُ) [1] يرى ابن ابي الحديد أنَّ في هذه الحكمة ((إشارة إلى كلام من كلام رسول الله (صلى الله واله وسلم) رواه لهم ، ثم حضهم على التمسك به والانتفاع بمواعظه)) [2]

لهذا سعى الإمام 8 إلى تأكيد الخبر وتثبيته في أذهان المخاطبين بأنْ أردف قوله بـ (كُلّ) التي اتصلت بالضمير العائد على المبتدأ المتأخر مما لايدع مجالا للشك في هذا الأمر .

ومنه قوله 8 : (وَفَضَّلَ حُرْمَةَ المُسْلِمِ عَلَى الحَرَمِ كُلِّها) [3] إنما جاء بـ (كُلّ) متأخرة ليؤكّد ((أنّ حرمة المسلم أفضل من جميع الحرمات))[4]

ومنه كذلك في خطبة له 8 : (والذي بَعَثَهُ بِالحَقِّ واصطَفَاهُ عَلَى الخَلقِ مَا أُنطِقُ إلاَّ صَادِقاً وَلَقَد عَهِدَ إليَّ بذَلِكَ كُلِّهِ ....)[5]. جاء الخبر ممزوجا بنبرة عالية دفعت الإمام 8 إلى أن يؤكد خبره فكانت (كُلّ) إحدى أدوات التوكيد ، فغدت وسيلة لإقناع المخاطبين بصدق ما جاء به إذ أفضاه إليه رسول الله (9) ، ثم أكّد خبره بمؤكد آخر هو القسم الذي في صدر الكلام وكذلك الحصر .

تقديم المسند إليه (الفاعل) على الفعل :

يمثل المسند إليه (الفاعل) أحد طرفي الإسناد في الجملة الفعلية ، فهو الذي فعل الفعل حقيقة نحو (كَتَبَ محمدُ الدَّرسَ) أو اتصف به نحو (أحمرَّ الوردُ) أو تلبس به نحو (مَاتَ زَيدُ) . يجوز في الفاعل التقديم على فعله ، على رأي الكوفيين [6] ، فنقول : (قام زيدُ)، (زيدُ قام) ، ويرى جمهور علماء البلاغة أنَّ هناك فرقا واضحا بين تقديم الاسم الذي هو فاعل في المعنى على الفعل وتقديم الفعل عليه في الخبر ، ومنهم عبد القاهر الجرجاني الذي قال : ((فإذا عمدت إلى الذي أردت أن تحدّث عنه بفعل فقدمت ذكره ثم بنيت الفعل عليه فقلت : زيدٌ قد فعل ، وأَنا فعلت ، وأنت فعلت اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل)) [7] فالاسم إذا قُدَّم على الفعل يكون أشدَّ ثبوتا وأنفى للشك الأمر الذي يؤكد

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 219/8
2 - المصدر نفسه : 224/8 .
3 - المصدر نفسه: 220/9
4 - المصدر نفسه ، الصحيفة نفسها .
5 - المصدر نفسه : 11/10 . وينظر : 9 /235 ، 195/11 ، 160/13 .
6 - ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه : 41 ، نحو الفعل : 82 ، الجملة العربية في ضوء الدراسات الحديثة : 112
7 - دلائل الإعجاز : 164 ، وينظر : البرهان الكاشف عن إعجاز القران : 213 .

الخبر ويجعله أكثر إيضاحا [1] . فالسياق المعنوي والوجداني قد يجعل من الفاعل محوراً للمعنى الأمر الذي يدفع المتكلم إلى أن يقدمه مبتدئا به الجملة محققا بذلك معاني مختلفة .

في سياق النفي :

لا يلي النفي إلاَّ ما قُصِدَ نفيه ، وهذا ما يستلزم تغييرا في ترتيب عناصر الجملة بما يتلاءم وحاجة المتكلم ، وعليه فإنَّ تقديم الفاعل على الفعل في سياق النفي يفيد نفي الحدث عنه وإثباته لغيره . فإذا ((قلت : ما أنا فعلت كنتَ نفيتَ عنك فعلا ثبت أنَّه مفعول)) [2] فإذا قلنا : ما جاء زيد ، كان النفي مسلطا على نفي فعل (المجيء) ، أَمَّا إذا قلنا : ما زيد جاء ، كان النفي مسلطا على نفي الفعل عن هذا الفاعل وإثباته لغيره ، فقد يكون خالدا أو محمدا .

ورد تقديم الفاعل على الفعل في سياق النفي في سبعة مواضع تلبية لحاجة معنوية . من ذلك قوله8:(فَلاَ استعلاَؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ،وَلاَ قُرْبُهُ سَاوَاهُم فِي المكَانِ بِهِ)[3]

قُدَّم الفاعل هنا مرتين ممثلا في قوله : (استعلاؤُهُ) و(قُرْبُـهُ) على الفعلين (بَاعَدَهُ) و(سَاَواهم) للدلالة على نفي صفتي البعد والمساواة عن الله سبحانه وتعالى وإثباتهما لغيره تنزيها له وتعظيما .

ومن أمثلته قوله 8 وهو يتحدث عن يوم القيامة : (فَلاَ شَفِيعٌ يَشْفَعُ ، وَلاَ حَمِيمٌ يَنْفَعُ ، وَلاَ مَعْذِرَةٌ تَدفَعُ)[4] جاء الفاعل في هذه الجمل الثلاث مقدّما على فعله تسبقُهُ أداة النفي(لا) للدلالة على نفي الفعل عنه ، ولغرض تأكيد المعنى نلحظ أنّ الإمام قد استعمل اسم جنس نكرة مساوق للفعل (شفيع ـــــ يشفع) فضلا عن الاقتباس القرآني المستوحى من قوله تعالى ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [5]

ومنه كذلك قوله 8 : (ما الدُّنيَا غَرَّتْكَ وَلَكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ) [6]فالإمام بتقديمه الفاعل (الدُّنيا) على الفعل (غرّتك) يكون قد نفى من أن تكون الدنيا هي مَنْ قام بفعل الغرور قاصدا بذلك إثباته لغيرها ، ويتضح لنا ذلك في الاستدراك المتمثل في قوله : (وَلَكِنْ بِهَا اغتررتَ) .

في سياق الاستفهام :

1 - دلائل الإعجاز: 166 – 167، وينظر :البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن 214 ، التبيان في إعجاز القرآن:94.
2 - دلائل الإعجاز : 162 ، ينظر : مفتاح العلوم : 338 ، البرهان في في علوم القران : 375/2 .
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 169/3 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 134/10 .
5 - الشعراء / 88 -89 .
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 183/11 ، وينظر : 7 / 90 .

الاستفهام كالنفي لا يليه إلاَّ ما قُصِد الاستفهام عنه فإذا قلنا : ((أضَرَبَ محمدُ خالدا)) كان الشك في الفعل نفسه ، وكان الغرض من الاستفهام العلم بحصول الفعل أو انتفائه . وأما إذا قلنا : ((أمحمدُ ضَرَبَ خالدا)) كان الشك في الفاعل مَنْ هو [1]، وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى أن الفرق بين هذين الاستعمالين ((لا يدفعه دافع ، ولا يشك فيه شاك ولا يخفى فساد أحدهما في موضع الآخر)) [2]

لقد جاء تقديم الفاعل على الفعل في سياق الاستفهام في ثلاثة مواضع . من ذلك قوله 8 : (أَهَا دِينٌ يَجْمَعُكُم ، وَلاَ حَمِيَّةُ تُحمِشُكُم[3]) [4] قُدِّم المسند إليه (الفاعل) المتمثل بـ (دينٌ) على المسند (الفعل) المتمثل بـ (يجمع) ليغدو محورا يتمركز حوله الاستفهام المتمثل بـ - (همزة الاستفهام) الداخلة على (ما) النافية لتفيد معنى العرض والتحضيض[5] . وبهذا يكون الاستفهام مسلطا على الفاعل لا الفعل ، والغرض من ذلك تنبيه المخاطبين إلى ضرورة الالتزام بالأمور الموجبة لنصرة اخوانهم ، وهو تنبيه في معرض الذَّمِّ والتوبيخ لهم. ومثله تماما ما قاله 8 في خطبة أخرى:(أَهَا دِينٌ يَجْمَعُكُم ، وَلاَحَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُم)[6]

ومنه ما جاء في خطبة له 8 يذكر فيها ملك الموت وتوفية الأنفس إذ يقول : (أَيَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا ، أم الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا) [7]لقد جاء خطابه 8 في سياق استفهامي تمثل بدخول أداة الاستفهام (الهمزة) على جملتين أعقبها في الجملة الأولى الفعل (يلج) ؛ وذلك لأنَّ الفاعل فيها معروف هو (ملك الموت) غير أنَّ الجهل حاصل في الطريقة التي يتوفّى فيها الأنفس ؛ لذا كان دخولها على الفعل أولى من دخولها على الاسم . أمَّا في الجملة الأخرى فقد وليها الفاعل (الروح) مقدما على فعله (أجابَتْهُ) ليتسنى تسليط الاستفهام عليه ، فهو محل الشك .

في سياق الإثبات

لقد أفاد تقديمه الدلالات الآتية :

التنبيه :

1 - ينظر : دلائل الإعجاز : 146 ، مفتاح العلوم : 426 ، البرهان في علوم القرآن : 2 / 375 .
2 - دلائل الأعجاز : 146 .
3 - حَمَشَ الرجل حَمْشاً وأحمَشَهُ فاستَحْمَشَ : أغضَبَهُ فغضب ..... وأحْمَشَت الرجل أغضبتُهُ . لسان العرب مادة (حَمَش) : 3 / 325 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 236/2 .
5 - ينظر : رصف المباني في شرح حروف المعاني : 96 .
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 54/10 .
7 - المصدر نفسه: 185/7

يسعى المتكلم في خطابه إلى إثارة انتباه أذهان المتلقين بمختلف الوسائل ، ويبدو أنَّ التقديم كان واحدا من تلك الوسائل التي تمكن المتكلم من جذب انتباه السامعين لتلقي الخبر وتمثله خير تمثيل من ذلك قوله 8 : (واعْلَمُوا أَنَّ الأَمَلَ يُسْهِي العَقْلَ ، وَيُنْسِي الذِّكْرَ) [1]. قُدِّم الفاعل في المعنى (الأمل) على كل من الفعلين (يُسْهِي) و (يُنْسِي) لجذب انتباه المخاطبين لما في الأمل من ضرر ، فقد قصر الفاعل في هذا السياق على الفعل (يسهي) ((فإنَّ الآمل أبدًا مشغول الفكر بما يأمله ويرجوه)) [2] وعلى الفعل (ينسي) ((وذلك باستغراقه فيما يأمله من أحوال الدنيا)) [3] ، وذلك في معرض الذم والتنفير .

ومن أمثلته قوله 8 : (وَلَقَد بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : عَلِيٌّ يَكْذِبُ) [4] قدَّم الفاعل المتمثل في اسمه 8 (عليٌّ) على الفعل (يَكْذِبُ) ليثير الانتباه في أذهان المخاطبين كي تتجه صوبه مترقبة بقية الخبر ، كما أفاد التقديم دلالة أخرى هي التعجب .

ومنه كذلك قوله 8:(نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ،وَعَدُوُّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ [5])[6]

جاء تقديم الفاعل هنا في صورة تقابلية لجذب انتباه السامع إليه بوصفه محورا رئيسا يدور حوله المعنى إذ تم التقابل بين (نَاصِرُنَا ومُحِبُّنَا) و (عَدُوُّنَا ومُبْغِضُنَا) ، وهو تقابل لم يتم على مستوى العبارة ، بل على مستوى الذهن ما أدّى ذلك إلى إبراز الدلالة وإيصال المعنى إلى ذهن السامع ((فاللفظة في حالة مقابلتها بما يضادها تكتسب عمقا دلاليا ودقة معنوية لا تكون لها منفردة)) [7] . ثم ذكر 8 ما ينتظر كل واحد منهما من الجزاء فأشار إلى ما ينتظر الأول من (الرحمة) وأشار إلى ما ينتظر الآخر من (السطوة) فقد استطاع المسند إليه المقدّم أن يجمع أكثر من معنى في هذا النص تمثل في دلالتي الوعد والوعيد . ومما ساعد في تعزيز الدلالة في النص ذلك التقسيم الرائع الذي يقوم على تجزئة الفقرات إلى وحدات صوتية يقف عندها الكلام متمثلا بمجيء أضداد الألفاظ على زنة واحدة .

التوكيد :

يلجأ المتكلم إلى هذا الغرض لإثبات المعنى في ذهن المخاطب وإزالة كُلّ ما يمكن أن يعلق في ذهنه من شك تجاه ما يلقى إليه من خبر فمراعاة المتكلم للحالة النفسية التي

---

1 - المصدر نفسه: 275/6
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 386/2
3 - المصدر نفسه : 386/2
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 101/6
5 - السَّطْوُ : القهر بالبطش ..... والَّسْطوُةُ : شِدَّةُ البطش . لسان العرب مادة (سطا) :6/ 260
6 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : 170/7. وينظر أمثلة أخرى: 2/ 90 ، 124/5، 54/7، 9/ 57، 85، 127، 211، 54/10، 13/ 6.
7 - البناء الفني في شعر الحب العذري : 95

يكون عليها المخاطب هي الحافز لتقوية الخبر وتوكيده ليترسخ في نفس متلقيه . وقد فصّل عبد القاهر الجرجاني القول في هذا الغرض [1].

من ذلك قوله 8 لأصحابه : (أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وأَنْتُمْ دَائِي كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا) [2] أفاد تقديم الفاعل الضمير (هو) على الفعل المثبت (يعلم) توكيد الخبر وتقريره في ذهن المخاطب بما لا يدع للسامع مجالا للشك فيه ؛ إذ قد يشك السامع أنَّ ناقش الشوكة بالشوكة لايعلم أنَّ ضلعها معها وقد وظف الإمام المثل ((ناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم أنَّ ضلعها معها)) [3] ؛ ليصور من خلال التشبيه حاله معهم بحال من يخرج شوكة ثبتت برجله بشوكة أخرى وهو يعلم أنَّها سوف تنكسر وتنضم إلى الأولى داخل العضو تبرما منهم وتضجرا ، فكان لهذا التشبيه أثر واضح في اثراء الدلالة في النص .

ومن أمثلته قوله 8 في مجال النصح والإرشاد : (أَلاَ وإِنَّ إِعْطَاءَ المَالِ فِي غَيرِ حَقِّهِ تَبذِيرٌ وإِسْرَافٌ وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الآخِرَةِ وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللهِ)[4]

قُدِّم الفاعل المتمثل في الضمير (هو) على الأفعال (يرفع ، يضع ، يكرم ، يهين) ليؤكّد ذمَّ الإسراف في صرف المال ومدح الاعتدال ، وهو بهذا التقديم يزيل كلّ الشك يمكن أن يساور السامع في صدق دعواه . وقد أسهم في إبراز هذا المعنى ذلك التقابل الذي أظهرته لنا صورة التناقض القائمة بين الاعتدال والإسراف في صرف المال ؛ إذ جاء للتعبير عن حالين متقابلين في الدنيا والآخرة ، وهو ما ألحّ عليه السياق وطلبه حثيثا

ومنه كذلك قوله 8 : (ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا)[5] قُدِّم الفاعل المتمثل في الضمير (هو) العائد على لفظ الجلالة (الله) عز وجل على الفعل (يفنيها) ليؤكد تحقيق الأمر وليزيل الشك الذي قد يتولد في نفس السامع، فهو بهذا التقديم قد جعل من الفاعل حقيقة مستمرة في أذهان المخاطبين ، وأنَّ الله وحده مختص بهذه الفضيلة دون غيره .

الأهمية :

يمثل أهم الأغراض التي أشار إليها اللغويون قديما ؛ إذ نلمحه أمامنا في كل حالات التقديم ، وقد غدا في تقديم الفاعل على فعله محورا للمعنى لاسيما في سياقات التفصيل بعد الأجمال . من ذلك قوله 8 في بيان حال النفس يوم القيامة: (فَكُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ، سَائِقٌ

1 - ينظر: دلائل الإعجاز : 168 – 169
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 226/7
3 - ورد هذا المثل بصيغة أخرى هي : ((لاتنقش الشوكة بمثلها فإنَّ ضلعها معها)) أي لا تستعن في حاجتك بمن هو للمطلوب منه الحاجة انصح منه لك . مجمع الأمثال : 182/3
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 88/8 .
5 - المصدر نفسه : 69/13 ، وينظر : 266/1 ، 121/9 ، 32/11 ، 116 .

يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا ، وَشَاهِدُ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا)[1] قُدِّم كُلّ من الفاعل (سائق) و (شاهد) على كل من الفعل (يسوقها) و (يشهد) في سياق التفصيل بعد أن أجمل في قوله : (سائق وشهيد) لإبراز أهمية المتقدم بما يضمن تثبيت الحكم في أذهان المخاطبين . وقد عزز من دلالة ذلك في النص الاقتباس القرآني المستوحى من قوله تعالى ﴿ وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [2]. الذي أكسب النص قالبا أسلوبيا متميزا ، كيف لا وقد صدر مثل هذا الأسلوب الرائع عن أديب بليغ تخرج في مدرسة القران الكريم وتأثر بها أيّما تأثر . ومنه كذلك قوله 8 في خطبة له في ذم الدنيا والتحذير منها: (خَيْرُهَا زَهِيدٌ ، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ ، وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ ، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ ، وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ) [3].

بعد أن بّين للمخاطب صفاتها ، راح يبين ما يستلزم كل صفة من هذه الصفات عن طريق التقديم ، إذ قدم الفاعل (جمعها) و(ملكها) و (عامرها) على كل من الفعل (ينفد) ، (يُسْلَبُ) ، (يَخْرَبُ)؛ ليوجّه عناية المخاطب إلى الفاعل ؛ وذلك في مقام أخذ العظة والاعتبار . وليس التقديم وحده من أسهم في إثراء هذه الدلالة في النص ؛ وإنّما هذه المتضادات التي تناسب حال الدنيا . ومنه قوله 8 لمّا ولي غسل النبي (9) : (فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالأَفْنِيَةُ : مَلأٌ يَهْبِطُ ، وَمَلأٌ يَعْرُجُ) [4] قُدِّم الفاعل (ملأ) مرتين على كل من الفعل (يهبط) و(يعرج) للتأكيد على أهمية المتقدم لاحقا به الفعل ليتم الحكم به . ومما سبق نلحظ أنَّ تقديم الفاعل على الفعل إنَّما جاء في الأغلب الأعم في سياق الإثبات محققا بذلك ثلاث دلالات افرزها السياق تمثلت بـ (التوكيد وتقوية الحكم ، وجذب الانتباه ، والأهمية).

تقديم المفعول به :

لا يقتصر التقديم في الجملة العربية على طرفي الإسناد (المسند والمسند إليه) بل يتعدى ذلك إلى مكملات الجملة أي الفضلات على ((وفق مناسبات القول وحاجاته ، ومقتضى الكلام العربي الفصيح)) [5]

فالأصل في ترتيب الجملة أن يتقدم الفعل فالفاعل ثم المفعول به ، غير أنَّ هذه الرتبة قد تتغير ؛ إذ قد ينجو المتكلم فيه منحنى يخالف هذا الأصل فيقدم المفعول به على فاعله أو فعله إذا وجدت القرائن التي تشير إلى ذلك ؛ لغرض تحقيق دلالة فنية تتمثل في تقديم

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 270/6
2 - ق / 21
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 192/7
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 140/10
5 - الألسنية العربية : 79/2

الأمر الذي لم يتم حصوله بعد(المستقبل) على الأمر الحاضر والمتمثل في الفاعل فضلا عن أهميته . وقد أولى اللغويون التعبير بالمفعول عناية خاصة يقول ابن جني (ت392هـ) : ((إنَّ أصل وضع المفعول أن يكون فضلة وبعد الفاعل كَضَرَبَ زيدُ عمراً ،فإذا عناهم ذكر المفعول قدّموه على الفاعل فقالوا :ضَرَبَ عمرا زيدٌ ، فإذا ازدادت عنايتهم به قدّموه على الفعل ناصبه فقالوا : عمرًا ضَرَبَ زيدٌ ، فان تظاهرت العناية به عقدوه على أنَّه ربّ الجملة وتجاوزوا به حدَّ كونه فضلة فقالوا : عمراً ضَرَبهُ زيدُ ، فجاءو به مجيئا ينافي كونه فضلة ....وهذا كُلُّهُ يدل على شدة عنايتهم بالفضلة ، وإنّما كانت كذلك لأنَّها تجلو الجملة وتجعلها تابعة المعنى لها ، ... فإنَّه إذا نصب على ماذكرت فإنَّه لايعدم دليل العناية به)) (1)

تقديم المفعول به على الفاعل :

يجوز تقديم المفعول به على الفاعل إذا خلت البنية من مواضع الوجوب وأمن اللبس بين الرتيبتين (2)

في سياق النفي :

غالبا ما يفيد في هذا السياق دلالة الاهتمام والعناية بالمتقدم . وعادة ما يتم ذلك في المناجاة الإلهية أو الحديث عن الصفات الإلهية في حمد الله أو الأدعية من ذلك قوله 8 : ((الحَمْدُ لله الذي لاَ يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ القَائِلُونَ ، وَلاَ يُحْصِي نَعْمَاءَهُ العَادُّونَ ، وَلاَ يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ)) (3) تقدم المفعول هنا ثلاث مرات على فاعله في سياق حمد الله سبحانه ، تقدمت (مدحته) على (القائلون) لتركيز العناية عليه ، إذ مهما بلغ جهد المخلوق واستطاعته في الثناء على الخالق فإنَّه لا يستطيع أن يحيط بمقام عظمته وجلال قدره عزّ وجلّ ، كما تقدّمت (نَعْمَاءَهُ) على (العادّونَ) فانصرفت العناية هنا لبيان أنَّ نعمهُ سبحانه على عباده لا تُعدُّ ولا تُحصى ، كما تقدم (حقَّه) على (المجتهدون) لأنهّ مصدر الاهتمام والعناية .
ونلحظ أنّ هذه العبارات الثلاث قد جاءت في سياق نفي عن طريق ، تسلط الفعل المضارع المسبوق بـ (لا) النافية على المفعول به مباشرة بوصفه ((الغاية من الكلام وأنَّ الاهتمام به يفوق كل اهتمام بغيره من ألفاظ الجملة)) (4) ممّا أدّى إلى تخصيص نفي وقوع الفعل عليه ؛ وذلك لبيان عجز العباد عن الإيفاء بحق خالقهم مهما عملوا إذْ إنَّ ((حق الله سبحانهُ يقاسُ بعظمته وجهد الإنسان يقاس بطاقته ، والفرق بين هذه الطاقة وتلك العظمة

1 - المحتسب : 1/ 65-66
2 - ينظر : شرح المفصل : 147/1 ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : 129/2
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 81/1
4 - البناء اللفظي في لزوميات المعري :224

تماما كالفرق بين الخالق والمخلوق ، وهنا يكمن سر العجز عن أداء حق الله))[1] كما أسهم تقديم المفعول به في المحافظة على التناسب الصوتي المتمثل في مجيء صوت (النون) رويا لثلاث فواصل مما أدّى ذلك إلى خلق الإيقاع والنغم الموسيقي . فلو أُخِّر المفعول به لذهب هذا التناسب . ومن نماذجه التي احتضنت تقديم المفعول به في سياق النفي قوله 8 في خطبة له يحث فيها الناس على الجهاد بعد أن بلغه خبر هجوم جيش معاوية على الانبار ((ثُمَّ انصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُم كَلْمٌ ، وَلاَ أُرِيقَ لَهُم دَمٌ)) [2] قُدِّم المفعول به (رجلا)على الفاعل (كَلْمٌ) بوصفه المحور الذي يودُّ الحديث عنه ؛ إذ نفى أن يكون الجرح قد أصاب أي رجل من رجال معاوية ، ولكن من الممكن أن يكون قد أصاب رجلا من أهل الأنبار كما حقق هذا التقديم التناسب الصوتي بين العبارتين ؛ إذ ختمت الفاصلتان (كَلْمٌ) ، (دَمٌ) بصوت (الميم) مّما أضفى حفيفهُ في النص رونقاً وأثراً في السمع.

ومنه كذلك قوله 8 في خطبة له : (وَلاَ يُنقِصُ سُلْطَانَك مَنْ ، عَصَاكَ وَلاَ يَزِيدُ فِي جَلَالِكَ مَنْ أَطَاعَكَ ، وَلاَ يَرُدُّ أَمْرَك مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ) [3].

قدّم المفعول به هنا في جملتين ، فقّدم في الأولى (سُلْطَانَك) على الفاعل المتمثل في اسم الموصول (مَنْ) وفي الأخرى (أَمْرَكَ) على الفاعل اسم الموصول (مَنْ) أيضا للعناية والاهتمام بهما لتعلقهما بالله تبارك وتعالى خاصة ، فلو أنّه قال 8 : (لا ينقص مَنْ عصاك سلطانك) ، (ولاَ يرُدُّ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ أَمْرَكَ) لجاء النفي شاملا للفاعل أكثر من المفعول وعليه يمكن أن ينقص سلطانه غير العاصين ويرد أمره غير الساخطين لقضائه ولكنه نفى حصول ذلك بتقديمه المفعول مما أفاد تخصيص نفي وقوع الفعل عليه.

وقد يحقق تقديمه مع الاهتمام والعناية المحافظة على التماسك التركيبي للعبارة ، ويتم ذلك عندما يتصل المفعول به بضمير يعود على ما يتقدمه من كلام . من ذلك قوله 8 في مقام النصح والإرشاد : (فَلاَ تَسْتَعمِلُوا الرَّأيَ فِيمَا لاَ يُدْرِكُ قَعْرَهُ البَصَرُ ، وَلاَتَتَغَلْغَلُ إليه الفِكَرُ) [4] نهى الإمام مخاطبيه من أن يستعملوا الرّأي من دون علم يكون أساسا له لاسيما إذا تعلق الأمر بصفات الله تعالى ؛ لذا نراه يقدم ما يشير إلى ذلك فجاء بالمفعول به (قَعْرَهُ) متصلا بضمير يعود على محور الكلام الذي سبقه والمتمثل في لفظة (الرّأي) مقدما على الفاعل (البصر) مسلطا عليه النفي مباشرة ليفيد نفي وقوع الفعل عليه ، وقد أسهم ذلك في تماسك العبارة ، كما حقق التقديم الفائدة الصوتية متمثلة بمجيء صوت (الراء) رويا لنهايات فواصل العبارتين ، فهو ((صوت مجهور مكرر يضرب اللسان معه في اللثة ضربات

1 - في ظلال نهج البلاغة : 1/17-18 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 61/2
3 - المصدر نفسه : 152/7 ، وينظر : 90/2 ، 18/10 ، 140
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 290/6

متتالية)) [1] فأحدث رنينه ضربا من الإيقاع والموسيقى المنغمة في النص ومنه كذلك قوله 8 في القران : (وَهَنَازِلُ لاَ يَضِلُّ نَهْجَهَا اَلسَافِرُونَ)[2] بعد حديث طويل تناول فيه صفات القرآن نراه يقدّم في هذه الصفة المفعول به (نَهْجَهَا) والمتصل بضمير يعود على بداية الكلام على الفاعل (المسافرون) في سياق نفي ليؤكد نفي وقوع الفعل عليه مّما أدّى ذلك إلى ترابط التركيب عن طريق استمرار التواصل الذهني لدى المخاطب مع هذه الصفات .

في سياق الاستفهام :

ورد ذلك في موضعين هما :

قال 8 في خطبة له : (وَكَيْفَ يُرَاعِي الرَّأْدَةَ [3] مَنْ أَصْمَتَهُ الصَّبْحَةُ !) [4] قدم المفعول به (النَّبأةَ) على الفاعل المتمثل في اسم الموصول (مَنْ) ، وجعله في حيز الاستفهام لينبه المخاطب على أنَّ المتقدم يمثل محور اهتمامه ، وقد جاء هذا الاستفهام مفرّغا من دلالته الحقيقية ليفيد دلالة التعجب . وقال 8 : (كَيْفَ يَصِفُ إِلَهَهُ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ) [5]

قدم المفعول به (إِلَهَهُ) على الفاعل المتمثل في اسم الموصول (مَنْ) في سياق الاستفهام لأنهَّ محور المعنى . جاء هذا الاستفهام ، وقد تحرر من ربق الدلالة الحقيقية لينطلق إلى فضاء دلالة التعجب ((والى هذا الغرض كان يترامى ، وإياه كان يقصد ، وإنّما مهّد حديث الملك والجنين توطئة لهذا المعنى الشريف ، والسر الدقيق)) [6]

في سياق الإثبات :

وقد أفاد الدلالات الآتية :

الاهتمام بالمتقدم :

من ذلك قوله 8:(هَذَا وَكَم يَخْرِقُ الكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ ،وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ)[7]

قدم المفعول به (الكوفة) لينبئ عن اهتمامه به ، وأَنَّ مدار الحديث منصبُ عليه ، ونلحظ هنا أنَّ للإيقاع الصوتي أثرا بارزا في تقديم المفعول به على الفاعل فلو أنَّه قال : (هذا وكم يخرق من قاصف الكوفة) لاختل إيقاع العبارة ولذهب الحسن الذي كانت عليه ، وهكذا نجده يحقق الدلالتين معا الدلالة المعنوية (الاهتمام) ، والدلالة الصوتية التي ،

1 - دراسة الصوت اللغوي : 340 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 152/10 ، وينظر : 2/ 245 ، 9/ 140 ، 217 ، 10/ 69 .
3 - الصوت الخفي ، لسان العرب مادة (نَبَأ) : 14 /10
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 199/1
5 - المصدر نفسه : 185/7 .
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 7 / 186 .
7 - المصدر نفسه: 7 / 76 .

تمثلت في مجيء الفاصلتين على تفعيلة واحدة هي وزن (فاعل) فضلا عن الجناس الناقص بتغير الحرف الأول الذي وقع في أول الفاصلتين ما أدّى ذلك إلى إشاعة إيقاع موسيقي يشدُّ السامع إليه .

ومنه قوله 8 :(وَأَزْهَقَ التَّرحَالَ عِبَادُ اللهِ الأَخْيَارُ)[1] قدم المفعول به (الترحال) على الفاعل (عبادُ الله) ليكشف عن مدى الاهتمام به ، وأنَّه نقطة الارتكاز التي يتمحور حولها الحديث ، فأفاد التقديم قيمة دلالية تمثلت في إبراز أثر العمل دون إبراز صانعه [2] . ولا يخفى على القارئ ما للإيقاع الصوتي من أثر بارز في هذا التقديم فلو قال : (وأزمع عباد الله الأخيار الترحال) لما أدركنا هذا الإيقاع ؛ لتجمّع أصوات المد في نهاية العبارة . فالتقديم جعل صوت المد يأخذ موقعه المناسب قبال صوت المد الآخر الواقع في آخر العبارة [3] ، أضف إلى ذلك التجانس الحاصل بين صوتي (اللام والراء) مما حدا بالعبارة لأن تتشح بفيض من الإيقاع الجميل والنغم الموسيقي .

ومن أمثلته ماجاء في خطبة له 8 في توحيد الله سبحانه إذ يقول : (سَبَقَ الأَوقَاتَ كَونُهُ ، والعَدَمَ وجودُهُ ، والابتِدَاءَ أزلُهُ) [4]

جاء المفعول به في هذه العبارات الثلاث والمتمثل بـ (الأوقات) ، (العدم) (الابتداء) وهي أمور لها الأولوية في الوجود على كل شيء ، مقدما على الفاعل (كونُهُ)،(وجودُهُ) ، (أزلُهُ) ؛ لتنبيه المخاطب على أهمية المتقدم وللدلالة على قدرة الله تعالى المطلقة كما أسهم هذا التقديم في تحقيق التناسب الصوتي بما تمتعت به هذه العبارات من سجع لطيف تمثل في خواتيم فواصلها .

تقديم المفعول به لكثرة الألفاظ المتعلقة بالفاعل :

يقدم المفعول به في بعض الأحيان ، لان تأخيره عن الفاعل قد يؤدّي إلى خفائه وصعوبة تمييزه من قبل المخاطب [5] من ذلك قوله 8 (وَلَقَد شَغَا وَحَاوِحَ 6 صَدْرِي أنْ رَأَيْتُكُم بِأَخَرَةٍ تَحُوزُونَهُم كَمَا حَازُوكُم ، وَتَرِبُلُونَهُم عَنْ مَوَاقِفِهِم كَمَا أَزَالُوكُم)[7] قُدِّم المفعول به (وحاوح صدري) على الفاعل مراعاة لحال المخاطب ؛ لأنَّ تأخيره قد يجعل المخاطب في وضع يصعب فيه تمييزه لكثرة الألفاظ المتعلقة بالفاعل ، وقد يريد بذلك اختصاص الفعل

1 - المصدر نفسه : 10 / 79 .
2 - ينظر : اللسانية التوليدية والتحويلية : 86 .
3 - ينظر : الجملة الفعلية في نهج البلاغة : 24 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 54/13
5 - ينظر : الجملة العربية في ضوء الدراسات الحديثة : 121 .
6 - الوحوحة : صوت مع بحح ..... والأصل في الوحوحة:الصوت من الحلق.لسان العرب مادة (وحح) 15/ 229.
7 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 140/7 .

بالمفعول به في مقام التألم والشكاية فضلا عما يحمله الجناس الاشتقاقي في (تحوزونهم – حازوكم) ، (تزيلونهم – أزالوكم) من طاقة إيحائية تعزز الدلالة في النص . ومنه كذلك قوله 8 في بيان فضل الصلاة :(وَقَدْ عَرَفَ حَقَّها رِجَالٌ مِن الْمُؤْمِنِينَ الذين لاَ تَشْغَلُهم عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ ، وَلاَ قُرَّةُ عَينٍ من وَلَدٍ وَلاَ مَالٍ) [1] قدم المفعول به (حقَّها) على الفاعل (رجال) ؛ ليؤكّد ذلك الحق بإبرازه إيّاه ، فلو أخّره عن الفاعل لأدّى ذلك إلى صعوبة تمييزه لكثرة ما ذكر من صفات تتعلق بالفاعل .

دفع توهم إرادة غير المراد :

من أمثلته قوله 8 : (حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ حُجَّتُهُ وَبَلَغَ الْمُقْطَعَ عُذْرُهُ وَنُذُرُهُ) [2]

نجده يقدم المفعول به (المَقْطَعَ) على الفاعل (عُذرُهُ) ليرفع بذلك احتمال توهم المخاطب إرادة غير المراد .

ومنه كذلك قوله 8 : (فَقَدْ أَصْبَحْتُم فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيه الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم) [3].

فقد قدم المفعول به (الرَّجعَةَ) على الفاعل ليزيل بذلك توهم المتلقي بان يكون الذين قبلهم قد سألوا غير (الرَّجعة).

تقديم المفعول به لالتصاقه بالفعل :

قال 8 : (وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُم ذِكْرٌ الْمَرْجِعِ ، وَأَرَاقَ دُمُوعَهُم خَوْفُ الْمَحْشَرِ)[4]

قُدِّم المفعول به (أبصارهم) على الفاعل (ذِكْرُ المرجع) و (دموعَهم) على الفاعل (خوفُ المحشر) ؛ لالتصاقه بالفعل أكثر من الفاعل ، إذ إنَّ الغالب في صفة (الغض) أن تكون مرتبطة بـ (البصر) بخلاف الإراقة التي تكون للدموع وغيرها [5]، فضلا عن الإيقاع الموسيقي المتمثل في التوازن الصوتي الحاصل بين (ذكر المرجع) و (خوف المحشر) . فهو في مقام يتحدث فيه عن المتقين .

تقديم المفعول به على الفعل :

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 10 / 158 ، وينظر : 320/6 ، 208/8 .
2 - المصدر نفسه: 7 / 5 .
3 - المصدر نفسه : 92/10 .
4 - المصدر نفسه: 2 / 138.
5 - ينظر : الجملة الفعلية في نهج البلاغة : 25 .

يجوز تقديم المفعول به على الفعل إذا خلا مما يوجب تأخيره [1] ، وهذا التقديم أنما يكون على حالتين :

الأولى : أن يتقدم على الفعل من دون اشتغال الفعل بضمير عائد على المفعول به نحو قوله تعالى : ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [2]

الأخرى : هو أن يشتغل الفعل عن الاسم المتقدم عليه بضميره أو ملابسه [3] نحو قوله تعالى : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ ﴾ [4]

وقد جاء تقديمه ضمن الحالة الأولى فقط وفي سياقات مختلفة محققا بذلك دلالات معنوية أشار إليها السياق .

في سياق النفي :

جاء تسليط النفي على المفعول به مباشرة لينفي عنه وقوع الفعل ويثبته لغيره .

من ذلك قوله 8 : (ثُمَّ أرسَلْتَ دَاعِياً يَدْعُو إلَيْهَا ، فَلاَ الدَّاعِيَ أَجَابُوا وَلاَ فِيْمَا رَغَّبْتَ رَغِبُوا وَلاَ إلى مَا شَوَّقْتَ إلَيْهِ اشْتَاقُوا) [5]. نراه يسلط (لا) النافية على المفعول به (الدَّاعِيَ) المقدم على الفعل (أجاب)؛ ليؤكد اختصاص نفي وقوع الفعل على هذا المفعول ويثبته لغيره بمعنى أنَّ هذا المفعول ممكن أن تحصل له الإجابة .

ومنه كذلك قوله 8 : (وَمِنَ العَنَاءِ أَنَّ المَرْءَ يَجْمَعُ مَا لاَ يَأْكُلُ وَيَبْنِي مَا لاَ يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إلى اللهِ تَعَالَى لاَ مَالاً حَمَلَ ، وَلاَ بِنَاءً نَقَلَ) [6] .

قدم المفعول به هنا في موضعين (مالاً) ، (بناءً) ليلي أداة النفي (لا) مفيدا بذلك اختصاص النفي به . بمعنى أنَّ الإنسان يمكن أن يحمل معه في ذلك اليوم أشياء أخرى غير الأموال والدور كالعمل الصالح مثلا وهو ما أوحى به السياق .

ومنه أيضا قوله 8 : (مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ ، وَلاَ حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ ، وَلاَ إيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ ، وَلاَ صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ) [1]

---

1 - ينظر : شرح ابن عقيل : 1 / 440 ، اوضح المسالك : 2/ 137.
2 - البقرة / من الآية 87
3 - ينظر : شرح التصريح على التوضيح : 1/ 296
4 - النحل / من الآية 5 .
5 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 157/7
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 195/7 .

نلحظ في هذا القول أربع جمل كُلهُّا في سياق نفي جاء المفعول به في اثنتين منها مقدما على فعله ليفيد تخصيص نفي الفعل بالمفعول تمثل ذلك في قوله 8 : (ولا حقيقتَهُ أصابَ مِنْ مثلِهِ ، ولا إيَّاهُ عَنَى مِنْ شَبَهِهِ) في حين جاء متأخرا عن فعله في الجملتين الاخريتين ليفيد نفي وقوع الفعل مطلقا تمثل ذلك في قوله : (ما وَحَدَهُ مِنْ كَيَّفَهُ) وقوله : (وَلاَ صَمَدَهُ مَنْ أشارَ إليه وتوهّمَهُ).

في سياق الاستفهام

إذا تم العدول في النمط التركيبي للجملة المكون من (أداة الاستفهام + الفعل + الفاعل + المفعول به) والدال على إنكار أصل الفعل . بان يلي أداة الاستفهام المفعول به لانتقلت دلالة الإنكار تلك من عنصر الفعل إلى عنصر المفعول به ، وقد ورد هذا النمط من التقديم في موضع واحد فقط وهو ما جاء في خطبة له 8 في ذم الدنيا إذ يقول : (أفَهَذه تُؤثِرُونَ ، أمْ إلَيْهَا تَطمَئِنُّونَ ، أمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ) [2].

واسم الإشارة (هذه) العائد على الدنيا هو المفعول به المقدم على الفعل (تؤثرون) في جملة مصدرة بهمزة استفهام تحررت من دلالتها الوضعية لتفيد الإنكار والتوبيخ وقد جرى تقديم المفعول على الفعل ؛ لأنَّه أهم من فعله ولكون الإنكار متجهاً إليه كما عمل التضاد الحاصل بين حرفي الجر (إليها) و (عليها) على إثراء الدلالة في النص ؛ إذ جاء كل منهما متساوقا مع فعله .

في سياق الإثبات :

يفيد تقديم المفعول به على الفعل في الأغلب الأعم الاختصاص وهو من أهم الأغراض التي أشار إليها القدماء [3].

من ذلك قوله 8 من كلام له للخوارج : (حُكْمَ اللهِ انْتَظِرُ فيكُم)[4]. فقد قدم 8 المفعول به (حُكْمَ الله) على الفعل (انتظر) ليحقق بذلك اختصاص الفعل بمفعوله ، جاء ذلك في ردّه على الخوارج لمّا سمع قولهم : (لا حكم إلاَّ لله) فقصروا الحكم على الله فكان جوابه 8 موافقا لرأيهم بان قصر انتظاره فيهم على (حكم الله) . وهو ما أفاده تقديم المفعول به وقد يفيد إزالة الوهم من ذهن المخاطب بأنَّه أراد غير ذلك .

---

1 - المصدر نفسه : 54/13

2 - المصدر نفسه : 178/7.

3 - ينظر مفتاح العلوم : 339 ، شرح الكافية : 3 / 36 ، الإيضاح : 115 ، الاتقان : 51/2

4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 241/2 .

ومنه قوله 8 في كلام له عند تلاوته قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [1] : (وحقًّا أقولُ) [2] . و(حقاً) جاء مفعولا به مقدما على الفعل (أقول) ؛ ليؤكد اختصاص المفعول به بالفعل وقصره عليه ، وهذا ما يضمن تعميق الإحساس بالمعنى لدى المخاطبين والمتمثل في صدق وأهمية ذلك القول . كيف لا ؟ والقول صادر منه 8 .

تقديم شبه الجملة :

ومن مظاهر التقديم أيضا تقديم شبه الجملة (الظرف والجار والمجرور) وفي السعة منها تقديم الجار والمجرور ؛ إذ لا يغيب عنا ((أنَّ الجار والمجرور في النصوص العربية وحدة تعبيرية رئيسة،ومكون بارز من المكونات النحوية المعبرة عن العلاقات الداخلية بين أجزائها)) [3]

وحقُّ شبه الجملة التأخير عن عاملها إلاَّ أنَّ هذه الرتبة قابلة للتغيير ؛ إذ يجوز تقديمها على عاملها [4] ؛ وذلك لما تنماز به شبه الجملة من مرونة تسمح للمتكلم أن يستعملها بحرية وفق ما يقتضيه الحال والمقام ، وقبل أن نستعرض أمثلة هذا التقديم ، نشير إلى أنَّه كان أكثر أنماط التقديم هيمنة في خطب نهج البلاغة .

تقديم شبة الجملة على المسند (الفعل) :

لقد جاء تقديم شبه الجملة (الظرف والجار والمجرور) على الفعل في سياقات مختلفة هي:

في سياق النفي :

يفيد تقديم الظرف أو الجار والمجرور على الفعل في سياق النفي ، نفي الفعل عنهما وإثباته في غيرهما ((فإذا قلت : (ما أمرتك بهذا) كان المعنى على نفي أن تكون قد أمرته بذلك ، ولم يجب أن تكون قد أمرته بشيء آخر ، وإذا قلت : (ما بهذا أمرتك) كنت قد أمرته بشيء غيره)) [5]

من أمثلته ماجاء في خطبة له 8 إذ يقول : (أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُم قُبُوراً وَهَا جَمَعُوا بُوراً ، وَصَارَتْ أَمْوَالُهُم لِلْوَارِثِينَ ، وَأَزْوَاجُهُم لِقَوْمٍ آخَرِينَ ، لاَ فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ ، وَلاَ مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ) [6] قُدِّم كل من الجار والمجرور (في حسنة) و(من سيئة) على كل من الفعل المضارع (يزيدون) و (يستعتبون) الدال على التجدد والاستمرار في سياق نفي ليفيد دلالة نفي الفعل عنه وإثباته في غيره ، أي أنَّ كُلاً من الزيادة والاستعتاب حاصل لهم ولكن في غير ما ذكر . أما

---

1 - الانفطار/ 6
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 183/11 .
3 - دور الكلمة في اللغة : 51 .
4 - ينظر : الكتاب : 179/1 ، المقتضب : 389/4 الخصائص : 300/1-301 .
5 - دلائل الإعجاز : 164 ، وينظر : حسن التوسل : 153
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 206/8 .

رعاية الفاصلة فواضحة ، وهي مّما قرَّ في مكانه ؛ إذ احدث صوت (النون) الذي جاء رويا للفواصل فيضا من النغم الموسيقي .

ومنه كذلك قوله 8 في خطبة له : (وَلاَتَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ ، لاَ فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ ، وَلاَ عَنْ اللهِ يَعْقِلُونَ)[1] نراه يبدأ خطابه بالنهي لهم عن العودة إلى زمان الجاهلية والاتصاف بصفات أهل ذلك الزمان . فالجار والمجرور المقدمان في هذا القول هما : (في الدين) ، (عن الله) ، وقد قُدِّما في سياق نفي على كل من الفعل (يتفقهون) و(يعقلون) للدلالة على نفي الفعل عنهما وإثباته لغيرهما فالتفقه والتعقل موجود لديهم ولكن في غير الجار والمجرور تقريعا وتأنيبا لهم . فضلا عما أحدثه التقديم من تناسب صوتي في خواتيم الفواصل .
أمَّا الظرف فلم يقدم على الفعل في سياق النفي .

في سياق الاستفهام :

يجيء الظرف أو الجار والمجرور مقدَّما على الفعل في سياق الاستفهام ليغدو محط الاستفهام إذا كان حقيقيا أو محط الإنكار إذا كان الاستفهام إنكاريا [2].
من ذلك ما جاء من كلام له 8 قاله بعد تلاوته ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[3]: (أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ ، أَمْ بِعَدَدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثَّرُونَ) [4].
جاء كل من الجار والمجرور (بمصارع آبائهم) و(بعديد الهلكى)،بعد أداة الاستفهام (الهمزة) مقدّماً على كل من الفعل (يفخرون) و (يتكاثرون) ليتسلط الإنكار عليهما ، فالإمام 8 لم ينكر عليهم التفاخر والتكاثر ، وإنما أنكر عليهم محل التكاثر والفخر توبيخا لهم ، كما ساعد التقديم في مراعاة التناسب الصوتي للفواصل .
ومنه كذلك قوله 8 : (أَعَنْ دِينِ اللهِ أَبْتَغِي لِتَخْدَعَنِي) [5]

باشرت همزة الاستفهام الجار والمجرور (عن دين الله) متقدما على الفعل (أتيتني) ليصبح بؤرة الإنكار، فالإمام عليه السلام لم ينكر على المخاطب فعل (الإتيان والخديعة) وإنمّا أنكر عليه أن يكون ذلك (عن دين الله) أمّا الظرف فلم يقدم على الفعل في سياق الاستفهام .

في سياق الإثبات :

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 216/9 ، وينظر : 157/7 ، 115/11 ، 75/13
2 - ينظر: في البنية والدلالة : 147.
3 - التكاثر /1-2 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 111/11.
5 - المصدر نفسه: 188/11 ، وينظر : 178/7 ، 222 ، 83/8 ، 187 ، 157/9 .

يفيد تقديم الظرف أو الجار والمجرور في سياق الإثبات في الأغلب الأعم الاختصاص[1].

من ذلك قوله 8:(إلى الله أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالاً ، وَيَمُوتُونَ ضُلَّالاً)[2].

إنَّ استغراب الإمام ودهشته مما هم عليه دفعته إلى أن يقدم الجار والمجرور (إلى الله) على الفعل (أشكو) ليؤكد قصر شكواه على الله سبحانه وهو قصر أضافي . فلو تأخر الجار والمجرور لذهب ذلك المعنى .

ومنه كذلك قوله 8 : (وإِنَّا لأُمَرَاءُ الكَلاَمِ، وَفِينَا تَشَبَّتْ عُرُوقُهُ وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ)[3] قدّم 8 كُلاً من الجار والمجرور (فينا) و (علينا) حاملين ضمير المتكلم على كل من الفعل (تنشّبت) والفعل (تهدّلت) ؛ ليكشف عن اعتداده بنفسه . كما أسهم في تأكيد شدة التصاق الصفة بهم مجيء الأفعال على صيغة (تفعّل) للدلالة على القوة في إيراد الكلام والتمكن من ناحية اللغة ، فضلا عن تأكيد اختصاصهما بمحور الكلام وقد يفيد تقديمهما التخصيص مع المحافظة على تماسك السياق وترابطه لاسيما أذا اتصلت شبه الجملة بضمير يعود على محور الكلام الذي يسبقها من ذلك ما جاء في خطبة له يتحدث فيها عن التقوى إذ يقول : (فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ ، وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ ، ونَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ ، بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ ، وَيَنْجُو الهَارِبُ ، وَتُنَالُ الرَّغَائِبُ) [4]

بعد حديث طويل تناول فيه أهمية التقوى وتعداد صفاتها نجده يعاود الحديث عنها مرة أخرى بتركيب يقدم فيه شبه الجملة الجار والمجرور (بها) والتي تحمل ضميرا يعود على بداية الكلام (التقوى) على الفعل (ينجح) عاطفا عليه الفعلين (ينجو) و (تنال) ليؤكد دلالة الاختصاص وليحافظ على تماسك السياق عن طريق جعل تلك الصفات حاضرة في ذهن المتلقي .

وقد لا يفيد تقديمه الاختصاص والحصر وإنّما العناية والاهتمام بالمتقدم كما في قوله 8 : (فَبِالإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الإِيمَانِ ، وَبِالإِيمَانِ يُعْمَرُ العِلْمُ ، وَبِالعِلْمِ يُرْهَبُ المَوْتُ ، وَبِالمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا ، وبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الآخِرَةُ ، وَبِالعِبَادَةِ تُزْلَفُ الجَنَّةُ ، وَتُبْرَزُ الجَحِيمُ لِلغَاوِينَ)[5]. لقد قدم الجار والمجرور في هذه الجمل السبع على المسند (الفعل) من أجل جذب انتباه السامع إليه والتأكيد على أهميته وتقوية حضوره في ذهنه .

1 - ينظر : المثل السائر : 2/24-25 ، معاني النحو : 140/1 ، التعبير القرآني :48 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 262/1 .
3 - المصدر نفسه: 12/13 ، وينظر : 143/1 ، 144 ، 199 ، 138/7 221 ، 237/13
4 - المصدر نفسه: 6/13 ، وينظر : 51/11 ، 112/13
5 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 154/9 ، وينظر :289/6 ، 63/7 ، 138، 13/9،35/32

ومن تقديم الظرف قوله 8 عند حضور الفتنة : (فَيَوْمِئِذٍ لاَ يَبْقَى فِي السَّماءِ عَاذِرٌ ، وَلاَ فِي الأَرْضِ نَاصِرٌ)[1] فقد قدّم الظرف (يومئذ) على الفعل المضارع المنفي (لا يبقى) ليفيد تخصيص انتفاء بقاء المعذرة والنصرة لهم في ذلك اليوم . أضف إلى ذلك ما أضفاه التقديم من تناسب صوتي تحقق في مجيء خواتيم الفواصل على زنة واحدة (فاعل) ومنه كذلك قوله 8 : (فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ) [2] قُدَّم الظرف (عند) على الفعل (يقع) ؛ ليفيد تخصيص الفعل به أي أنَّ الفعل لا يقع إلاَّ في هذا الظرف ، وهو ما أبرزه تقديم الظرف وألمح إليه السياق ؛ إذ أفاد دلالة التركيز على البعد المكاني للحدث ، كما أفاد رد العجز على الصدر في قوله : (براءة – البراءة) دلالة التأكيد على معنى (البراءة) فضلا عن إشاعته النغم الموسيقي من خلال الترديد . وقد يفيد تقديم الظرف العناية والاهتمام كما في قوله 8 :(الْيَوْمَ تُبْلَى الأَخْبَارُ)[3] يعد الظرف (اليوم) المحور الرئيس الذي يتجه إليه الخبر ؛ لذا جاء به مقدَّما على الفعل (تُبلى) ليؤكد أهميته في ذهن السامع .

ومثل ذلك يقال في قوله 8 : (غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي ، وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي ، وَتَعْرِفُونِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكَانِي ، وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي)[4]

تقديم شبه الجملة (الظرف أو الجار والمجرور) على المسند (الخبر) :

يفيد تقديم شبة الجملة (الظرف أو الجار والمجرور) على المسند (الخبر) الدلالة نفسها في تقديمها على المسند (الفعل) وهي دلالة الاختصاص .

من ذلك قوله 8 : (لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيباً) [5] أفاد تقديم الجار والمجرور (بهذا) على خبر أصبح (غريبا) اختصاص غربته في هذا المكان دون غيره .

ومنه كذلك قوله 8 في الدنيا : (الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ ، وَالأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ)[6] فقد قدم شبه الجملة (فيها)،(منها) على كل من الخبر (مذموم)،(معدوم)،لاختصاص الذم والعدم بها،وليجعل من ذلك تقسيما صوتيا ينتج عن تكرار الصيغ ومراعاة الفاصلة.

---

1 - المصدر نفسه : 167/9 .
2 - المصدر نفسه : 77/13 ، وينظر : 188/3 ، 36/7 ، 149 ، 226 ، 179/9
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6/8
4 - المصدر نفسه : 90/9 وينظر : 199/1 ، 289/6 ، 83/8
5 - المصدر نفسه : 94/11
6 - المصدر نفسه : 97/11 – وينظر :18/2 ،234 ،253 ،42/4 ،118/5 ، 44/6 ، 217 ،26/7، 93،11 /197 ، 205 /69/13

ولم تقتصر دلالة الاختصاص على تقديم الجار والمجرور بل تجاوزته إلى تقديم الظرف .
من ذلك ما قاله 8 في خطبة تحدث فيها عن صفات الله وصفات رسله (β) ثم تحدث عن ابن عمّه المصطفى (9) واصفا حال الناس الذين بعث إليهم : (وأَهْلُ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ)[1] قدّم الظرف (يومئذ) على الخبر (مِلَلٌ متفرقةٌ) معطوفا عليه الأخبار الأخرى لتخصيص الخبر به معمقا بذلك دلالة عدم الاتحاد التي كان عليها الناس إبّان البعثة .
ومنه كذلك قوله 8 في الدنيا : (فَإِنَّمَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَيْءِ الظِّلِّ) [2].قدّم الظرف (عند) مضافا إلى (ذوي العقول) على الخبر (كفيء الظل) ليقصر معرفة صفتها تلك على أولي الألباب .

تقديم شبه الجملة (الظرف والجار والمجرور) على المسند إليه (الفاعل ونائبه) :

ذكر البلاغيون أنَّ الغرض من تقديم الظرف والجار والمجرور على المسند إليه (الفاعل ونائبه) هي العناية والاهتمام به [3].
من ذلك قوله 8 في بيان قدرة الله تبارك وتعالى : (وانقَادَت لَهُ الدُّنيَا والآخِرَةُ بِأَزِمَّتِهَا ، وَقَذَفَتْ إليه السَّمَوَاتُ والأَرْضُونَ مَقَالِيدَهَا ، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالغُدُوِّ والآصَالِ الأَشجَارُ النَّاضِرَة)[4]قدّم الجار والمجرور (لَهُ) ؛ (إليه) ؛ (لَهُ) على الفاعل (الدُّنيا والآخرةُ) (السَّمواتُ والأرضون)، (الأشجارُ الناضرةُ) للعناية والاهتمام به ، ومما ساعد في تقوية هذا المعنى ما جاء في النص من استعارات ؛ إذ استعار لفظ (أزمّتها) إلى الدنيا والآخرة ليفيد نفوذ حكمه جلّ وعلا فيهما فاليه يرجع الأمر كُلُّه، كما أوضحت الاستعارة التخييلية في قوله: (وقذفت إليه السموات والأرضون مقاليدها) مدى طاعتهما له وتصرفه المطلق فيهما ثم استعار لفظ (السجود) للأشجار للدلالة على الخضوع .
ومنه كذلك قوله 8 في المنافقين الذين حاربوا رسول الله (9): (وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الأَدنَوْنَ ، وتألَّبَ عَلَيْهِ الأَقصَوْنَ، وَخَلَعَتْ عَلَيهِ العَرَبُ أعِنَّتَهَا)[5] قدّم الجار والمجرور (لَهُ)،(عليه)،(عليه) على الفاعل (الأدنون)،(الأقصون) (العربُ) للعناية والاهتمام، فالمجرور ضمير يعود على شخص

1 - المصدر نفسه: 125/1 -126
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 114/5 وينظر : 235/1 ، 150/10 ، 7/11 ، 112 .
3 - ينظر : مفتاح العلوم : 342 – 345 ، المعاني في ضوء أساليب القرآن :212
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد :208/8 .
5 - المصدر نفسه: 128/10 وينظر :111/1 ، 142 ، 154 ، 199 ، 204 ، 300/6 ، 320 ، 192/7 ، 82/9 ، 185 ،22/11، 49 ، 51 ، 65 ، 66/13 .

النبـي الأكـرم (9) فضـلا عـن التناسـب الصـوتي الـذي أحدثـه التقـديم لاسـيما فـي الجملتين الأولى والثانية، إذ جاء صوت (النون) رويا

لفاصلتيهما . بالإضافة إلى وحدة الاشتقاق وتوازن بدايات الجمل وتحقق التضاد لشمول المعنى المراد .

ومنه كذلك في تقديم الظرف قوله 8 :(وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُك)[1] قدم الظرف (بين) مضافا إلى (نحري وصدري) على الفاعل (نفسك) للدلالة على الفخر مع ما في ذلك من دلالة معنوية هي دلالة المحبة وشدة القرب والاعتزاز، فلو قدم الامام الفاعل نفسك على الظرف لكان القصد من ذلك التوجع والألم ومنه كذلك قوله 8 : (إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلاَلُ اللهِ سُبحَانَهُ فِي نَفْسِهِ وجلَّ مَوضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ - لِعَظمِ ذَلِكَ - كُلُّ مَا سِوَاهُ) [2].

قدم الظرف (عند) المضاف إلى ضمير الغائب على الفاعل (كُلُّ) للاهتمام والعناية به ومن صور تقديم شبه الجملة (الظرف والجار والمجرور) على نائب الفاعل قوله 8 : (لاَ يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ ، وَلاَ يُسَوَّى بِهِم مَنْ جَرَتْ نِعمَتُهُم عَلَيْهِ أَبَداً) [3].

قُدِّم كل من الجار والمجرور (بِآلِ مُحَمَّد) على نائب الفاعل (أحدُ) ؛ والجار والمجرور (بهم) على نائب الفاعل المتمثل في اسم الموصول (مَنْ) للاهتمام والعناية به . ومن شواهده قوله 8 مبيناً حال الإسلام في المستقبل : (سَيَأْتِي عَلَيْكُم زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الإِسْلاَمُ كَمَا يُكْفَأُ الإِنَاءُ بِمَا فِيهِ)[4].قدّم الجار والمجرور مرتين ، فقد قدم في الأولى (عليكم) على الفاعل (زمان) وقدم في الأخرى (فيه) على نائب الفاعل (الإسلام) للعناية والاهتمام وقد استطاع الإمام 8 أن يوظف المعنى المعجمي للفعل (يُكْفَأُ) [5] الدال على القلب توظيفا كاملا ليقرّر في أذهان متلقيه أنَّ فعل ذلك إنَّما يحدث نتيجة انحرافهم عن دينهم وتحرّك رغباتهم ويشير إلى هذا مجيء الفعل (يُكْفَأُ) بصيغة المضارع المبني للمجهول ، وقد ساعد على تقوية هذا المعنى وترسيخه استعماله 8 للصورة الحسّيّة البصرية المتمثلة في عملية إكفاء الإناء.

ومن أمثلته في تقديم الظرف قوله 8 في رسول الله (9) : (قَدْ صُرِفَت نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ الأَبْرَارِ)[6].لقد قدم الظرف (نحوه) المضاف إلى الضمير العائد على شخص النبي (9) على نائب الفاعل (أفئدة الأبرار) للعناية والاهتمام فقد صرف الله بلطفه وحسن عنايته أفئدة الأبرار

---

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 10/ 204

2 - المصدر نفسه : 78/11 وينظر:191/1، 42/4، 118/5 ،300/6، 322، 82/9 ،105، 222، 252، 115/11، 136 ،5/13،16.

3 - المصدر نفسه : 144/1 .

4 - المصدر نفسه:86/7 وينظر: 61/2، 138، 151، 236، 119/3، 199/6، 300،295،282 ،178/7، 224، 85/9،39 ،97، 106.

5 - كفأ الإناء وأكفأه: قَلَبه، أساس البلاغة مادة (كفأ): 2/ 139 ، وينظر لسان العرب مادة (كفأ) : 12 / 113.

6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد :52/7 وينظر :196/7 ، 69/13 ، 117 .

ووجّه أنظارهم إلى سيرة حبيبه الصّادق الأمين ورسالته السمحاء التي تشع بالهدى والنور .

تقديم شبه الجملة (الظرف والجار والمجرور) على المفعول به :

يفيد تقديم شبه الجملة على المفعول به دلالة العناية ولاهتمام بالمتقدم [1] من ذلك قوله 8 : (ووتّدَ بالصّخُورِ مَيَدانَ أرْضِهِ) [2] قّدم الجار والمجرور (بالصّخُور) على المفعول به (ميدانَ ، أرضه) للعناية والاهتمام فضلا عن جمال التصوير في العبارة القصيرة والمتأني من قوّة العلاقة المعنوية بين الفعل والجار والمجرور لِماَ بينهما من معنى القوّة والثبات ، فكما أنَّ الخيمة تثبّت بالوتد كذلك الأرض تثبّت بالصخور ، أضف إلى ذلك ما أوحت به صيغة (فعّل) من معاني القوة والتشديد .

ومن شواهده قوله 8 : (فلمّا رَأى اللهُ صِدْقَنَا أنزَلَ بِعَدُوِّنَا الكَبْتَ ، وأنزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ)[3] جاء تقديم الجار والمجرور على المفعول به في جملتين ، قدّم في الأولى (بعَدُوّنَا) على المفعول (الكَبْتَ) في حين قدم في الأخرى (عَلَينَا) على المفعول (النَّصْرَ) وما ذلك إلاَّ للعناية والاهتمام به .فضلا عن العلاقة المعنوية بين الفعل (أنزَلَ) وحرف الجر ، إذ أفادت في الأولى أنَّ القضية نفسيّة ، لأنَّها تناسب المشاعر وهو ما جاءت به الباء لأنها تفيد معنى الإلصاق ؛ لأنَّ الكَبْتَ أمرٌ معنوي غير ظاهر وهو لاصق بهم غير مستعلٍ عليهم . في حين أفادت في الأخرى الدلالة على أنَّ النّصر قد استعلى عليهم وهو ما جاء به حرف الجرّ (على) وكأنَّ النّصر رزقٌ من الله أو لطف إلهي ينزل على هؤلاء المؤمنين .

ومن أمثلته في تقديم الظرف قوله 8 : (وَلاَ تُنْسَوا عِنْدَ النَّعَمِ شُكْرَكُمْ)[4] قدّم الظّرف (عِنْدَ) المضاف إلى (النَّعَم) على المفعول به (شُكْرَكُمْ) للاهتمام والعناية بالمتقدم ومنه ما جاء من كلام لهُ 8 وقد شاوره عمر بن الخطاب0 في الخروج إلى غزوة الروم : (واحفِزْ[5] مَعَهُ أهْلَ البَلاَءِ والنَّصِيحَةِ)[6] .لقد أردف الإمام 8 قوله هذا بعد أن أشار عليه بعدم الخروج بنفسه ، وأن يرسل إليهم رجلا مجرّباً ، لذا نراه يقدّم الظرف (مع) مضافا إليه الضمير العائد على ذلك الرجل للعناية والاهتمام ، وليقرب بين الضمير وما يعود عليه .

---

1 - ينظر : المعاني في ضوء أساليب القرآن : 213 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد :81/1 .
3 - المصدر نفسه :4/ 26. ويُنظر: 110/1 ،131 ،227، 163/2 ، 253 ،3/ 262 ، 4/ 98 ، 5/ 136 ،6/ 193 ، 7/ 5، 9/ 59.
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 6/ 183.
5 - الحَفْزُ : حَثُّكَ الشيء من خلفه سوقا وغير سوق حَفَزَهُ يَحْفزُهُ حَفْزاً . لسان العرب مادة (حفز) : 3/ 238 .
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 227/8.وينظر:131/1، 154، 279، 147/2، 98/4، 324/6، 136/7، 75/9، 185، 104/10.

وبعد هذا العرض لأنواع التقديم نخلص إلى نتيجة مفادها . أنَّ للإمام علي (8) أسلوباً متميزاً يجري على نظام خاص يُراعي فيه التقديم والتأخير ، إذْ أنّني لم أجد لفظاً يتقدّم أو يتأخر إلاّ لغرض ، فجاءت الفاظُهُ 8 في المكان اللائق بها خدمة للمعنى وإثراءً للدلالة ليكون لها عميق الأثر في المتلقي .

الفصل الثاني

التعريف والتنكير

مدخـــــل

تمثل هذه الثنائية أسلوباً خاصاً من الاساليب المتعلقة بالاسم من دون غيره ، فالاسم في حال التعريف هو غير ما يكون عليه في حالة التنكير تبعا للمتكلم والسامع والحال والمقام.

والتعريف لغة هو الاسم الدّال على معين محدد وهو خلاف التنكير نقول : ((عّرفه الأمر : أعلمه إيّاه . وعرّفه به : وسمه .... والتعريف : الإعلام ، والمعروف ضد المنكر ..... والمعروف خلاف النكْر))[1] فالدلالة المعجمية لطرفي هذه الثنائية تبين لنا أنَّ التعريف يرتبط دلاليا بالوضوح والبيان والعلم بحقيقة الشيء ، أمّا التنكير فيرتبط دلاليا بالجهل بحقيقة الشيء وعدم تعيينه او تحديده ، فهو بذلك ضد البيان والوضوح [2].

والتعريف والتنكير ظاهرة عامة وجدت في اللغات كلها ، إذ جاء مفهومها متشابهاً في أغلب تلك اللغات وإنْ تباينت الوسائل والادوات المعبرة عنها [3]، وقد أشار الى ذلك أبو حيان الاندلسي (ت 745 هـ) بقوله : ((وبعض الالسن خالٍ من أدوات التعريف كلسان الترك ، وبعضهم فيه أداة التنكير وحذفها علامة التعريف كلسان الفرس ، وبعضهم مختلف الأداة في التعريف بالنسبة الى التذكير والتانيث ، وهذه كلها أوضاع لاتعلل))[4] .

كما تعد هذه الثنائية واحدة من المباحث النحوية والبلاغية التي عني بها النحويون ؛ إذ تشغل – نظرا لاهميتها – مجالا واسعا في معالجة الكثير من قضايا اللغة ؛ إذ تكاد تبسط هيمنتها على ابواب النحو العربي كلها فلا يخلو منها باب أوبعض باب ، وقد علل السيوطي (ت 911 هـ) ذلك بقوله : ((لما كان كثير من الاحكام الآتية تبنى على (التعريف) و(التنكير) ، وكانا كثيري الدور في ابواب العربية صدّر النحويون كتب النحو بذكرهما بعد الاعراب والبناء))[5] ومن ثم يمكننا القول : إنَّ اهتمام النحويين بطرفي هذه الثنائية نابع من استشعارهم بأهميتها في فهم الاحكام النحوية وتفسيرها والوقوف على المعنى المراد، وهذا يقودنا الى حقيقة مفادها أَنَّ كل عنصر من عناصر التركيب الجملي لايخلو من واحد من طر ف هذه الظاهرة النحوية البلاغية ، الأمر الذي قد يجد فيه المتكلم شيئا من الضبابية أو التعقيد الكامن في عدم القدرة على التمييز بين النكرة والمعرفة بسبب تداخل الالفاظ بعضها مع البعض الآخر ، وهو ما يلجئ المتكلم الى ضرورة اعتماد علامات للتمييز بينهما، ولقد ذلل النحويون ذلك التعقيد بوضعهم حدودا فاصلة باعتمادهم على معيارين اساسيين في الحكم على الكلمة بتنكير او تعريف هما :

---

1 - لسان العرب : مادة (عرف) : 9/ 153- 155 .
2 - ينظر: التعريف والتنكير في النحو العربي : 19 .
3 - ينظر: التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل : 11 .
4 - ارتشاف الضرب : 1/ 513- 514 .
5 - همع الهوامع : 1/ 185.

المعيار الشكلي ، والمعيار الدلالي[1] مما أسهم ذلك في تنوع الصور والوسائل في هذه الثنائية وتعددها فضلا عن تعدد مستويات تلك الصور والوسائل داخل المجال الواحد ، وهذا ما نلحظه جليا في ترتيب المعارف وكذلك النكرات .

أمّا أهمية هذه الثنائية ومالها من آثار بالغة في تركيب العبارة وما يصحبها من قيم فنية ودلالات تعبيرية فتبرز لنا بوضوح من الوقوف على علاقتها بمكونات الحدث اللغوي الثلاثة (المتكلم ، والخطاب ، والمخاطب) ، إذ يرى الأعلم الشنتمري (ت486 هـ) أَنَّها ترتبط بالمخاطب ارتباطا وثيقا من دون المتكلم ويتضح ذلك من قوله : ((اعلم أنَّ التعريف معلق بمعرفة المخاطب دون المتكلم،قد يذكر المتكلم ما يعرفُهُ هو ولايعرفه المخاطب فيكون منكورا، كقولك للمخاطب في داري رجل، ولي بستان، فتعرف الرجل بعينه والبستان وهو لايعرفهما))[2] والحقيقة أنَّ هذه الثنائية التركيبية تمثل بؤرة عملية التواصل اللغوي لما لها من علاقات سياقية تربطها بكل من (المتكلم ، والمخاطب) ؛ اذ إنَّ معرفة كل من طرفي هذه الثنائية لاتتوقف على علم المخاطب دون المتكلم ، فقد يذكر المتكلم أمراً يجهله هو كما يجهله المخاطب، فالتمييز بينهما إنَّما يعود الى المتكلم والمخاطب معاً ، وقد نبه عبد القاهر الجرجاني على أهمية وظيفة كل منهما في تركيب العبارة وبيان المعنى عن طريق نظرته التأملية الثاقبة لتلك الثنائية موضحا أهمية علاقتها بالمتكلم فيقول :(اعلم أنَّك إذا قلت : (زيد منطلق) كان كلامك مع من لم يعلم أنَّ انطلاقا كان لا من زيد ولا من عمرو ، فأنت تفيده ذلك ابتداء، واذا قلت : (زيد المنطلق) كان كلامك مع من عرف أنَّ انطلاقا كان، إمّا من زيد وإمّا من عمرو ، فأنت تعلمه أنَّه كان من زيد دون غيره))[3] كما نجده قد أوضح علاقتها بالطرف الآخر(المخاطب) بوصفه المستقبل للحدث اللغوي ، جاء ذلك عند تحليله لقول ابن الرومي :

هو الرَّجُلُ المشروكُ في جُلِّ مالِهِ ولكنّهُ في المَجْدِ والحَمْدِ مفرَدُ [4]

إذ يقول : ((تقديره : كأنَّه يقول للسامع : فكر في رجل لايتميز عفاته وجيرانه ومعارفه عنه في ماله ، وأخذوا ماشاؤوا منه ، فاذا حصلت صورته في نفسك فاعلم أنّه ذلك الرجل . وهذا من عجيب الشأن وله مكان من الفخامة والنبل ، وهو من سحر البيان الذي تقصر العبارة عن تأويل حقه ، والمعوّل فيه على مراجعة النفس ، واستقصاء التأمّل))[5]

نفهم من كلام عبد القاهر أنَّ هذه الثنائية لايمكن لها أن تمارس وظيفتها الفاعلة داخل النص إلاَّ عن طريق استحضار طرفي الاتصال (المبدع والمتلقي) . وعلى أساس ذلك أضحى التعريف والتنكير ((حالة من حالات اللغة في عملية التشكيل والصياغة وعلاقتها

1 - ينظر: التعريف والتنكير بين الشكل والدلالة : 17 .
2 - النكت في تفسير كتاب سيبويه : 1/ 216 .
3 - دلائل الاعجاز : 205.
4 - الديوان : 2/ 589.
5 - دلائل الاعجاز : 210 .

بالدلالة))[1] الأمر الذي يدخلها ضمن بنية التحولات التركيبية لتصبح ((جدلية بلاغية أخرى يمكن للمبدع أن يوظفها لتعميق الدلالة والكشف عن معنى البنية وصولا الى مستوياته المتعددة)) [2].

يهدف هذه الفصل – في ضوء ماتقدم – الى دراسة أنماط التراكيب وتحليلها عن طريق اظهار أجزاء التركيب وايضاح مدلولاتها عندما تأتي معرفة أو نكرة ، وإنّما يتم ذلك عن طريق عملية الربط بين السياقات المختلفة وأجزاء تلك التراكيب وارتباط ذلك بالجانب النفسي في أداء المعنى لذا ساركز هنا على أبرز الدلالات والاغراض البلاغية التي افادها التعريف والتنكير مما يخدم المعنى ويصيب الدلالة .

التـــعريـف

المعرفة هي ((ماوضع ليستعمل في معين))[3] وقد عبر عنها سيبويه بقوله: ((يراد بها الشيء بعينه دون سائر أمته))[4] فمصطلح التعريف يرتبط ارتباطا وثيقا بمبدأ التعيين ، فمتى ماضاقت دلالة اللفظة في دائرة الاستعمال لتدل على شيء بعينه لايتعداه الى غيره اكتسبت بذلك صفة التعريف فـ ((كلّما كان الشيء أخص فهو أعرف))[5].

لقد اعتاد البلاغيون في دراستهم لهذه الثنائية أن يبدأوا حديثهم عنها بالتعريف أولا بوصفه ممثلا لبنية الأساس أو الأصل . وقد بين السبكي علة ذلك بان النكرة هي الأصل وليس هناك تشوق إلى ذكر سببها[6] ومجيء اللفظة معرفة داخل السياق إنما يتم بوساطة أدوات التعريف ، فصور التعريف كثيرة وسياقاته متنوعة فهي ((تتكاثر إلى حد تنضوي فيه كل صور المعرفة للمسند اليه أو للمسند تحت نظام المعنى الذي يمتلكه المتكلم ، وليس المقصود هنا المعنى المعجمي وانما المعنى المفاد من طبيعة الصياغة وخواص التركيب))[7] ولقد ساعد ذلك التنوع المتكلم على صياغةعباراته صياغة تسهم في اغناء دلالة النص ؛ إذ ((إنَّ تعدد وسائل التعريف قرين بثراء الدلالة لما يمكن أن تقدمه هذه الوسائل التعبيرية من معان وايحاءات))[8] وقد حدد النحويون وسائل التعريف بأنواع ستة[9] هي (الضمير ، والعلم ، واسم الاشارة ، واسم الموصول ، والتعريف بـ (الألف واللام) ، والتعريف بالإضافة).

1 - في جمالية الكلمة : 165.
2 - في البنية والدلالة : 153 .
3 - شرح الحدود النحوية : 65.
4 - الكتاب : 5/2 ، وينظر : المقتضب : 4/ 518 ، شرح المفصّل : 5/ 492.
5 - المقتضب : 4/ 521 ، وينظر الاصول في النحو : 1/ 176.
6 - ينظر: شروح التلخيص : 1/ 287.
7 - البلاغة والأسلوبية: 260 .
8 - في البنية والدلالة : 153 .
9 - ينظر : المقرب : 242 - 250 ، شرح ابن عقيل : 1/ 87 ، همع الهوامع : 1/ 186.

وسنقف عند هذه الأنواع وما تفيده من دلالات داخل السياق التركيبي بحسب ترتيبها عند النحويين وكما هو مثبت آنفا .

وتجدر الاشارة هنا إلى أنَّ الأصل في المسند إليه أن يكون معرفة؛ لأَنَّهُ المحكوم عليه ((فالاسم في كل أنماطه يتمكن من اسميته الدالة على المعنى مجرد من الزمان – غالبا – بتعريفه))[1] ولايراد بالأصل أن يكون في أصل الوضع معرّفا ، لأنَّ ذلك أمرُ مسلّم به ، وإنَّما يقصد بذلك مجيؤه معرفة في السياق التركيبي[2]. إنَّ ما ذهب إليه السلف من القول بأصالة التعريف في المسند إليه مــردّه -فيما يبدو – إلى أنَّ الكلام لايكون داخلا في حمى البلاغة أو في حيز مراعاة حال المخاطب ((إلاَّ إذا ابتدأ بالمعرفة ، ولو أنهَّ بدأ بنكرة لخرج من دائرة الحسن فضلا عن أن يكون كلاما مستقيما))[3] وهذا يعني أنَّ على المتكلم أن يبدأ خطابهُ بما هو معروف وليس بما هو مجهول غامض لتتم له بذلك الغاية المبتغاة والمتمثلة في إفادة المخاطب فائدة تضيء له أبعاد المعنى ((وهكذا تتجاوز فكرة وجوب أن يكون المسند إليه معرفة الأثر النحوي لابراز الأثر الدلالي بمستوياته الثرية))[4] .

الضميـــــر :

هو ما وضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب وهو من ((أضمرت الشيء : إذا أخفيته وسترته فهو مضمر))[5] ويسمية الكوفيون الكناية والمكني[6] .

وتمثل الضمائر أداة مهمة من أدوات الربط بين الجمل ؛ لما تتضمنه من قدرة عالية على الاكتناز والايجاز ، تكمن في عدم اعادة الاسم وتكراره والاستعاضة عنه بضمير يعود عليه ؛ مما جعلها ركيزة من ركائز الايجاز والبلاغة في العربية فالضمائر – بهذه السمة- تدفع المتلقي الى الاستمرار في الحديث والتواصل معه بكل حيوية من دون أن يكون هناك خلل أو اضطراب في العملية اللغوية بين الطرفين فهي ((تحقق في التركيب اللغوي تكثيفا يهدف أول مايهدف الى رفع كفاية الخطاب بما يحدثه من تضام وتلاحم بين أجزائه التي تتنوع في وحدة))[7] ولقد أوضح سيبويه في حديثه عن الضمير علة كونه معرفة إذ يقو ل : ((وانَّما صار الاضمار معرفه؛ لأنَّك إنَّما تضمر اسما بعد ما تعلم أنَّ مَنْ يحَّدث قد عرف مَنْ تعني وماتعني وأنَّك تريد شيئا يعلمه))[8] وهو بهذا يعد عنصرا مهما من عناصر بنية التركيب النحوية لارتباطه بالأثر الدلالي الذي يخلفه في ذهن المتلقي ، الأمر

1 - في جمالية الكلمة : 117 .
2 - ينظر : التعريف والتنكير بين الشكل والدلالة : 78 ، البلاغة العربية ـ قراءة اخرى : 228.
3 - أثر النحاة في البحث البلاغي : 103 .
4 - في البنية والدلالة : 153 .
5 - لسان العرب مادة (ضمر) : 8/ 85 .
6 - ينظر : معاني القرآن 1/ 5 ، 19 .
7 - سوره الدهر ـ قراءة تأملية : 34.
8 - الكتاب : 2/ 6 .

الذي دفع جمهور النحويين إلى الاجماع على أنّ الضمير أعرف المعارف[1]. كما وضع النحويون للضمائر مراتب وجعلوا بعضها أعرف من البعض الآخر ، وهو ما يتيح الفرصة للمتكلم أن يختار منها ما يتلاءم وحالة المخاطب النفسية . فضمير المتكلم – بلا شك – أخص المعارف من الضمائر ؛ إذ لايذهب فيه ذهن المخاطب إلى تصور غير المتكلم ، يليه ضمير المخاطب فالغائب[2] .

إنَّ هذا التمايز والتباين في ترتيب الضمائر جاء نتيجة ما يتمتع به كل نوع من خصائص تميزه من غيره . فضلا عما له من علاقة وثيقة بالمخاطب الأمر الذي يفرض على مبدع النص أن ينتقي منها ما يراه مناسبا والحال والمقام التي عليها المتلقي . ولقد أشار النحويون إلى هذا التباين في استعمالها موضحين الأثر الدلالي الناتج من العلاقة القائمة بينها وبين الاسم العائدة عليه . يقول السهيلي (ت 581 هـ) مشيرا إلى خصائص ضمير الغائب (هو) : ((والهاء – لخفائها – أولى بالغائب الذي هو أخفى وأبطن ثم وصلت بالواو لأنَّه لفظ يرمز به الى المخاطب ، ليعلم ما في النفس من مذكور))[3]

لقد جاء المسند إليه في الخطاب العلوي معرّفاً بـ (الضمير) ، ففي مقام الحديث عن النفس نجد الإمام يستعمل ضمير المتكلم (أنا ، نحن ، ضمير المتكلم (ت) و (ي) ، ضمير المتكلمين (نا)).
إنَّ استعمال ضمير المتكلم في درج الكلام يدل على التعيين والتخصيص فيشير بذلك إلى أنَّ هذا الكلام قد صدر عن متكلم واحد يحدّث عن نفسه، وهو بهذا يوحي إلى أنَّ الدلالة الأساس لاستعماله هي (اثبات الحديث في مقام التكلم) وهو ما يسعى إلى ترسيخه المتكلم في ذهن المخاطب . من ذلك قوله 8 : (فَوَاللهِ إِنِّي لأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ)[4] وهذا النص جزء من خطبة له قالها في أصحابه بعد انصرافه من معركة الجمل يحثهم فيها على القتال . فقد جاء المسند إليه معرّفا بضمير المتكلم (ي)؛ ليفيد اثبات الحديث في مقام التكلم فهو 8 أحقُّ بالأمر من غيره ، مما دفعه ذلك لأن يؤكد كلامه بثلاث مؤكدات (القسم ، إنَّ ، لام الابتداء) رغبة منه في تقوية كلامه كيما يزول الشك من أذهان متلقيه .

ومنه كذلك قوله 8 : (أَنَا بِالأَمْسِ صَاحِبُكُم، وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُم)[5] وهو من كلام له قاله قبل موته ، إذ جاء المسند إليه معرفة وهو ضمير المتكلم (أنا) ، ليفيد بذلك التعيين واثبات الحديث في مقام التكلم فهو ((بالأمس صاحبهم في الحرب ومنازعة الأقران وصاحب الأمر

1 - ينظر المقتضب : 4 / 521 ، ينظر المقرب : 243 ، همع الهوامع : 1/ 187.
2 - ينظر المقتضب : 4/ 521.
3 - نتائج الفكر في النحو : 174 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7/ 221.
5 - المصدر نفسه : 9/ 90 .

والنهي فيهم واليوم عبرة لهم بحال مصرعه وضعفه عن الحراك))[1] وقد عزز من دلالة الاختلاف ذلك التضاد الزمني المتمثل في (الأمس × اليوم) وما يتركه من أثر نفسي في المتلقي فضلا عن التعادل في البناء على مستوى العبارة ومن شواهده أيضا ماجاء في كلام له عليه السلام في بعض أيام صفين وقد رأى الحسن ابنه 8 يتسرع إلى الحرب يقول : (امْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْغُلَامَ لَايَهُدَّنِي فَإِنَّنِي أَنْفَسُ بِهَذَيْنِ بَعْنِي الْحَسَنَ والْحُسَيْنَ X- عَلَى الموت لِئَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسَلَّم)[2] فقد جاء المسند إليه معرّفا بضمير المتكلم ؛ ليفيد اثبات الحكم في مقام التكلم ، مع بيان شدة الحرص والاهتمام بـ (المخبرعنه) مفصحا عن علة ذلك وهي الحفاظ على نسل رسول الله (9) وتبرز هذه الدلالة – فيما يبدو -بوضوح في سياق الدعاء والالتجاء إلى الله جلَّ وعلا ، إذ يتجلّى فيه استعمال ضمير المتكلم الدال على متكلم واحد معين ، الأمر الذي يجعل الكلام أكثر التصاقا به ، وأكثر تعبيرا لما يعتلج في نفسه من أحاسيس ومشاعر حاول افراغها في فضاء الدعاء من ذلك قوله 8: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ)[3] وقوله كذلك: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ افْتَقِرَ فِي غِنَاكَ)[4] .

يتضح مما تقدم أنّ الدلالة الرئيسة لمجيء المسند إليه معرّفا بـ (ضمير المتكلم) هي (اثبات الحديث في مقام التكلم) ، غير أَنهَّ لم يقتصر مجيؤه في الخطاب العلوي على هذه الدلالة فحسب بل نراه قد جاء محملا بفيوضات دلالية أخرى قصدها الإمام أتت متساوقة والموقف العام أبرزها:

الدلالة على الفخـــر:

من ذلك قوله 8(اذَهَبْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ5) فِي الطَّوِيِّ6) البَعِيدَةِ)[7] فقد أفاد تعريف المسند إليه بضمير المتكلم (ت) دلالة الفخر والاعتداد بالنفس تنبيها لهم ((على عظيم قدر العلم الذي اندمج عليه))[8] ولكي لايترك المجال لمنكر أن ينكر عليه ذلك نجده قد عمد إلى اقران جواب الشرط بـ (اللام) تأكيدا لشرطية القول كما

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 3/ 267.
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 11/ 22.
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 3/ 129.
4 - المصدر نفسه : 11/ 65 ، وينظر أمثلة أخرى : 1/ 279 ، 2/ 245، 4/ 11، 7/ 27، 90، 94/11، 13/ 125.
5 - الرِّشَاءُ : الحَبْلُ : والجمع أرشيةٌ . لسان العرب مادة (رشا) : 5/ 223 .
6 - الطَّوِيُّ : البئر المطويَّة بالحجارة .لسان العرب مادة (طوي) : 8/ 231.
7 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1/ 204.
8 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 1/ 461.

دلل على عظم ما انطوت عليه نفسه من العلم من حيث أنّه لو باح به وكشفه لهم لاضطربت آراؤهم ولاختلفت اختلافا شديدا ؛ لذا شبّه حالهم في ذلك باضطراب الحبل في البئر البعيدة ، ((وذلك أنَّ الطوي كلما كانت أعمق كان اضطراب الحبل فيها أشد لطوله فكذلك حالهم حينئذ أي يكون لكم اضطراب قوي واختلاف شديد))[1] ومنه كذلك قوله 8: (تَاللهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالاَتِ ،وَاتْمَامَ العِدَاتِ وَتَمَامَ الكَلِمَاتِ) [2]. وهي أمور تعلّمها من رسول الله (9) فهو بحديثه هذا يعبر عن فخره بما اختصه به النبي الأكرم (9) ، فضلا عن النغم الموسيقي الذي أحدثه السجع المطرف الذي جاءت عليه الفواصل الثلاث فقد عبر صوت (التاء) بشدته وانفجاريته [3] تعبيرا صادقا عن العلوم التي تعلمها الإمام 8 من الرسول والمتمثلة في تبليغ الشرائع وانجاز المواعيد وهي مهام تتناسب وشخصية الإمام القوية وممّا عزّز من دلالة ذلك في النص تأكيد الخبر بثلاث مؤكدات (القسم ، اللام ، قد) مما لايدع مجالا للانكار وهكذا أوحت- (التاء) هنا بشعور القوة والعزيمة المنسجم ومقام الفخر .

ومن شواهده أيضا قوله 8 : ((أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أن تَفقِدُونِي فَلأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الأَرْضِ))[4] جاء المسند إليه معرّفا بالضمير (أنا) ليكون وعاء لدلالة الفخر والاعتداد بالنفس عن طريق ماشاع في النص من أمارات الحرص الشديد الدالة على معرفته الحقَّة بما طرحه من خبر مؤكدا ذلك بقصر الأمر عليه قصرا حقيقيا عن طريق تقديم الضمير فضلا عن تأكيد مضمون الجملة بدخول لام الأبتداء على الضمير سعيا منه إلى إزالة الشك عن نفسه

الدلالة على الشكوى والتحسر :

من ذلك قوله 8 : ((أَصْبَحْتُ وَاللهِ لاَ أُصَدِّقُ قَوْلَكُم ، وَلاَ أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُم ، وَلاَ أُوعِدُ العَدُوَّ بِكُم)) [5]

لقد جاء ذلك في خطبة له 8 استصرخ فيها أصحابه واستنهضهم لقتال الضحاك بن قيس[1] عندما أغار على بعض الأطراف يقتل وينهب فما كان جوابهم لهُ إلاّ العجز

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني: 1/ 462.
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7/ 224.
3 - ينظر : الاصوات اللغوية : 56- 57.
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 13/ 77، وينظر أمثلة أخرى : 199/1، 225-253، 279، 62/2، 102، 224، 101/6 ، 136، 300 ، 7/ 35 ، 221 ،222 ، 8/ 38، 9/ 127، 185 ، 10/ 5 ، 140 ، 13/ 12 ، 148 .
5 - المصدر نفسه: 2/ 90.

والتلكؤ مما حدا بدلالة الشكوى لأن تخيم على هذا التركيب عن طريق تعريف المسند اليه بضمير المتكلم (ت) ؛ إذ جاء وعاء لشحنة انفعالية عالية ممزوجة بنبرة التشكي والتبرم منهم لكثرة تخلفهم عنه وعدم امتثالهم لأوامره ومما يعزز هذه الدلالة في سياق النص تأكيدها بـ(القسم) فضلا عن تكرار أداة النفي (لا) توبيخا لهم وتقريعا .

ومن أمثلته أيضا قوله 8 : (هُبِتُ بِكُنَّ لَأُبْطِبِعُ إذا أَمَرْتُ ، وَلَاَ يُجِبُ إذا دَعَوْتُ)[2] وهو من خطبة له 8 خطبها في أصحابه عندما أغار النعمان بن بشير الأنصاري[3] على عين التمر . فلقد عمَّ التركيب إحساس عميق بالشكوى جسّده مجيء المسند إليه (الفاعل) معرفا بضمير المتكلم (ت) ليجعل منه نقطة ارتكاز يصور منها خيبة الأمل التي مُني بها ، كيف لا وقد ابتلي بقوم لايطيعونه إذا أمر ولايجيبونه إذا دعا ، كما جاء النغم الموسيقي المنبعث من السجع المتوازي الذي حققته فاصلتا الفقرتين (أمرت – دعوت) متساوقا والموقف العام للخطبة ؛ إذ ختمتا بصوت (التاء) الذي مثل بشدته وانفجاريته شدة ذلك الأمر وتلك الدعوة وممّا يؤكّد هذه الدلالة مجيء الفعل (مُنِي) مبنيا للمجهول مع حذف جواب الشرط ويبدو لي أنَّ كل ذلك جاء متناسبا ونغمة التحسر والحزن .

ومنه كذلك قوله 8 : (لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً ، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُوراً وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِياً ، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيّاً)[4] وهو من كلام له 8 خاطب به أصحابه عندما اختلفوا عليه في أمر الحكومة ، يلفتُ هذا التركيب شعورُ عامُ بالشكوى بدا فيه المسند إليه معرّفا بضمير المتكلم (ت) في مقام الحديث عن نفسه ليبث من خلاله شكواه وما يعتصر في نفسه من ألم أحس مرارته علقما بسبب اختلافهم عليه وفرضهم إيّاه قبول التحكيم ، وقد أسهم في ترسيخ هذه الدلالة في النص تلك الصورة التي رسم معالمها التضاد الزمني الحاصل بين (كنتُ × أصبحتُ) و (أمس × اليوم) وكذلك التضاد الحاصل بين (أميراً × مأموراً) و(ناهياً × منهيا) ؛ لتوضح حاله معهم قبل التحكيم وبعده ، فضلا عن الجناس الاشتقاقي في الصوت بين (أميراً × مأموراً) و (ناهيا × منهيا) وتأكيد المعنى المشتق منها ، وما ذلك إلاّ لاتمام الفائدة في ذهن المخاطب .

ومنه أيضا قوله 8 : (اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا ، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا وَدَعَوْتُكُمْ سِرّاً وَجَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا ، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا)[5] فقد جاء المسند إليه (الفاعل) معرفة وهو ضمير المتكلم

---

1 - هو الضحاك بن قيس بن خالد الفهري القرشي سيد بني فهر في عصره شهد فتح دمشق وسكنها ولد سنة 5 هـ . وقد شهد صفين مع معاوية ، توفي سنه 65 هـ . الأعلام : 3/ 309 .

2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2/ 236 .

3 - هوأبو عبد الله النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري ، أمير ، خطيب ، شاعر، ولد 2هـ وشهد صفين مع معاوية توفي سنه 65 هـ . الأعلام : 9/ 4 .

4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 11/ 25 .

5 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7/ 54 .

(ت) ليكون أداة معبرة لِما أحسَّ به الإمام 8 من مرارة الغصة وألم الحسرة لتخلفهم عن جهاد عدوّهم وحفظ بلادهم ، وقد أسهم في تقرير هذه الدلالة التقابل الحاصل بين (استنفرتكم × فلم تنفروا) و(أسمعتكم × فلم تسمعوا) ونلحظ في هذا التقابل أنَّه جاء بين كلمتين من أصل واحد احداهما مثبتة والأخرى منفية بـ (لم) لسلب الصفة عنهم ، كما جاء في سياق خبري فعلي ليؤكد معنى الاستمرارية والتجديد في دعوة الإمام لهم لجهاد العدو غير أنَّهم نفروا وتفرقوا وأبو أن يسمعوا. ومنه كذلك قوله 8: (إِنِّي أُرِيدُكُم لله وَأَنْتُم تُرِيدُونَنِي لِأَنفُسِكُم)[1] فقد ورد ضمير المتكلم (ي) مثقلا بألم الحسرة والتشكي مسبوقا بـ(إنَّ) كي لايتوهمون أنَّه أراد بهم غير ذلك معبراعمّا في نفسه من شعور التأسف والتحسر لِما هُم عليه ، وقد عزز دلالة ذلك في سياق النص انعطاف الكلام من ضمير التكلم إلى ضمير الخطاب ، ليضعهم بذلك بطرف النقيض توبيخاً لهم وتأنيباً.

فالضمير المعرفة (ي) المتكلم يشير الى الفرد والضمير (كم) في النص يشير الى الجمع وفي المفهوم الطبيعي أن يكون الجمع أرجح وزناً للأمور من الفرد إلا أن حقيقة الامر بينت العكس فالفرد يريد الجماعة أن يكونوا عباداً لله أما الجماعة فلا يريدون إلا أن يكون الفرد ملكاً لهم وما كان يأتي بالمعنى النكرة .

الدلالة على توكيد المعنى وتثبيته :

ويتحقق هذا المعنى من خلال تكرار الضمير في سياق النص ، من ذلك ما جاء من خطبة له خطبها بعد التحكيم يقول : (وَكُنْتُ أَنَا وَإِيَّاكُم كَمَا قَالَ أخو هوازن*[2]:

أَمَرْتُكُم أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى فَلَم تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إلاَّ ضُحَى الغَدِ)[3]

فتكرار ضمير المتكلم في قوله : (فكنت أنا) قد أفاد توكيد المعنى وتثبيته فضلا عما حققه من إيجاز ، وممّا زاد في بيان المعنى ذلك التشبيه الذي شبه فيها حاله معهم عندما نهاهم عن قبول التحكيم بحال الشاعر دريد بن الصمة مع أخيه عبدالله عندما نصحه فلم يقبل منه النصيحة فكان في ذلك حياته ، وكأنّه أراد أن يقول لهم : ((إنَّي كنتُ وإيَّاكم في نصيحتي ونهيي من الحكومة ومخالفتكم أمري المستلزمة لندامتكم على التفريط

1 - المصدر نفسه : 9/ 26، وينظر أمثلة أخرى : 1/ 112، 303 ، 2/ 19 ، 151، 9/ 233.

2 - هو دريد بن الصمّة الجشمي البكري من هوازن : شجاع من الأبطال الشعراء المعمرين في الجاهلية ، أدرك
الإسلام ولم يسلم فقتل على دين الجاهلية يوم حنين سنة 8 هـ . الأعلام : 16/3

3- شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد : 2/ 163 .

كهذا القائل مع قومه حيث نصح لهم فعصوه فلحقهم من الندامة والهلاك))[1] وذلك في معرض الذم والتوبيخ لهم .

ومن شواهده ما جاء في كلام له 8 كَلَّم به طلحة والزبير بعد مبايعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما والاستعانة في الامور بهما يقول : (وأَمَّا مَاذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأُسْوَةِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي ، وَلَا وَلِيتُهُ هَوًى مِنِّي ، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَاجَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّم) [2] فالإمام بخطابه هذا يرد عليهما عتابهما له بتسويتهما بغيرهما في العطاء ، وكأنَّه يقول لهما : إنَّ ماصدر مني من فعل التسوية فهو أمر وجدته أنا وأنتم على عهد رسول الله (9) ؛ إذ لم يكن أمرا ابتدعته من نفسي ، فأفاد تكرار ضمير المتكلم (ت) و (أنا) توكيد المعنى وتثبيته في أذهان مخاطبيه إذ جاء الأول فاعلا للفعل (وجد) وأمَّا الآخر فهو زيادة لتأكيد المعنى والاهتمام به . ويبدو لي أنَّ الإمام أراد من تذكيرهما بأمر التسوية انتفاء عتبهما له بالزامهم الحجة في ذلك . لاريب أنَّ تكرار الضمير فيما تقدم من نصوص قد حقّق تأكيداً واثباتا في المعنى بأوجز أسلوب.

الدلالة على الإخبار بتحقيق الأمـر :

وتتحقق هذه الدلالة عندما يؤتى بضمير المتكلم اسما لـ (كأنَّ) لانصرافها من معنى التشبيه إلى معنى التقريب[3] . من ذلك قوله 8 : (كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُم كَجُؤْجُؤِ4) سَفِينَةٍ ، قَدْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا وَغَرَّقَ مَنْ فِي ضِمْنِهَا)[5].

كلامه هذا من خطب له عرفت بالملاحم يذكر فيها أمورا عديدة قد وعدهم 8 بها ، وأنَّها ستتحقق بالمستقبل ، ومنها قوله هذا الذي جاء موجها لأهل البصرة يخبرهم فيه أنَّ بلدتهم سوف تغرق ويعلوها الماء في المستقبل ولا يبقى منها شيء سوى مسجدها الجامع ، وإخباره هذا إنَّما جاء عن واقع يشاهده بعين بصيرته ، وقد عزز دلالة ذلك حذف الفعل(أرى)؛ و ذلك لتعظيم شان ذلك الخبر مع ما أفادته (كأَنَّ) من معنى التأكيد . وما أخبر به 8 قد وقع فعلا [6].

1 - شرح نهج البلاغة ابن ميثم البحراني : 2/ 122 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 9/11 ، وينظر أمثلة أخرى : 11/ 27 ، 78 .
3 - ينظر : الجنى الداني : 573 .
4 - الجؤجؤ : عظام صدر الطائر والجؤجؤ : الصدر . لسان العرب مادة (جأجأ) 2/ 156 .
5 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1/ 235 .
6 - ينظر : المصدر نفسه : 1/ 236 .

ومنه أيضا قوله 8 : (بِالْأَحْنَفِ كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَايَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلَا لَجَبٌ[1])[2] وهذا من كلام له عُرف بالملاحم يشير فيه إلى صاحب الزنج وما سيحدثه في البصرة من قتل وسلب وتدمير ، فجاء المسند إليه معرّفا بضمير المتكلم (ي) والواقع اسما لـ(كأَنَّ) التي أفادت معنى التقريب ، ليفيد بذلك تحقيق الأمر الذي يخبر به ، وكأَنَّه واقع مشاهد في عينه وأَنَّه حاصل لامحالة متضمنا دلالة الوعد الصادق ، ومما يعزز هذه الدلالـــة في النص حذف الفعل (أرى) تعظيـــــماً لشأن الخبـــر فتقدير الكلام (كأَنِّي أراه وقد سار ....) مع ما أفادته (كأَنَّ) من معنى التأكيد . وقد يأتي المسند إليه معرّفا بضمير المتكلم ليفيد دلالات بلاغية ومعاني نفسية أخرى تتلاءم والحال والمقام من ذلك دلالة الوعيد التي حققها قوله 8 : (وَأَيْمُ اللهِ لَأَفْرِطَنَّ لَهُم حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ[3])[4] وهو من كلام له قاله عندما نكث بعضهم بيعته مستعملا ضمير المتكلم (أَنَا) في مقام الوعيد مؤكدا صدق كلامه بقصر المتح عليه وقد عزز من وجود هذه الدلالة في النص الاستعارة المتمثلة في قوله: (لأفرطن) وهي استعارة مكنية أشار إلى بعض لوازمها بقوله : (أَنَا ماتحُهُ).

ومن الدلالات النفسية دلالة الزهد والتواضع تمثل ذلك في قوله 8 : (وَاللهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا)[5] فمنظر المدرعة وهي مرقّعة يوحي بمعنى الزهد والتواضع في صورة كنائية تنطق بالحق عن صاحبها وتشهد بصدقه .

ومن تلك الدلالات أيضا دلالة النصح والارشاد التي نلحظها في قوله 8 لأهل النهروان : (فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هَذَا النَّهْرِ)[6] وقوله 8 مخاطبا عثمان : (وَإِنِّي أَنْشُدُكَ اللهَ أَنْ تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولَ)[7] فأفاد ضمير المتكلم في هذه النصوص فضلا عن اثبات الحديث في مقام التكلم معنى نفسيا تمثل في النصح والارشاد .

أمّا في مقام الخطاب فيستعمل الضمير (أنت ، أنتم ، (تَ) الخطاب ، (ك) الخطاب) ففي ضمير الخطاب دلالة على أهمية المخاطب بوصفه الأساس في بيان الدلالة النفسية التي تعهد الخطاب العلوي بابرازها رغبة منه في ايصالها إلى الانسان عموما . وهو قد يكون موجها إلى حاضر مشاهد ، وهو الأصل الموضوع له ، فالمراد به مخاطب معين

1 - اللَّجبُ :الصوت والصياح،واللجب ارتفاع الأصوات واختلاطها،واللجب:صوت العسكر.لسان العرب مادة(لجب):237/12 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 8/ 100، وينظر أيضا : 3/ 154، 7/ 55، 76/ 237.
3 - المَاتِحُ :المُستَقِي. لسان العرب مادة (مَتَحَ) : 13/13 .
4- شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد : 1/ 225.
5 - المصدر نفسه : 9/ 179.
6 - المصدر نفسه : 2/ 210 .
7 - المصدر نفسه : 9/ 200 .

مخصوص ، وقد أفاد هذا النوع من التعريف دلالات بلاغية اتشح بها الخطاب العلوي وهي :

المـدح :

ومن ذلك قوله 8 : (..... ، وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ)[1] فلقد استحضر الإمام 8 هذه الآية الشريفة ليختم بها كلاما قاله لأصحابه في بعض أيام صفين ، ففي استحضارها ((تسكين لنفوسهم وبشارة بالمطلوب بالحرب وهو العلو والقهر كما بشر الله تعالى به الصحابة في قتال المشركين وتثبيت لهم على المضي في طاعته))[2] ولاشك أَنَّ هذا الاستحضار قد زاد من قيمة النص ، لأنَّ في النص القرآني ضمير المخاطب الذي حقق الغاية المبتغاة والمتمثلة في تأكيد دلالة المدح . ومنه ما جاء في كلام له 8 يمدح فيه أصحابه إذ يقول : (أَنْتُمُ الأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ ، وَالإِخْوَانُ فِي الدِّينِ ، وَالْجُنَنُ يَوْمَ الْبَأْسِ ، وَالْبِطَانَةُ دُوْنَ النَّاسِ)[3] فلقد جاء خطابه موجها لمخاطب مخصوص (أصحابه) ؛ لذا نراه يصدّره بضمير المخاطب (أنتم) ليجعل منه مرتكزا للمعنى مضفياً عليهم هذه الصفات؛ ليكون ذلك أدعى لتحريك هممهم وإنَّما وجّه خطابه لهم بضمير المخاطب الجمعي ((ليخلق فيهم الحس الديني والمشاركة الفعلية))[4]

التحقير :

من ذلك قوله: (هَا أَنْتُمْ لِي بِثَغَةٍ سَجِيسَ5) اللَّيَالِي ، وَهاَ أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ، وَلا زَوَافِرُ6) عِزّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ ، هَا أَنْتُمْ إِلاَّ كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا)[7]

وهو من خطبة له 8 في استنفار الناس إلى أهل الشام بعد فراغه من أمر الخوارج وكان غرضه منه تحقيرهم والسخرية منهم ؛ إذ ليسوا بثقة يؤتمن إليها ، ولابقوة يدفع بها العدو وتكسر شوكته ، ومما أسهم في إيحاء المعنى وشدة تاثيره في نفوس المخاطبين مجيء ضمير المخاطب (أنتم) في بنيتين تشبيهيتين مختلفتين تمثلت الأولى

---

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 5/ 136 ، الآية ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ال عمران/ 139 وينظر : محمد / 35 .

2 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 2/ 248 .

3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7 221.

4 - خطب نهج البلاغة . دراسة توصيلية : 229 .

5 - سجيس الليالي آخرها،ومنه قيل للماء اذا ركد سجيس لأنَّه آخر ما يبقى.لسان العرب مادة(سجس)179/6 .

6 - الزوافر : الزافرة : الأنصار والعشيرة ، وزوافر القوم أنصارهم . لسان العرب مادة (زفر) : 6/ 56.

7 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2/ 151.

في التشبيه المضمر في قوله : (ما انتم بركن يمال بكم) على ((التشبيه بالمعنى الأصيل وهو الركن الذي يعتمد عليه))[1] والأخرى تمثلت بالتشبيه الصريح في قوله : (ما أنتم إلاّ كإبل) ، ومما زاد في وضوح المعنى في الأخرى ورودها في سياق الحصر على سبيل النفي والاستثناء وكأنَّهم مقصورون على صفة الإبل فحالهم كحال الإبل التي ضل رعاتها فتفرقت كلّما أرادوا جمعها من جانب تشتت من أخر فضلا عن التوكيد المستفاد من تكرار (ما أنتم) ومنه كذلك ماجاء في كلام له 8 كلّم به الخوارج : (أَمَا إِنَّكُم سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلاً شَامِلاً وَسَبْياً قَاطِعاً)[2] أفاد ضمير المخاطب المتصل في (إنّكم) استحضار مخاطب بعينه وهو (الخوارج) قصد التوبيخ لهم مع تأكيد دلالة الوعيد بما سيحدث لهم من بعده ، والتي عززها تأكيد الخبر بـ (إنَّ) وحرف الاستقبال (السين) فضلا عن الازدواج الصوتي في الصياغة .

ومن شواهده ما جاء من كلام له 8 في أصحابه : (إِنَّكُم واللهِ لَكَثِيرٌ فِي البَاحَاتِ قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ)[3] فقد تصدّر ضمير المخاطب المتمثل في الضمير المتصل في (إنَّكم) العائد إلى أصحابه ، ليفيد دلالة الذَّمِّ والتوبيخ لـ ((قلّة انتصار من ينتصر بهم))[4] ولغرض تعزيز هذه الدلالة في سياق النص نراه يصور لنا حالة التناقض التي هم عليها عن طريق التضاد (كثير × قليل) ، ولكي لاينكروا عليه فيما ذهب نجده يؤكد خطابه بثلاثة مؤكدات (إنَّ ، القسم ، لام الابتداء) فكان الخبرانكارياً امعانا في التحقير والتوبيخ .

1 - مع نهج البلاغة : 182 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 4/ 98 .
3 - المصدر نفسه:81/6 . وينظر:1/ 235، 248، 2/ 62،18، 210، 6/ 101، 7/ 138، 8/ 83، 10/ 11، 49 ، 13/ 135 .
4 - المصدر نفسه : 6/ 82 .

دلالـة التنبيــه :

ومن أمثلته قوله 8 : (واعْلَمُوا أَنَّكُم لَنْ تَعرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ)[1] فقد أفاد ضمير المخاطب في (أَنّكم) استحضار المخاطبين لدى المتكلم تنبيها لهم بأنَّهم لن يتمكنوا من معرفة الصواب إلاّ بعد معرفتهم مَنْ تركه . وقد أسهم في بيان هذا المعنى تقابل النفي والاثبات (لن تعرفوا × تعرفوا) فضلاعن دلالة (حتى) في الغاية والانتهاء . ومن شواهده قوله 8 : (بَأَخا بَنِي أَسَد ، إِنَّكَ لَقَلِقُ الوَضِين)[2] وهذا النص جزء من كلام له 8 قاله لبعض أصحابه وقد سأله : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقُّ به . و(الوضين) هو ((بطان منسوج بعضه على بعض يُشّد به الرَّحل على البعير))[3] فاضطرابه وعدم ثباته يؤدي لامحالة إلى اضطراب هودج الناقة وعدم استقراره .فقد جيء بالمسند إليه ضمير الخطاب المتصل في قوله : (إنَّك) في سياق صورة كنائية منتزعة من البيئة ليفيد استحضاره دلالة التنبيه له لأن يضع الأمور مواضعها ويزنها بميزانها .

ومنه كذلك ما جاء من كلام له 8 لعثمان بن عفان لمّا سأله الناس مخاطبته واستعتابه لهم بقوله: (إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَانَعْلَمُ ، مَاسَبَقْنَاكَ إِلى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ ، وَلَاخَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ ، .....، فَإِنَّكَ واللهِ مَاتُبْصَرُ مِنْ عَمًى ، وَلَاتُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ)[4] فقد جاء ضمير الخطاب في قوله : (إنَّك) متصدراً كلامه ليفيد دلالة التنبيه والتوجيه في مقام القاء الحجة ، فقد أوضح له في الأولى معرفته وعلمه بأسباب الأحداث كما يعرفها هو 8 ((وهذا حقٌّ لأنَّ عليا عليه السلام لم يكن يعلم منها مايجهله عثمان))[5] مؤكداً خبره بـ (إنَّ ولام الابتداء) في حين جاء في الأخرى لتاكيد معنى الأولى . وقد يأتي ضمير الخطاب موجها إلى مخاطب غير مشاهد ، لكنه حاضر في الذهن والقلب ويكثر هذا في خطاب الذات الالهية لاسيما في مقام الدعاء ومقام تعداد صفات الله . من ذلك قوله 8 : (اللَّهُمَّ أَنتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ ، وَأَنتَ الخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ .)[6] وهو من كلام له قاله عندما عزم على المسير إلى الشام ، فقد استعمل الإمام الضمير (أنت) ليكون مركزا لانطلاق الدلالة ؛ إذ جعله يفيض بدلالة التعظيم في مقام التضرع والابتهال لله جلَّ وعلا كما نجده يكرّر الضمير في موضعين رغبه منه في زيادة بيان الخطاب

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 9/ 83 .
2 - المصدر نفسه : 9/ 185 .
3 - لسان العرب مادة (وضن) 15/ 331.
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 9/ 200 .
5 - المصدر نفسه : 9/ 201 .
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 3/ 129 .

وتأكيده والاهتمام به فضلا عن استعمال الجملة الاسمية الدالة على الثبوت والتناسق الصوتي في النص .

ومنه كذلك قوله 8 : (وَأَنْتَ اللهُ الذِي لَمْ تَسْهُ فِي العُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً ، وَلَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا مَحْدُوداً مُصَرَّفاً)[1] يعود ضمير الخطاب المستحضر هنا الى مخاطب غير مشاهد هو(الله) لكنه حاضر في الذهن والقلب في مقام التعظيم تنزيها له من ان تدرك حقيقته عقول البشر ؛ لأنَّها لو أدركت كنه ذلك لأصبح مكيفا ومحدودا ، وهو ما سعى الإمام 8 إلى نفيه .

ومن شواهده ايضا قوله 8 : (اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الوَصْفِ الجَمِيلِ،وَالتَّعْدَادِ الكَثِيرِ)[2]وهذا الكلام جزء من خطبة له 8 تُعْرَفُ بـ (الأشباح) وهي من جلائل خطبه، فقد جاء ذلك في مقام التعظيم وتحديد صفات الله عز وجل المتمثلة في كرمه وبما يقدمه لعباده ، فاستعمل ضمير الخطاب (أنت) وكأنَّه مشاهد قريب غير بعيد كيف لا وهو أقرب إلينا من حبل الوريد ، فضلا عما أشاعه التوازن الصوتي الذي ختمت به الفاصلتان ؛ إذ جاءتا على وزن (فعيل) .

وقد يأتي ضمير المخاطب موجّها إلى غير معين ليفيد دلالة العموم وعدم حصره بشخص دون آخر ((فيكون موجّها إلى كلّ من يتأتى منه الخطاب ، وهذا يفيد الأسلوب مزية من حيث يشعر هذا العموم بأنَّ الأمر جديرُ بان يكون ذائعاً وأنَّه لايختص بمخاطب دون مخاطب))[3] ومن ذلك ماجاء في خطبه له 8 تحدث فيها عن أمور كثيرة منها ذكر الدنيا والتحذير منها: (وَمِنْ غِيَرِهَا أَنَّك تَرَى المَرْحُومَ مَغْبُوطاً ، والمَغْبُوطَ مَرْحُوماً)[4] فأفادت صورة الخطاب دلالة العموم وعدم حصره بشخص دون غيره ، فتحذيره من الدنيا لم يكن مقتصرا على شخص معين وأنَّما جاء في خطاب عام لجميع البشر في كل زمان ومكان ومما زاد في تصوير فظاعة أحوالها بنية العكس والتبديل في قوله : (ترى المرحوم مغبوطا ، والمغبوط مرحوماً) رغبة منه 8 في تعميق صورتها في أذهان مخاطبيه .

فضلا عن تاثير التعادل الصوتي في البناء .ومنه كذلك قوله 8 : (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ المَنَايَا) [5] فلم يرد 8 في خطابه هذا مخاطبا بعينه ؛ وإنَّما جاء الخطاب عاما إلى كُلَّ الناس ، فهم – بلا شك – عرضة للبلايا والمنايا . فدل بذلك الأسلوب على تعميم الخطاب واتساع مدلوله.

---

1 - المصدر نفسه : 6/ 320 .
2 - المصدر نفسه: 7/ 26 . وينظر أيضا : 7/ 152 ، 11/ 195 ، 205 .
3 - خصائص التراكيب : 146 ، وينظر : الايضاح في علوم البلاغة : 41 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7/ 196 .
5 - المصدر نفسه : 9/ 72. وينظر ايضا : 1/ 275، 2/ 74 ، 6/ 193 ، 7/ 200، 8/ 187، 205 ، 9/ 160 ، 13/ 85.

أمَّا ضمير الغائب فقد مثل حضوره سمة أسلوبية بارزة في الخطاب العلوي ، فهو يفوق ضميري (المتكلم والمخاطب) ، وعموم سياقاته جاءت للدلالة على التعظيم والتفخيم أو المدح أو التحقير ، وقد أشرنا إلى هذه الدلالات بالتفصيل في محالّها من البحث عند حديثنا عن دلالة تقديم ضمير الشأنْ[1] .

وأرى – استماما للفائدة – أن أشير هنا إلى ما يتمتع به من خصيصة فضلا عما فيه من دلالات . تلك هي دخول الأحرف الناسخة عليه[2] ، مما يؤدي الى تكوين بنية جديدة تتمثل في دخول (إنَّ) على ما لايصح الدخول عليه وهي (الأفعال) فتتحول بذلك إلى ((وسيلة لقلب الجملة الفعلية اسمية ، بغير تغيير تركيبها لكي يمكن الحاق (إنَّ) وأخواتها بالجمل الفعلية ، بواسطة لا مباشرة))[3] وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى هذه الخصيصة بقوله: ((إنك ترى لضمير الأمر والشأن معها من الحسن واللطف مالاتراه إذا هي لم تدخل عليه بل تراه لايصلح إلاّ بها وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [4]))[5] أمّا من جهة المعنى فإنَّ هذه البنية تمنح التعبير قوة وجزالة لاتكاد نتلمسها اذا هي لم تدخل عليه[6] . فهي بذلك تضفي على الدلالات التي أشرنا اليها دلالة المبالغة والتأكيد . ومن ذلك قوله 8 : (أيُّهَا النَّاسُ إيَّاكُم وَتَعَلُّمَ النُّجُوم ، إلاَّ مَايُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أو بَحْرٍ ، فَإنَّها تَدْعُو إلى الكَهَانَةِ ، الْمُنَجِّمُ كالكَاهِنِ ، وَالكَاهِنُ كالسَّاحِرِ ، وَالسَّاحِرُ كالكَافِرِ ، وَالكافِرُ فِي النَّارِ سِيرُوا عَلَى اسمِ اللهِ)[7] وهو من كلام قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج إذ قال له الأخير : إنْ سرت يا أمير المؤمنين في هذا الوقت خشيت أَلاَّ تظفر بمرادك من طريق علم النجوم فإنَّ في استعمال ضمير الشأن متصلا بـ (إنَّ) مايوحي بهول ذلك الأمر . مما يستدعي معه شدة التحذير منه ، وقد زاد في تأكيد التحذير والمبالغة فيها ربطه المنجم بالكاهن ثم هذا التتابع للتكرار لبيان النتيجة والمتمثل في اعادة قرينة الفقرة السابقة في أول الفقرة التي تليها وهو ما يسمّى بـ (تشابه الأطراف)[8] الأمر الذي منح النص تناغما موسيقيا مميزا له وقعه في أسماع المخاطبين . فضلا عن توضيح المعنى من خلال التفصيل ومنه كذلك قوله 8 في

---

1 - ينظر: الفصل الاول: 17 -21 .
2 - ينظر : شرح المفصل : 3/ 65 .
3 - التطور النحوي : 139-140 .
4 - المؤمنون / من الاية 117.
5 - دلائل الإعجاز : 317 ، وينظر : البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن : 158.
6 - ينظر : المصدر نفسه : 317 .
7 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6/ 159.
8 - وهو(ان ينظر الناظم او الناثر الى لفظة وقعت في آخر المصراع الأول أو الجملة ، فيبدأ بها المصراع الثاني أو الجملة التالية) جواهر البلاغة : 391، وينظر : البلاغة العربية ـ قراءة أخرى : 363 .

الصلاة : ((وإنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الوَرَقِ ، وتُطْلِقُهَا إطْلاَقَ الرَّبَقِ))[1] فما من شك أنَّ ماتضمنه النص من دلالة على التفخيم والتعظيم لأمر الصلاة هو الذي استدعى ان يتصدّره ضمير الشأن متصلا بـ(إنَّ) تنبيها لهم على ضرورة المحافظة عليها وترغيبا في أدائها مبيناً علة ذلك في صورة حسية أسهم في رسمها التشبيه في قوله: (حتّ الورق) فالصلاة تعمل على اسقاط الذنوب كما يتساقط الورق من الشجر ، والاستعارة في قوله : (إطلاق الرّبق) فهي ((تطلق أعناق النفوس من أغلالها كما تطلق الربقة من عنق الشاة))[2] فضلا عن النغم الموسيقي الذي أحدثه السجع المطرف المتمثل في الفاصلتين (الورق) و (الرّبق)؛ إذ جاء صوت (القاف) رويا لهما ، وهو صوت شديد[3] يتناسب وثقل الصلاة .

ومنه في الخطبة نفسها قوله 8 عن الأمانة: (إنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَوَاتِ المَبْنِيَّةِ ، والأَرَضِينَ المَدْحُوَّةِ ، والجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ المَنْصُوبَةِ ، فَلاَ أَطْوَلَ وَلاَ أَعْرَضَ وَلاَ أَعْلَى، وَلاَ أَعْظَمَ مِنْهَا)[4] فافاد تصدير ضمير الغائب واتصاله بـ(إنَّ) تأكيد شأن الأمانة والمبالغة في تهويل أمرها ((فهي بالغة من الثقل وصعوبة المحمل ما لو أَنَّها عرضت على السموات والأرض والجبال لا متنعت من حملها))[5] ويزيد من تلك الدلالة مبالغة وتأكيدا ما فيها من اقتباس[6] . ووصف كل جرم سماوي بما يناسبه . فضلا عن تكرار (لا) النافية وتغيير وتنويع مابعدها ، والجوالموسيقي الذي أشاعه تكرار صيغة (أفعل) في النص .

وقد يأتي ضمير الغائب (الشأن) ضمير فصل[7] . وهو مايقع بين مبتدأ وخبر معرفتين أوما أصله مبتدأ وخبر[8]. ويؤتى به للدلالة على التأكيد[9] ، وقيل : للاختصاص[10]

ومن ذلك قوله 8 : (واعْلَم أنَّ الرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ هُمُ الذِينَ أغْنَاهُم عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ المَضْرُوبَةِ دُونَ الغُيُوبِ

---

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 10 / 158 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 3/ 573 .
3 - ينظر : الأصوات اللغوية : 25 .
4 - شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد: 10/ 158، وينظر ايضا : 1/ 139، 286، 6/ 289 ، 7/ 83، 9/ 27، 57، 13/ 16 .
5 - المصدر نفسه: 10/ 164 .
6 - إشارة إلى قوله تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ الاحزاب / 72 .
7 - وهو مصطلح بصري ويسميه الكوفيون (العماد):ينظر:الانصاف في مسائل الخلاف مسألة (100) : 2/ 706 .
8 - ينظر : الكتاب : 2/ 389-392، شرح المفصل : 3/ 61، النحو الوافي . : 1/ 222 .
9 - ينظر : شرح المفصل : 59/3، البرهان في علوم القرآن : 2/ 424، همع الهوامع: 1/ 227.
10 - ينظر : همع الهوامع : 1/ 231 .

، الإقرَارُ بِجُمْلَةِ مَاجَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الغَيْبِ المحْجُوبِ)[1] فقد جاء الضمير (هم) متوسطا بين المبتدأ والخبر ، ليشير الى تمام الجملة وعدم حاجتها إلى ما يتممها عن طريق تمكين المتلقي من تلابيب المعنى فضلا عما قام به من وظيفة تمثلت في تخصيص طرفي الاسناد بعضهما ببعض تعظيما لشأن أولئك الذين رسخت أقدامهم في العلم .

ومنه كذلك قوله 8 : (إِنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ)[2] وهذا النص جزء من خطبة له تحدث فيها عن عجيب خلق أصناف من الحيوان ، فقد أفاد الضمير (هو) الواقع بين المبتدأ (فاطر النملة) والخبر (فاطر النخلة) القصر والتأكيد عن طريق إعادة الاسم الظاهر مرتين.

وممّا تقدّم نلحظ أنّ التركيز قد انصب على ضمير الغائب فالمتكلم ثم المخاطب وهو ما جاء منسجماً ومقتضيات الخطاب العلوي ، ويدلُّ هذا على أنّ الضمير قد مثّل قيمة لها حضورها في الخطاب العلوي بما أفرزه من دلالات ومن ثَمَّ يمكن أن نتفق مع الرأي القائل بأنَّ ((استخدام الضمير كأحد المعارف يعطي الجملة البلاغية امتدادا واسعاً في الدلالة فضلا عن اكتنازه لمهمة التعريف المخصص))[3] الأمر الذي يرقى باللغة الفنية لتصبح لغة بلاغية.

التعريف بـ (العلـم) :

مـدخـل :

العلم هو ((الاسم الذي يعّين مسمّاه مطلقا ، أي بلا قيد التكلم أو الخطاب أو الغيبة))[4] أو ((هو أي اسم وضع لمعين خارجا أو ذهنا لايتناول ذلك الاسم غيره))[5].

ويمثل العلم صورة اخرى من صور المعارف المهمة ؛ إذ يأتي به المتكلم في خطابه او نصه اللغوي ليمّيز صاحب ذلك الاسم من غيره ممن يشبهه من جنسه يقول سيبويه مبينا علة كونه معرفة أَنَّه ((إنَّما صارمعرفة لأَنَّه اسم وقع عليه يعرف به بعينه دون سائر أمّته))[6] هذا يعني أنَّ المسند إليه إنَّما يؤتى به معّرفا بـ (العلمية) لما يتضمنه من خصائص قد عهدها المخاطب فيه مما يجعله يتميز من غيره ((فإذا قلت:جاءني زيدٌ عُلِمَ أَنَّك لَقَيْتَ بهِ واحِداً ممن كانَ داخِلاً في الجِنس ليُبان مِن سَائِرِ ذلك الجِنس))[7] ويقسم

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6/ 313 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 13 / 44 .
3 - في جمالية الكلمة : 123.
4 - شرح ابن عقيل : 1/ 113 .
5 - شرح الحدود النحوية : 70 .
6 - الكتاب : 2/ 5 .
7 - المقتضب : 518/4 .

العلم تقسيمات عدة فهو من حيث الاسم وغيره الى اسم وكنية ولقب ، ومن حيث الشيوع والتخصص إلى علم شخص وعلم جنس ، ومن حيث الإفراد والتركيب إلى مفرد ومركب ، ومن حيث النقل والارتجال إلى علم منقول وعلم مرتجل[1] .

وحديث اللغويين في باب العلم غالبا ما يدور في علم الاشخاص وأنواعه الثلاثة (الاسم – اللقب -الكنية) فالاسم إنَّما يؤتى به مسندا إليه للدلالة على احضاره بعينه في ذهن السامع أو التعظيم أو الإهانة أو التلذذ أو التبرك[2] . وأمَّا اللقب فهو ما أشعر بمدح أو ذم نحو : زين العابدين وأنف الناقة[3] وأمَّا الكنية كأبي الفضل وأم الخير فـ ((يقصد بها التعظيم والفرق بينها وبين اللقب معنى ، أنَّ اللقب يمدح الملقب به أو يذم بمعنى ذلك اللفظ بخلاف الكنية فإنَّه لايعظم المكني بمعناه بل بعدم التصريح بالاسم ، فإنَّ بعض النفوس تأنف من أن تخاطب باسمها))[4] غير أنَّ هذه الدلالة لاتلازم الكنية دائما فقد يراد بها الاهانة والتحقيركأبي جهل وأبي لهب وتُعدُّ الأعلام أكثر أنواع المعارف مرونة وأشدها تماسكا ؛ اذ يحقق العلم فضلا عن دلالته على التعريف قيما فنية ودلالات نفسية وجمالية وفقا للسياقات التي يكون عليها في الجمل البلاغية ، مضافا إليه الحال والمقام ومدى تصور السامع له .

ولعل من نافلة القول أن نشير إلى أنَّ اسم الجلالة (الله) أكثر الأعلام ورودا في الخطاب العلوي ، فالله تعالى لايطلق إلاَّ على المعبود بالحقِّ [5] ، ويمثل لفظ الجلالة (الله) معرفة المعارف ، وهو ما أجمع عليه النحويون ؛ إذ لاخلاف بينهم أنَّه أعرف المعارف[6]. الأمر الذي يحملنا على استشعار المعنى الوجداني والروحي عند ذكر الذات الالهية باسمها العلم . ويكشف مجيء المسند إليه معرّفا بـ (العلمية) في الخطاب العلوي عن دلالات دقيقة أبرزها:

الدلالة على قصد استحضار مدلوله بعينه في ذهن المخاطب :

من ذلك ماجاء في خطبة له 8 اشتملت على اوصاف الحق سبحانه فضلا عما فيها من ألوان المعرفة . يقول : (فَإِنَّ اللهَ سُبحَانَهُ لَمْ يَخْلُقكُم عَبَثاً وَلَمْ يَتْرُكْكُم سُدىً)[7] فقد جاء المسند إليه (الله) علما لغرض احضاره في ذهن السامع ابتداء فضلا عما يحمله من عنصر التشويق لتلقي الخبر الذي جاء مؤكدا بـ(إنَّ) والنفي بـ(لم) لأجل دفع الانكار من قبل المتلقي . فضلا عن تاكيد حقيقة الخبر في ذهنه ويزيد من تلك الدلالة في النص الاقتباس

1 - ينظر : شرح ابن عقيل : 1/ 114- 121 ، ومعاني النحو : 1/ 65 .
2 - ينظر : الايضاح في علوم البلاغة : 42 ، وأساليب المعاني في القرآن : 272- 274 .
3 - ينظر شرح الكافية : 3/ 342 ، وشرح ابن عقيل : 1/ 114 . همع الهوامع : 234/1 .
4 - شرح الكافية : 2/ 156 . وينظر : شرح المفصل : 1/ 57 .
5 - ينظر : الفروق اللغوية : 210 .
6 - ينظر : همع الهوامع : 1/ 188 .
7 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6/ 272 .

القراني المتمثل في قوله تعالى ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾[1] بالاضافة إلى التوازن الموسيقي بين (لم يخلقكم عبثا) و(لم يترككم سدى).

ومما جاء في ذلك قوله 8 : (إِنَّ اللهَ بَعَثَ رَسُولاً هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ ، وَأَمْرٍ قَائِمٍ)[2] فوقوع اسم الجلالة (الله) اسما لـ (إنَّ) قُصِد منه استحضار مدلوله بعينه لدى المخاطب ، كما نوّه ببناء الخبر عليه فضلا عن النغم الموسيقي الذي أضفته فاصلتا الفقرتين (ناطق ، قائم)؛ إذ جاءتا على وزن فاعل .

وقد يفيد مع هذه الدلالة دلالة التحقق والتثبت فيذكره المتكلم حصرا لبيان ما يريده ومثل ذلك قوله 8 : (فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفَلَجِكُم آجِلاً إِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلاً)[3] فذكر اسم الإمام حصرا واستحضار مدلوله بعينه لدى المخاطبين جاء ليبين مايريد ويشوّق الأسماع لتلقي الخبر عنه والمتثمل في اخباره إيّاهم بأنَّه الضامن لفوزهم في الدنيا والآخرة إذا ما اتقوا الله والتزموا أوامره ونواهيه فأفاد بذلك دلالة التحقق والتثبت .

وقد يفيد مع ذلك دلالة التخويف والتهويل نحو قوله 8 : (أَعْلِمْتُم أَنَّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ ، وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَت بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً من زَجْرَتِهِ)[4] فجاء المسند إليه (مالكا) علما من أجل استحضار مدلوله في أذهان المخاطبين تخويفا وتهويلا.فضلا عما جاء بعده من أوصاف رسمت صورة لغيبيات مخيفة.

التعظـــيم :

ومن ذلك قوله 8 : (وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدا نَجِيبُ اللهِ ، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ ، وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ)[5] لاشك أنَّ ذكر اسم النبي الأكرم (9) والواقع اسما لـ (أَنَّ) قد أثار عنصر التشويق لتلقي الخبر لما فيه من معنى عظيم ، فهو خير خلقه ورسوله إليهم ؛ كما أسهم في تعضيد دلالة التعظيم في النص خبر إنَّ ، إذ جاء مبيناً لحقيقة الرسول الأعظم .وتتحقق دلالة التعظيم أيضا عن طريق الكنية كما في قوله 8 : (وَاللهِ لَابْنُ أبي طالب آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفلِ بِثَدي أُمِّهِ)[6] فأفاد مجيء الكنية (ابن أبي طالب) مسنداً إليه دلالة التعظيم لشأنه منوها بذلك الى بناء الخبر عليه مؤكدا شجاعته واقدامه على الموت ؛ إذ ((إنَّ محبة الموت والأنس به متمكن

---

1 - القيامة / 36 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 9/ 225. وينظر ايضا : 1/ 124، 2/ 61، 4/ 26 ، 138/6، 313، 327، 7/ 35 ، 86 ، 90، 8/ 187 ، 9/ 61 ، 117 ، 220 ، 13/ 9.
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 1/ 302 .
4 - المصدر نفسه: 97/10
5 - المصدر نفسه: 10 / 147 .
6 - المصدر نفسه : 1/ 204 .

من نفوس أولياء الله لكونه وسيلة لهم الى لقاء أعظم محبوب والوصول الى أكمل مطلوب))[1] ومما جاء على ذلك ايضا قوله 8 : (لَقَدْ أَصْبَحَ أبو مُحَمَّد بِمَذَا الملكان غَرِيباً)[2] وهذا الكلام قاله لمّا مرَّ بطلحة وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وهما قتيلان يوم الجمل فقد عدل 8 عن ذكر العلم (طلحة) إلى التعبير بالكنية (ابو محمد) تعظيما وتكريما لهُ في مقام التحسّر لِمَا آل إليه إذ أصبح غريبا .

الذّم والتحذير :

ومما جاء على ذلك قوله 8 :(أَلاَ وإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ ، واسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ وَرَجِلَهُ)[3] فأفاد مجيء المسند إليه (الشيطان) علما دلالة الذّم والتحذير وما يتبعه من توبيخ لهم لأنَّ ((الباعث لهم والجامع على مخالفة الحقَّ إنَّما هو الشيطان بوسوسته لهم وتزيينه الباطل في قلوبهم))[4].

ومثل ذلك قوله 8 من خطبة له تسمى (القاصعة) ذمَّ فيها ابليس لاستكباره وتركه السجود لآدم 8: (أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لأَصْلِهِ ، وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ)[5] فأفاد ذكر المسند إليه (إبليس) دلالة الذَّمِّ والتحقير لتعصبه على آدم 8 ورفضه السجود له وتفضيل نفسه عليه .

التـفـاؤل :

من ذلك قوله 8 : (واللهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ ، وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ)[6] وقد دلّ على ذلك المقام الذي قيل فيه هذا الكلام ؛ إذ قاله 8 عندما استشاره الخليفة عمر بن الخطاب 0 في الخروج بنفسه للقاء الفرس ، لقلة عددالمسلمين وكثرة عدوّهم فأشار عليه بالبقاء ثم ذكر هذا الكلام ، وكأنَّه يقول لهم : إنَّ الله تبارك وتعإلى منجز لكم ما وعدكم به من دخول بلادهم ونشر دينكم فيها ، وناصر جندكم عليهم وذلك كلّه من باب التفاؤل الذي أفاده ذكر لفظ الجلالة. فضلا عن الأثر الموسيقي الذي خلّفه السجع الذي ختمت به فاصلتا الفقرتين (وَعْدَهُ ، جُنْدَهُ)

أمّا تعريف المسند (الخبر) بـ (العلمية) فلم يرد في الخطاب العلوي إلاَّ في نماذج قليلة جدا محققا بذلك دلالتين اثنتين هما :

1 - شرح نهج البلاغة : ابن ميثم البحراني : 1/ 461 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 11/ 94 .
3 - المصدر نفسه : 1/ 225 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 1/ 470 .
5 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 13/ 125. وينظر 1/ 279، 13/ 112.
6 - المصدر نفسه : 9/ 75 .

استحضار مدلوله بعينه لدى المخاطب ليتميز عمن عداه :

وذلك في نحو قوله 8 : (والحَكَمُ اللهُ)[1] وقد يراد به التخصيص والحصر .

الاهانة والتحقـير :

وقد عبرت عنها الكنية في قوله 8 : (وَهُوَ أَبُو الأَكْبُشِ الأَرْبَعَةِ)[2] وهو من كلام له قاله لمروان بن الحكم بالبصرة عندما وقع أسيرا يوم الجمل .

اسم الاشـــارة[3] :

مـدخـل :

هو كل اسم وضع ليدل على مسمّى معين مشار إليه ، وقد أطلق عليه سيبويه (الاسم المبهم) وعدّه من المعارف ، كما ذكر سبب ذلك بقوله : ((وإنمَّا صارت معرفة لأنّها صارت أسماء إشارة إلى الشيء دون سائر أمته))[4] ، وحدَّه الفاكهي (972 هـ) بأنَّه ((اسم مظهر دلَّ بايماء على حاضر أو نزّل منزلته))[5] ويمثل اسم الاشارة عنصرا مهما من عناصر التركيب بما يتطلبه من كلام بعده (المشار إليه) من خبر أو بدل وهذا يعني أنَّ هناك علاقة تلازمية بين اسم الاشارة والمشار اليه ؛ إذ لا يمكن أن نتصور إشاره من غير مشار اليه فمتى ما ينطق المتكلم اسم الاشارة يقفز إلى ذهن المخاطب مشار إليه يقصده المتكلم، كما إنَّ لاسم الاشارة أثراً في المعنى بما تؤديه ألفاظُهُ من معاني القرب والبعد والتوسط ، ويبرز ذلك بوضوح في جواز وقوع أحد هذه الالفاظ مكان الآخر لغرض معين . وهذا التنوع الاشاري يكسب النص ثراء في الدلالة والتأثير النفسي لما فيه من ((قوة وتحديد وتعيين وافراغ للنفس مما تحسُّ به))[6] وتجدر الاشارة هنا إلى أنَّ الأصل في استعمال أسماء الاشارة أن يشار بها في التركيب اللغوي إلى حاضر مشاهد محسوس كما في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذا أَكْبَر

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 9/ 185 .
2 - المصدر نفسه : 6/ 117 .
3 - وهو مصطلح بصري ، ويطلق عليه الكوفيون (حروف المثل) . ينظر : تهذيب اللغة مادة (ذا) : 11/ 62، ويسميها د. تمام حسان (ضمائر الاشارة) . ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : 110 .
4 - الكتاب : 5/2 .
5 - شرح الحدود النحوية : 73 .
6 - من بلاغة النظم العربي : 1/ 149 .

﴿[1] أو كالحاضر في الذهن حسّاً أي تنزيله منزلة المحسوس كما في قوله جل وعلا: ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [2] وتحمل الأسماء الإشارية في الخطاب العلوي شحنات من المعاني الإضافية والمقاصد والدلالات الفنية التي يمكن أن تستشف من السياق والمقام الذي جاءت فيه أبرزها :

الدلالة على تمييز المشار إليه أكمل تمييز باستحضاره في ذهن المخاطب :

يؤتى بالمسند اليه معرّفا بـ (اسم الاشارة) للدلالة على تحديد المراد منه والعمل على تمييز المشار إليه أكمل تمييز عن طريق احضاره في ذهن المخاطب ((وهذا التحديد قد يكون مقصدا مهما للمتكلم ؛ لأنَّه حين يكون معنيا بالحكم على المسند إليه بخبر ما فإنَّ تمييز المسند إليه تمييزا واضحا يمنح الخبر مزيدا من القوة والتقرير))[3] من ذلك ما جاء في قوله 8 من خطبة له وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد : (وَاللهِ لَأَظُنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ القَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُم بِاجْتِمَاعِهِم عَلَى بَاطِلِهِم وَتَفَرُّقِكُم عَنْ حَقِّكُم ، وَبِمَعْصِيَتِكُم إِمَامَكُم فِي الحَقِّ ، وَطَاعَتِهِم إِمَامَهُم فِي البَاطِلِ ، وَبِأَدَائِهِم الأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِم وَخِيَانَتِكُم ، وَبِصَلَاحِهِم فِي بِلَادِهِم وَفَسَادِكُم)[4] فلما أراد الإمام 8 أن يخبر أصحابه بحال أصحاب معاوية وحالهم معهم نجده قد مّيزهم أكمل تمييز ؛ وذلك بالاشارة إليهم بـ(هؤلاء) لأجل احضارهم في أذهان السامعين . ويبدو أنّ هذه الدلالة قد استدعت من المتكلم التمهيد لتوجيه أذهان المتلقين إليها وهو ما حققه في النص اسم الاشارة (هؤلاء) كما جاءت كثافة التقابل الجملي بين هذه العبارات لتوضح ما كانت عليه الفئتان من التباين والاختلاف ، فأسهم كل من اسم الاشارة والتضاد في إفادة معنى التوبيخ لهم .

ومن ذلك ما جاء من خطبة له خطبها في الناس لمّا انتهى إليه أنَّ خيل معاوية قد وردت الأنبار فقتلوا عامله فيها يقول : (فَهَذَا أَخُو غَامِدٍ[5] ، قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الأَنْبَارَ)[6] فقد اقتضى المقام هنا أن يعبّر الإمام عن المسند إليه باسم الاشارة (هذا) مقرونا باسم قائد خيل العدو ؛ لتمييزه أكمل تمييز ولتمكينه في أذهان المخاطبين ، ومن الجدير بالذكر أنَّ اسم الاشارة في قوله :(هذا أخو غامد) قد خرج عن أصل استعماله بعودته على غير حاضر ولا مشاهد ، ولكّنه نُزِّل منزلة ذلك من أجل استحضاره في ذهن المتلقي ؛ لبيان قربه

1 - الأنعام / من الاية 78 .
2 - آل عمران / من الآية 140
3 - خصائص التراكيب : 153 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1/ 303 .
5 - هو سفيان بن عوف الأزدي الغامدي قائد،صحابي،ولاّه معاوية الصائفتين فظفر واشتهر . توفي سنه 52 هـ . الأعلام: 158/3.
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2/ 61 .

والايحاء بأنه لما دخل الانبار صار كأنه قد حضر في المكان ؛ لهول الامر المقدم عليه المشار إليه واستفظاعه . ومن ذلك ما جاء في خطبة لهُ من خطب الملاحم يوميء فيها إلى صاحب الزنج يقول : (فَهَذَا عِلمُ الغَيبِ الذِي لاَ يَعْلَمُهُ أحدٌ إلاَّ اللهُ)[1] وهذا النص جاء ردا على بعض أصحابه عندما قال له : لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب مبينا له أنَّ علم الغيب هو علم الساعة فالخطاب العلوي استعمل اسم الاشارة (هذا) في تعريفه للمسند إليه ، ولم يستعمل الضمير (هو) ليبرّزه ويميزه أكمل تمييز، ويمكّن ما أُسند إليه من الخبر من ذهن المتلقي . يتبين مما تقدم أنَّ اسم الاشارة إنّما يعمل على تمييز المشار إليه تمييزاً يكفل إحضار صورته أو مشهده في ذهن المتلقي بالاشارة إليه حسّاً .

1 - المصدر نفسه :8/ 167.وينظر ايضا:2/ 241 ،7/ 26 ، 54، 8/ 83، 9/ 75، 222، 225 ، 10 / 73، 149، 13/ 10، 51 .

الدلالة على التعظيم والتنويه وعلو المنزلة :

ومن ذلك قوله 8 : (وَذَلِكَ حِبْتَدِعُ الخَلْقِ وَوَارِثُهُ ،وَإِلهُ الخَلْقِ وَرَازِقُهُ)[1] فاسم الاشارة (ذلك) وما فيه من معنى البعد يشير إلى الله جلّ وعلا ايذاناً منه بعلو الدرجة وبعد المكانة لعظمة شأنه سبحانه ؛ فهوالذي خلق الخلق وأوجده على غير مثال احتذاه فكفل رزقه ثُمَّ إليه مآله. ويزيد غنى التعبير ويضاعف وقعه على السمع ذلك التوازن الموسيقي في:

مبتدع الخلق ووارثه
واله الخلق ورازقه

فضلاً عن تكرار لفظة (الخلق) والسجع في (وارثه) ، (رازقه) .

ومنه كذلك قوله 8 : (فَمَا أَقَلَّ هَنْ قَبِلَهَا ، وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا ! أُولَئِكَ الأَقَلُّونَ عَدَداً, وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ)[2] . وهذا النص جزء من خطبة له 8 أوصى فيها العباد بتقوى الله وضرورة تحصيلها فهي طريقهم ووسيلتهم إلى الجنة ثم أعقب وصيته هذه بالتعجب من قلّة من يقبلها ويحملها حقّ حملها ثم أشار بعد ذلك إلى منزلتهم بقوله : (أولئك الأقلّون عددا) فقد دلَّ اسم الاشارة (أولئك) على دلالتين : المشاهدة الحسية المتمثلة في ذكر صفاتهم بأنَّهم أقلُّ عددا ، وأنَّهم أهل صفة الله . مشيرا إلى تجسيد حضورهم في ذهن المتلقي والبعدية الدالة على رفعة منزلتهم وعظمة شأنهم ويبدو انه عليه السلام يعلم أن الذي يتدبر كلامه من القلة التي يمكن أن يخاطب بدلالة الواحد.

الدلالةعلى الإيجاز وتأكيد المعنى (التحقيق والتثبيت) :

وتتمثل هذه بان يرد اسم الإشارة مشاراً به إلى كلام سابق له قاصدا تحقيقه فيسلك المتكلم بذكره اسم الإشارة سبيل الإيجاز تجنبا للتكرار وتأكيداً للمعنى ، فأسماء الإشارة ((تعين المتكلم على التركيز والايجاز وتفادي التكرار الذي تترهل به الأساليب ويتثاقل به وثوبها إلى القلوب))[3] .

من ذلك قوله 8 : (وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَلَبِسَ بِهِ فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ هِنْ جُهَّالٍ وَأَضَالِيلَ هِنْ ضُلَّالٍ وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكاً هِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ ، وَقَوْلِ زُوْرٍ ، قَدْ حَمَلَ الكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ ، وَعَطَفَ الحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ ، يُؤْمِّنُ النَاسَ هِنَ العَظَائِمِ وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الجَرَائِمِ ، يَقُولُ : أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ -وَفِيهَا وَقَعَ- وَيَقُولُ : أَعْتَزِلُ البِدَعَ - وَبَيْنَهَا اضْطَجَعَ- فَالصُّورَةُ صُورَةُ انسَانٍ والقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ ، لَا يَعْرِفُ بَابَ الهُدَى فَيَتَّبِعَهُ ، وَلَابَابَ العَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ وَذَلِكَ هَيْتُ الأَحْيَاءِ) [4] يتحدث الإمام في هذا الجزء من الخطبة عن الفساق والجهلة ، وعن الذين

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 6/ 304 .
2 - المصدر نفسه : 13/ 88 .
3 - خصائص التراكيب : 159 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6/ 289 .

يتصفون بالعلم وهم ليسوا كذلك . فأفاد مجيء اسم الاشارة (ذلك) في قوله : (ذلك ميّت الأحياء) دلالة التحقيق والتثبيت ؛ إذ أشار إلى ما تقّدم من كلام . فضلا عن دلالة الإيجاز وتأكيد المعنى . وإنَّما خصَّ مَنْ سُمّي عالما وهو ليس بعالم بهذه الصفات ((في معرض الذَّمِّ ، لأنَّه أشد فتنة وأقوى فسادا لتعدّي فتنته من نفسه إلى غيره))[1] لذا نجده يؤكّد هذا المعنى بالاشارة إليه بأنَّه (ميّت الأحياء) كما عزّز دلالة ذلك في النص التضاد في (تَسمّى عالما وليس به) فضلا عن الموسيقى الداخلية التي بثَّ نغمها الجناس الاشتقاقي في (جهائل ـ جهّال) (أضاليل -ضلاّل) وكذلك السجع في (غرور -زور) ، (آرائه - أهوائه).

ومنه كذلك قوله 8 : (وَأَعجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقٌ[2] ، طَرَقَنَا بِمَلفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا ، كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوِ قَرِئِهَا فَقُلْتُ : أَصِلَةٌ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ ؟ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ)[3] فإشارية (ذلك) إلى الأقسام الثلاثة (الصلة والزكاة والصدقة) قد أفادت هنا دلالة التحقيق والتثبيت . فضلا عن اكتنازها دلالة الايجاز وتأكيد المعنى فلو قال مثلا

1 - شرح نهج البلاغة ابن ميثم البحراني : 2/ 397 .
2 - والطارقُ هو أبو محمد الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي أمير كندة في الجاهلية والإسلام ولد سنة 23 ق. هـ وتوفي سنة 40 هـ . الأعلام : 1/ 333 .
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 11/ 188 .

(فَإِنّ الصلة والزكاة والصدقة محرم علينا) لأدّى ذلك التكرار إلى ذهاب المعنى الذي حققه (ذلك) باشاريته .

ومن شواهده أيضا قوله 8 : (وَبَادِرُوا الْمَوْتَ وَغَمَرَاتِهِ ، وَامْهِدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ , وأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ ، فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةُ ، وَكَفَى بِذَلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ ، وَمُعْتَبَراً لِمَنْ جَهِلَ)[1] فقد أشار المسند إليه (بذلك) إلى الموت السابق ذكره لأجل التثبت والايجاز وتأكيد المعنى ، وقد زاد في دلالة ذلك مجيء الفاعل وقد دخلت عليه الباء المزيدة إمعانا في تأكيد الاثبات ، ولاريبَ إنَّ في ذكر الموت وأهوال القيامة ((واعظا بليغاً يزجر النفوس عن متابعة هواها ومعتبرا تقف منه على أن وراء هذا الوجود وجود أعلى وأشرف منه))[2]

التنبيه على جدارة المشار إليه بما بعده من أوصاف :

قد يستعمل الخطاب العلوي اسم الاشارة (المبتدأ) للدلالة على استحقاق المبتدأ للخبر وتتمثل هذه الدلالة في ((أن تذكر أوصافا عديدة للشيء ثُمَّ تذكره باسم الإشارة جاعلا ما يترتب على تلك الأوصاف مسندا إلى هذا الاسم،واسم الإشارة هذا يفيد أن ما يرد بعده فالمشار إليه جدير به))[3] من ذلك قوله 8 في خطبة له بعد أن عدّد صفات رسول الله(9):(أولَئِكَ إخوَانِي الذَّاهِبُونَ فَحَقَّ لَنَا أنْ نَظْمَأَ إلَيْهِم ، وَنَعَضَّ الأيْدِي عَلَى فِرَاقِهِم)[4] فقد عبّر الإمام 8 عن الصفوة من صحابة رسول الله(9) بلفظ الاشارة (أولئك) للدلالة على أنَّهم من أجل تلك الأوصاف جديرون بالأخوة فضلا عما فيه من بيان علوم المنزلة وهو ما أفاده اسم الاشارة (أولئك) ، فلو عبّر الإمام عنهم بالضمير (هم) فيقول مثلا : (فهم إخواني الذاهبون ....) لفاتت الإشارة الى العلو المكاني والمعنوي كما إنَّ في النص غرضا آخر أفرزه السياق ، وهو تحسّره وتألمه 8 لذاهبهم وهو ما أسهم في بيانه كل من الاستعارة في قوله :(نظمأ إليهم) والكناية في قوله : (ونعض الأيدي على فراقهم) كل ذلك جاء في مقام المدح لهم .

ومن شواهده قوله 8 في بيان صفات الصالحين :(أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى وَأَعْلَامُ السُّرَى ، لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ[5] وَلَاالْمَذَايِيعِ [6] الْبُذُرِ، أولَئِكَ يَفْتَحُ اللهُ لَهُم أبْوَابَ رَحْمَتِهِ ، وَيَكْشِفُ عَنْهُم ضَرَّاءَ نِقمَتِهِ)[1] جاء اسم

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 13/ 84، وينظر أيضا : 6/ 313 ، 9/11 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 4/ 240 .
3 - خصائص التراكيب : 157 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7/ 226 .
5 - السّيحُ الماءُ الظاهر الجاري على وجه الأرض ..... والمسياحُ الذي يسيحُ في الأرض بالنميمة والشَّرّ . لسان العرب مادة (سيح) : 6/ 451 - 452 .
6 - الذّيعُ أن يشيع الأمرُ ..... ، والمذياع : الذي لا يكتم السّر ، وقومٌ مذاييع ... ... وهو جمع مذياع من أذاع الشيء إذا أفشاه . لسان العرب ماده (ذيع) : 5/ 74 .

الاشارة (أولئك) ايذانا بأنّ ما يرد بعده أهل لأن يتصف به ما قبله تنبيهاً على جدارتهم ورفعة شأنهم بما اتصفوا به من صفات فهم ((يعملون بعلمهم ، ويخلصون لدينهم ، ..... لا يسيحون ويمشون بين الناس با لفساد .....،ولا يذيعون الفاحشة ويبذرون النميمة والوشايه))[2] وأمّا ما يخص دلالة تكرار اسم الاشارة . (أولئك) فقد أفاد العناية والاهتمام بشأن المشار اليهم ، فحق لذلك أن يفتح لهم ربهم أبواب رحمته ويدخلهم فسيح جنته .

الدلالـــــة على التحقير :

يستعمل اسم الاشارة للدلالة على تحقير المشار إليه بلفظ القريب والبعيد بحسب السياق ومما جاء بلفظ القريب قوله 8 من كلام له وقد جمع الناس وحثهم على الجهاد: (وإنّما أنا قُطْبُ الرَّحَا ، تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي فَإِذَا فَارَقْتُه استَطَارَ مَدَارُهَا واضطَرَبَ ثِفَالُهَا[3] ، هَذَا لَعَمْرُ اللهِ الرَّأْيُ السُّوءُ)[4] فقد أورد عليه السلام اسم الاشارة (هذا) كيما يدل على استحقار المشار إليه وتقليل شأنه ؛ لما فيه من مفسدة مؤكدا ذلك بالقسم (لعمر الله) ومنه كذلك قوله 8 : (أَلاَ وإِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُم تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا وَأَصْبَحَت تُغْضِبُكُم وَتُرْضِيكُم لَيْسَتْ بِدَارِكُم وَلاَ مَنْزِلِكُم الذِي خُلِقْتُم لَهُ)[5]

فالاشارة إلى الدنيا وتناقضاتها بلفظ القريب (هذا) تحقيرُ لها وتصغير لشأنها ، لسرعة زوالها عن أهلها ورحيلهم عنها .

وقد يستعمل اسم الاشارة بلفظ البعيد للدلالة على استبعاد المشار إليه وتحقيره وضآلة شأنه من ذلك ما جاء في خطبة له تسمّى (القاصعة) تتضمن ذَمّ إبليس (لعنه الله) يقول : (فَاطْفِئُوا مَا كَمُنَ فِي قُلُوبِكُم مِنْ نِيرَانِ العصبية وَأَحْقَادِ الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّمَا تِلْكَ الحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي المُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ ، وَنَزَعَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ)[6] فقد استعمل الامام اسم الاشارة (تلك) بلفظ البعيد ؛ لأن نيران العصبية وأحقاد الجاهلية رواسب من مكان بعيد تحقيرا للمشار إليه وانحطاطه ؛ إذ ((إنَّ الحمية والعصبية الباطلة من خطرات الشيطان التي يخطرها للنفوس))[7] وذلك في مقام التنفير منها .

---

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7/ 86 .
2 - في ظلال نهج البلاغة : 2/ 104 .
3 - الثِّفال بالكسر الجلد الذي يبسط تحت رحى اليد ليقي الطحين من التراب.لسان العرب مادة(ثفل):2/ 107.
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7/ 222
5 - المصدر نفسه : 9/ 251 .
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 13/ 105 .
7 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 4/ 300 .

الدلالة على التفخيم والتهويل :

من ذلك قوله 8 : (وَذَلِكَ يَومٌ يَجْمَعُ اللهُ فِيهِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لِنِقَاشِ الحِسَابِ ،وَجَزَاءِ الأَعْمَالِ)[1] .

فقد أورد الخطاب العلوي اسم الاشارة (ذلك) للدلالة على هول ذلك اليوم (يوم القيامة) الذي تجزى فيه كُلُّ نفس ما عملت ويلحظ في هذا الخطاب أَنَّه استعمل اسم الاشارة (ذلك) للإشارة إلى أمر غير محسوس (معقول) وهو (يوم القيامة) بما فيه من أهوال ؛ إذ نزّله منزلة المشاهد المحسوس تفخيما له وتهويلا .

وقد يأتي اسم الإشارة مسندا اليه لغرض لفت أذهان المخاطبين وتوجيه عنايتهم صوب وصف المشار إليه . من ذلك ما جاء من كلام له 8 قاله للخوارج وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة يذكرهم فيه قبولهم أمر التحكيم ونصيحته لهم يقول:(فَقُلْتُ لَكُم:هَذَا أَمرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ ، وَبَاطِنُهُ عُدوَانٌ ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ ، وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ)[2] وهذا ما حصل بالفعل .

وقد يراد باسم الإشارة الدلالة على الأمور المعقولة والصفات غير المشاهدة وإنزالها منزلة المشاهد المحسوس . من ذلك قوله 8:(ذَلِكَ زَمَانٌ لاَ يَنْجُو فِيهِ إِلاَّ كُلُّ حُوَّمِرٍ نَوَّهَة)[3] فقد أنزل لفظ (ذلك) الدال على البعد بإشاريته الحسّيّة المعقول (زمان) منزلة المشاهد المحسوس ؛ لأجل استحضاره الصورة أو المشهد في ذهن المخاطب .

ومثله أيضا قوله 8 :(فَهَذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ)[4] . وفي هذا دلالة على أنَّ اسم الاشارة يشار به إلى المحسوس وغير المحسوس .

اسم الموصـــول :

مدخــل

الموصول في اللغة : اسم مفعول للفعل وصل ((وصلت الشيء وصلا وصلة والوصل ضد الهجران ..... ووصل الشيء إلى الشيء وصولا وتوصّل إليه انتهى إليه))[5] . ويتضح أنَّ دلالات الفعل (وصل) ومشتقاته لا تكاد تفارق معنى واحدا مفاده

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 7/ 80 .
2 - المصدر نفسه :7/ 231 .
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7/ 86 .
4 - المصدر نفسه : 8/ 187 .
5 - لسان العرب مادة (وصل) : 15/ 316- 317 .

الوحدة والاتصال ، وهو ما نستشعره جليا في المعنى الاصطلاحي له . فالاسماء الموصولة هي تلك الأسماء التي توصل بصلة تأتي بعدها تبين معناها[1] .

يتضح مما تقدم أنَّ الأسماء الموصولة إنَّما تكون معرفة من الصلة التي تقع بعدها ؛ لعدم استقلالية المعنى فيها ، فهي منفردة لا معنى لها قط ؛ وإنَّما تكمن افادتها للمعنى من صلتها . التي تعد أهم ركن في اتمام معنى الاسم الموصول[2] . وعلى أساس من هذا يُعدُّ الاسم الموصول واحداً من أبرز لبنات الصرح اللغوي ؛ لِمَا يتميز به من خصائص لا تكاد تتوافر في سائر المعارف فهو -اذا جاء مبتدأ- يقوم باستدعاء الخبر وتهيئة ذهن المخاطب لتلقيه ، مما يؤدي ذلك إلى إحكام الخبر بالصلة إحكام السبب بالمسبب وهو ما يضفي على النص قوة في الرصف ومتانة في السبك ؛ مما يجعل الكلام مرتبطا بعضه ببعض .

كما إنَّه يقوم بوظيفة مهمة في ا لتركيب الجملي بوصفه حلقة وصل يتوصل بها إلى وصف المعارف بالجمل ، وقد اوضح ذلك عبد القاهر الجرجاني بقوله : ((إنَّ (الذي) اجتلب ليكون وصلةإلى وصف المعارف بالجمل كما اجتلب (ذو) ليتوصل به إلى الوصف بأسماء الأجناس . يعنون بذلك أنك تقول : مررت بزيد الذي أبوه منطلق وبالرجل الذي كان عندنا أمس : فنجدك قد توصلت بالذي إلى أن أبنت زيدا من غيره بالجملة التي هي قولك: (أبوه منطلق) ، ولو لا الذي لم تصل إلى ذلك كما إنك تقول : مررت برجل ذي مال . فتتوصل بذي إلى أن تبين الرجل من غيره بالمال ولولا (ذو) لم يتأت لك ذلك ؛ إذ لا تستطيع أن تقول:(برجل مال)))[3] فمناط الموصول هنا هو تخصيص ذلك الموصوف المعرفة بما تضمنه من تفصيل وبيان لمعناه.

ويرى بعض المحدثين أنَّ الاسم الموصول قد يؤتى به في التركيب الجملي مؤديا الوظيفة نفسها التي تؤديها الضمائر وهي (الاختصار) بل يذهب إلى أبعد من ذلك ، فهو يرى أنَّ تحقيقها بالموصول أقوى من الضمير . يقول: ((أمَّا الأسماء الموصولة فهي كالضمائر وأسماء الإشارة تؤدي ما تؤديه من وظيفة ..... ولكنها أقوى من الضمائر وأسماء الاشارة في تحقيق الاختصار))[4]

ولقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى أهمية هذا الضرب من ضروب المعارف لاسيما في حديثه عن التعريف بـ(الذي) ؛ إذ يقول : ((اعلم أَنَّ لك في (الذي) علما كثيرا وأسرارا جمة ، وخفايا إذا بحثت عنها وتصوّرتها اطلعت على فوائد تؤنس النفس ، وتثلج الصدر ،مما يفضى بك إليه من اليقين ، ويؤديه اليك من حسن التبيين))[5] ويعرّف

1 - ينظر ، أسرار العربية : 190، شرح مفصل : 3/ 101 ، شرح ابن عقيل : 2/ 153 ، معاني النحو : 1/ 28 .
2 - ينظر : اللمع في العربية : 295 .

3 - دلائل الاعجاز : 222، وينظر : الأصول في النحو : 2/ 271 ، والتطور النحوي : 181 .
4 - مدرسه الكوفة ومنهجها في النحو واللغة : 235 .
5 - دلائل الإعجاز : 222 .

المسند والمسند إليه بالموصولية وكذلك المفعول به ؛ لابرازمعان ودلالات يحرص المتكلم على ايضاحها في سياق الكلام ، ويحاول الباحث فيما يأتي أن يذكرأبرز هذه المعاني والدلالات متلمسا شواهدها في تعبيرات الخطاب العلوي :

دلالات تعريف المسند إليه بـ (الموصولية) :

الدلالة على التعظيم :

يستعمل الخطاب العلوي المسند اليه الموصول للدلالة على التعظيم كما في قوله 8:(.....فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ، وَيَنْجُو الذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِنَ اللهِ الْحُسْنَى)[1]

فالنص جزء من خطبة له 8 تحدث فيها عن الفتن ، وقد أورد اسم الموصول (الذين) فاعلا تعظيما لشأنهم ، ورفعا لمنزلتهم . فالذين تمسكوا بكتاب الله ولم يخالفوا أحكامه باتباعهم الاهواء المضلة والأحكام المبتدعة ، هم الذين استحقوا المقام الرفيع يوم القيامة ؛ إذ ((أخذت عناية الله بأيديهم في ظلمات الشبهات فقادتهم فيها بافاضة نور الهداية عليهم إلى تمّيز الحق من الباطل))[2]

ومنه كذلك قوله 8 لعمر بن الخطاب E : (وَالَّذِي نَصَرَهُم وَهُم قَلِيلٌ لاَ يَنْتَصِرُونَ وَمَنَعَهُم وَهُم قَلِيلٌ لاَ يَمْتَنِعُونَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ)[3] فقد أورد اسم الموصول (الذي) مبتدأ ليكون محوراً يشع بالرهبة والقوة ؛ مما أسبغ على ذلك المبتدأ معاني الرفعة والعظمة والجلال. فأراد الإمام بذلك أن يخبره بأنَّ ((الذي نصرهم في الابتداء على ضعفهم هو الله تعالى وهو حي لا يموت فاجدر أن ينصرهم ثانيا كما نصرهم أولا))[4] كما أضفى الترصيع الحاصل بين الفاظ الفقرتين نغما موسيقيا في النص أسهم فيه (صوت النون) الذي ختمت به فاصلتا الفقرتين. ويآزر دلالة التعظيم في الخطاب العلوي قيام الاسم الموصول بوظيفة الواصف لما تقدمه من المعارف ؛ إذ تتعهد صلته بتخصيص ذلك الموصوف المعرفة المتقدم بما تتضمنه من تفصيل وبيان لمعناه . ونلحظ ذلك كثيرا في بدايات خطبه 8 أو الأدعية ؛ إذ يكون الموصوف ـ في ـالأغلب الأعم- هو الله جل اسمه .

ومما جاء على ذلك قوله 8 :(فَتَبَارَكَ اللهُ الَّذِي لاَ يَبْلُغُهُ بُعْدُ الهِمَمِ ، وَ لاَيَنَالُهُ حَدْسُ الفِطَنِ)[5] فقد وقع اسم الموصول (الذي) وصفاً للمسند إليه لفظ الجلالة (الله) دلالة ومعنى وهو ما لا يتحقق بغيره ؛ لافتقاره إلى جملة توضحه وترفع ما به من إيهام ، مؤكداً دلالة التعظيم في

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 3/ 188 .
2 - شرح نهج البلاغة : ابن ميثم البحراني : 2/ 184 .
3 - شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : 8/ 227 .
4 - المصدر نفسه : 8/ 227 .
5 - شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : 7/ 47 .

النص . فلو حذف اسم الموصول من السياق لتحولت الجملة إلى حال ولاختلف حينئذ المعنى تبعا لاختلافه بين الصفة والحال.

ومنه أيضا قوله 8 : (الحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ الحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ وَسَبَباً لِلمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ ، وَدَلِيْلاً عَلَى آلائِهِ وَعَظَمَتِهِ)[1] . فقد دلَّ ذلك على عظمة الخالق تبارك وتعالى . ونظيرُ ذلك ما جاء في دعاء كان يدعو به 8 كثيراً : (الحَمْدَ للهِ الَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتاً وَلاَسَقِيماً ، وَلاَ مَضْرُوباً عَلَى عُرُوقِي بِسُوءٍ ، وَلاَ مَأْخُوذاً بِأَسْوَءِ عَمَلِي ، وَلاَ مَقْطُوعاً دَابِرِي، وَلاَ مُرْتَدّاً عَنْ دِينِي ، وَلاَ مُنْكِراً لِرَبِّي، وَلاَ مُسْتَوحِشاً مِنْ إيمَانِي ، وَلاَ مُلْتَبِساً عَقْلِي ، وَلاَ مُعَذّباً بِعَذَابِ الأُمَمِ مِنْ قَبْلِي)[2]

الدلاله على التحقير :

قد يرد المسند اليه معرفا بالموصولية للدلالة على التحقير والاستهزاء وتصغير شأن المكنّى عنه ، ومثل هذه الدلالة نجدها في نحو قوله 8 من خطبة خطبها بالمسلمين لمّا بويع بالمدينة : (هَلَكَ مَنِ ادَّعَى ، وَخَابَ مَنِ افْتَرَى)[3] فاسم الموصول (مَنِ) في هذين القولين جاء للدلالة على تحقير وتصغير شأن من يكذب ومن يدّعي أمراً ليس له أهلا . ومن ذلك قوله 8 : (فَلاَ يَغُرَّنَّكُم مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الغُرُورِ)[4] فـ (ما) في هذا النص اسم موصول لغير العاقل أفاد دلالة التحقير مؤكدا ذلك بنهي من يخاطبهم ((عن الاغترار بما أصبح فيه أهل الغفلة من متاع الدنيا وطيباتها))[5] .

ومن شواهدها قوله 8 : (وأَيْمُ اللهِ لَبَذٌ يَبِنٌّ مَا فِي أَيْدِيهِم بَعْدَ العُلُوِّ والتَّمْكِينِ كَمَا تَذُوبُ الأَلِيَّةُ عَلَى النَّارِ)[6] فقد دلَّ اسم الموصول (ما) في هذا النص على تفاهة ملك بني أمية تحقيراً له ، وأنَّه سرعان ما يزول مؤكدا ذلك بمؤكدات هي (القسم ، اللام ، نون التوكيد الثقيلة) وقد أسهم في تأكيد هذا المعنى أيضا المشهد التصويري الذي رسمته فرشاة التشبيه المجمل في قوله : (كما تذوب الألية على النار) .

الدلالة على إرادة واحد غير معين من الجنس :

1 - المصدر نفسه : 9/ 160 .
2 - المصدر نفسه : 11/ 65 .
3 - المصدر نفسه : 1/ 254 .
4 - المصدر نفسه: 6/ 300 .
5 - شرح نهج البلاغة : ابن ميثم البحراني : 2/ 420 .
6 - شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : 9/ 217 . وينظر أيضا : 9/ 82، 10/ 158- 159 .

من ذلك قوله 8 : (إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثُلَاتِ حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ)[1] يشير الخطاب العلوي في هذا النص ((إلى وجوب الاعتبار لوجوب التقوى ونبّه إلى أنَّه وسيلة إليه ومستلزم له في صورة شرطية متصلة))[2] أسهم في تفعيلها داخل النص اسم الموصول (مَنْ) الّدال على إرادة واحد غير معين من الجنس ، ليشمل بذلك كل من أخذ العظة والاعتبارمن الدنيا لِمَا تكشّف له من حالها وما هي عليه من التغّير وعدم الثبات .

ومنه أيضا ما جاء في خطبة له 8 في توحيد الله وتنزيهه يقول :(مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ ، وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ)[3] فالاسم الموصول (مَنْ) في هذه الجمل الأربع دليل على إرادة واحد من الجنس إلاَّ أنَّه غير محدد ، فالعموم إنَّما يتحقق عن طريق ما حملته صلة الموصول من معنى يتمّثل في إحاطة الحق جلَّ وعلا بعباده وعلمه بما يسرون ويعلنون ، ومشيئته المطلقة في الرزق فضلا عن مآب الأحياء والأموات إليه ومنه كذلك قوله 8 : (فَتَبَارَكَ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ، وَيُعَفِّرُ لَهُ خَدًّا وَوَجْهاً ، وَيُلْقِي بِالطَّاعَةِ إِلَيْهِ سِلْماً وَضَعْفاً ، وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفاً)[4] فقد أفاد اسم الموصول (مَنْ) الدلالة على الاطلاق والعموم فله تبارك وتعالى يسجد كل من في السموات والارض طوعا وكرها ، فالعبادة والسجود لا تكون إلاَّ له فالجميع يدخلون((تحت ذل الحاجة إلى كمال قدرته وخضوع الامكان بين يدي رحمته))[5]

أضف إلى ذلك موجة النغم الموسيقي التي حققها ايقاع السجع المتوازي من خلال التجانس الصوتي في الحروف الاخيرة لفاصلتي الفقرتين الأولى والثانية والفقرتين الثالثة والرابعة مع النغم الذي يبعثه وزن الفاصلة . فضلا عما أفاده الترادف والتضاد في النص مما عمل على تعزيز الرهبة والخضوع التي أراد الإمام أن تبلغ منتهاها في نفوس متلقيه .

الدلالة على الاشارة إلى نوع الخبر :

يؤتى بالمسند إليه معرفا باسم الموصول لغرض الاشارة إلى نوع الخبر مدحاً أو ذمَّاً أو غير ذلك ، فعن طريقه يتنبه المتلقي إلى خاتمة الكلام من ذلك قوله 8 : (فَمَنْ أَشْعَرَ

1 - المصدر نفسه : 1/ 253 .
2 - شرح نهج البلاغة : ابن ميثم البحراني : 1/ 488 .
3 - شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : 7/ 152 .
4 - شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : 51/13 . وينظر أيضا : 2/ 234، 7/ 152 ، 9/ 47، 148/10 ، 11/ 19.
5 - شرح نهج البلاغة : ابن ميثم البحراني : 4/ 166 .

التَّقْوَى قَلْبُهُ بَرَزَ هَمَلُهُ وفَازَ عَمَلُهُ)[1] فاستعمال اسم الموصول (مَنْ) أفاد أنَّ استشعار التقوى الذي انطوت عليه الصّلة يشير إلى أنَّ الخبر من نوع العمل فمن جعل التقوى شعارا لقلبه ((ظهرت عليه آثار الرحمة الإلهية في السكينة والوقاروالحلم والأناة عن التسرع إلى مطالب الدنيا وعلمت راحته في الآخرة ، وفاز عمله فيها بالجزاء الأوفى .))[2] وذلك في مقام المدح ، وقد يؤتى باسم الموصول مسندا إليه للاشارة إلى نوع الخبر في مقام الذَّمّ ونجد هذه الدلالة في نحو قوله 8 : (هَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ للحَقِّ هَلَكَ)[3] فمدلول الصلة ــ أبدى صفحته للحق ــ يشير إلى أنَّ الخبر شيء من سوء الجزاء وهو (الهلاك) ؛ وذلك لـ ((أنَّ المتجرّد لإظهار الحق في مقابلة كل باطل ورد من الجهال وحملهم على مرَّ الحقَّ وصعبه في كل وقت يكون في معرض الهلاك بأيديهم وألسنتهم))[4]

وقد يجمع الخطاب العلوي المعنيين معا في نص واحد كما في قوله 8 (هَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الوَاضِحَ وَرَدَ المَاءَ ، وَهَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيه)[5] فاسم الموصول (مَنْ) في هذا القول الكريم يشير إلى نوع الخبر في مقام المدح في الأولى والذَّمّ في الأخرى من خلال التضاد الذي بنيت على أساسه الصلة .

وقد تكون الاشارة إلى نوع الخبر وسيلة للتنويه على أنَّ الخبر أمرُ محقّق ثابتُ لا ريبَ فيه.

ونلمح هذه الدلالة في نحو قوله 8 : (فَوَالذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، إنَّ الذِي أُنَبِّئُكُم بِهِ عَنْ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ مَا كَذَبَ المُبَلِّغ وَلاَجَهِلَ السَّامِعُ)[6] ففي النص اشارة إلى تحقيق الخبر وهو أَنّ ما يخبرهم به من أمور إنَّما هي عن النبي الأكرم (9) فقد جاء بالمسند اليه اسما موصولا (الذي) ليثبت الخبر في ذهن المتلقي مؤكداً ذلك بالقسم و(إنَّ) فضلا عن النفي في قوله : (ما كذب المبلِّغ ولا جهل السامع) . إشارة إلى نفسه الشريفة ؛ وذلك ليقرره في ذهن المخاطب حتّى يبدو وكأَنَّه حجة عليه .

وقد يؤتى بالاسم الموصول وصلته للدلالة على التفخيم والتهويل؛ وذلك للابهام الموغل في صلة الموصول . نحو قوله 8 : (لاَ يَرْجِعْ هَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَدْبَرَ، وَلاَ يَدْرِى هَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَر)[7] نجد أنَّ اسم الموصول وصلته (ما تولى) و(ما هو آت) قد أفاد دلالة التفخيم والتهويل لِما

1 - شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : 8/ 206 .
2 - شرح نهج البلاغة : ابن مثيم البحراني : 3/ 194 .
3 - شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : 1/ 254 .
4 - شرح نهج البلاغة : ابن ميثم البحراني : 1/ 501 .
5 - شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : 10/ 201 .
6 - المصدر نفسه : 7/ 76 .
7 - المصدر نفسه: 7/ 83 .

فيه من إبهام ؛ إذ لا يعرف الذي تولى كما لا يعرف الذي هو آت في المستقبل كي ينتظر.
ومنه كذلك قوله 8 : (وَهَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ ، وانْتَهَتْ عُقُولُنَا دُوْنَهُ ، وَحَالَتْ سُتُورُ الغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ)[1] فقد كنّى الخطاب العلوي باسم الموصول (ما)عن الأمورالعظيمة التي لا قِبَلَ للإنسان بوصفها ؛ إذ تقف العقول عاجزة عن فهمها وادراكها والاحاطة بها .
وقد يراد بالاسم الموصول تنبيه المخاطب على خطأ تصوره ، ونلمح مثل هذه الدلالة في قوله 8 : (فَلْيَنْظُرْ مَنْ طَلَبَ الحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ البَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ)[2] فقد جاء خطابه هذا موجها إلى أصحابه ينهاهم فيه عن قتال الخوارج بعده ؛ لِمَا غلب على ظنهم من وجوب قتال الخوارج فجاء المسند إليه معرفا بالموصولية (مَنْ طَلَبَ الحقّ)، (مَنْ طَلَبَ الباطلَ) للتنبيه على خطأ ما تصوروه وما ذهبوا إليه ، ومثل هذا المعنى لا يمكن أن يدرك لو أنَّ الامام عدل عن الاسم الموصول وصلته .
وقد يرد الاسم الموصول في الخطاب العلوي للدلالة على حرص المتكلّم على توضيح المعنى وابرازه وتتضح هذه الدلالة في قوله 8 في الملائكة : (مِنْهُم مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الغَمَامِ الذُّلَّحِ[3]، وفِي عِظَامِ الجِبَالِ الشَّمَخِ، وَفِي فَتْرَةِ الظَّلاَمِ الأَبْهَمِ، وَمِنْهُم مَنْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُم تُخُومَ الأَرْضِ السُّفْلَى)[4] فاستعمال اسم الموصول (مَنْ) في الموضعين إنَّما سيق لابراز المعنى وتوضيحه للمخاطب عن طريق التفصيل بعد الاجمال. ونظير ذلك قوله 8 : (فَمِنَ الإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِراً فِي القُلُوبِ ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَ بَيْنَ القُلُوبِ والصُّدُورِ إِلى أَجَلٍ مَعْلُومٍ)[5] فاستعمال اسم الموصول (ما) مبتدأ في الموضعين إنَّما جاء لابراز معنيي الثبات والعري وتوضيحهما للمخاطب .
وقد يأتي المسند اليه معرفا بالموصولية ليثير في نفس المخاطب الشوق إلى معرفة الخبر من ذلك قوله 8 : (واعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا)[6] نلحظ أنَّ اسم الموصول (ما) وصلته قد أثارا الرغبة والشوق لدى المخاطب لمعرفة الخبر المتمثل في لفظة (خير) . فمما لا شك فيه أنَّ ما نقص من ملذات الدنيا من جاه أو مال وزاد في الآخرة هو بالتأكيد خير من العكس ذلك ((كون خيرات الدنيا في معرض

1 - المصدر نفسه : 9/ 171 .
2 - شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد: 5/ 66 .
3 - سحابة دلوح ودالحة : مثقلة بالماء كثيرة الماء . لسان العرب مادة (دلح) : 4/ 386- 387 .
4 - شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : 6/ 328 .
5 - المصدر نفسه: 13/ 77 .
6 - المصدر نفسه : 7/ 196 .

الزوال مشوبة بالأوجاع والأوجال وكون تلك باقية على كل حال مع كونها في نهايةالكمال))[1] .

دلالات تعريف المسند (الخبر) بـ (الموصولية) :

لم يحقق تعريف الخبر بالموصولية حضورا كبيرا في سياقات الخطاب العلوي ،بل كان تواجده فيها قليلا . محققا أغراضا ودلالات بلاغية هي :

الدلالة على المدح والتعظيم :

من ذلك قوله 8 : (فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ، وانْتَفَعَ بِالعِبَرِ)[2] فقد أفاد استعمال اسم الموصول (مَنْ)خبراً دلالة المدح والتعظيم بما تضمنته صلة الموصول من أمورللبصير تمثلت في التفكير فيما يسمعه والبصيرة والانتفاع بالعبر ومنه كذلك . قوله 8 في خطبة له في التوحيد :(الَّذِي لاَ يَحُولُ وَلاَ يَزُولُ وَلاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ الأُفُولُ)[3] فقد أفاد مجيء اسم الموصول (الذي)خبراً للمبتدأ المحذوف (هو) دلالة التعظيم لله جل وعلا في مقام التنزيه فهو علا اسمه لا يتغير ولا يزول لا متناع ذلك عليه .

الدلالة على التحقير :

ومن ذلك ما جاء في كلام له 8 يشتمل على توبيخ أصحابه لتقاعسهم عن حرب أهل الشام : (الذَّلِيلُ وَاللهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ)[4] فـ (مَنْ) في هذا النص اسم موصول دالٌّ على تحقير وتصغير شأن مَنْ ينصرونه مؤكّدا ذلك بالقسم (والله) كما أفاد السامع معنى الحصر مبالغة منه 8 وذلك ((بحصر الذل لكل منتصر بهم فيمن نصروه)[5] .

الدلالة على التفخيم :

من ذلك قوله 8 : (..... ، وَلَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا)[6] ففي الاسم الموصول (ما) الواقع خبرا إبهام يكمن في عدم معرفة وإحاطة المخاطب بما شاهده مَنْ مات قبله ، وفي هذا من التهويل والتفخيم ما لا يخفى .

الدلالة على بلوغ المسند اليه في الصفة حد الكمال :

1 - شرح نهج البلاغة : ابن ميثم البحراني : 3/ 131- 132 .
2 - شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : 9/ 121 .
3 - المصدر نفسه : 13/ 61، وينظر أيضا : 6/ 306 ، 318 .
4 - المصدر نفسه : 6/ 81 .
5 - شرح نهج البلاغة : ابن ميثم البحراني : 2/ 256 .
6 - شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : 1/ 275 .

قد يؤتى بالمسند (الخبر) معرفا بالموصولية للدلالة على أنّ المسند اليه قد بلغ في الصفة حد الكمال . ونتلمس ذلك في قوله 8 : (العَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ)[1] فالاسم الموصول (مَنْ) أفاد بلوغ المسند إليه (العالم) مبلغ الكمال في صفة الأعلمية فالإمام 8 أراد أن يبين للمتلقين حقيقة العالم ، فالعالم مَنْ عرف قدر نفسه ((وأراد بقدره مقداره من ملك الله ومحلّه من الوجود))[2] وعليه فإنَّ هذه الحقيقة لا تتمثل إلاّ في مَنْ توافرت فيه هذه الصفة.

دلالات تعريف المفعول به بـ (الموصولية) :

الدلالة على التعظيم أو التحقير :

فمن التعظيم قوله 8 لأبي ذر[3] لمّا أخرج إلى الربذة : (يَا أَبَا ذَر ، إِنَّكَ غَضِبْتَ للهِ فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ)[4] فقد أورد اسم الموصول (مَنْ) مفعولا به للفعل (فارج) تعظيما واجلالا لمن غضب من أجله وهو المولى جلَّ وعلا . ومن التحقير قوله 8.

لأبي ذر (رحمه الله) :(فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ)[5] وهذه الدلالة مستفادة في النص من اسم الموصول (ما) الدال على غير العاقل .

ومن شواهده في الدلالة على التحقير قوله 8 : (.....وَخَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ)[6] وهذا النص في جملة أوامر تضمنها خطابه 8 تمثلت في قوله :(فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ ، وَاسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ ، وَاخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ ، وَأَنْعِمْ الفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا لاَبُدَّ مِنْهُ ، وَلاَ هَبِيصَ عَنْهُ .....) ثُمَّ يأمره بمخالفة من خالف رسول الله (9) وخرج عمّا جاء به ، معبرا عنه باسم الموصول (مَنْ) تحقيرا لشأنه . وقد يراد به العموم .

الدلالة على العموم :

1 - المصدر نفسه : 7/ 85 .
2 - شرح نهج البلاغة : ابن ميثم البحراني : 3/ 31
3 - هو أبو ذر جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد من بني غفار، صحابي قديم الاسلام يضرب به المثل في الصدق توفي سنة 32 هـ الأعلام : 2/ 136 .
4 - شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : 8/ 193 .
5 - شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد: 8/ 193 .
6 - المصدر نفسه : 9/ 121 .

وقد يعرّف المفعول به بالموصولية للدلالة على العموم نحو قوله 8 : (قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ)[1] فاحكام التقدير جاء مطلقا لكل شيء في الوجود ؛ إذ قدّره ((وفق حكمته بحيث لو زاد ذلك المقدار أو نقص منه لا ختلفت مصلحة ذلك المقدّر وتغيّرت منفعته))[2] ومنه كذلك قوله 8 : (..... ، فقد رأيت مَنْ كان قبلك ، مِمَّنْ جَمَعَ المالَ وَحَذِرَ الإقْلالَ، وأَمِنَ العواقِبَ : طُولَ أَمَلٍ ، واسْتِبْعَادَ أَجَلٍ كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الموْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ)[3] فقد افاد اسم الموصول (مَنْ) دلالة العموم ، وقد يراد به هنا الدلالة على جنس من جمع المال وخاف الإقلال . فضلا عمّا ينطوي عليه النص من اعتبار وعظة من خلال التركيب القصير المسجّع .

3 - المصدر نفسه: 6/ 322 .
2 - شرح نهج البلاغة : ابن ميثم البحراني : 2/ 456 .
3 - شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : 8/ 205 .

الدلالة على التفخيم والتهويل :

ومن ذلك قوله 8 : (فَاحْذَرُوا مِنَ اللهِ مَا حَذَّرَكُم مِنْ نَفْسِه ، وأَخْشَوه خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ)[1] فقد أفاد تعريف المفعول به بـ (ما) الموصولة المبهمة دلالة التفخيم والتهويل ؛ إذ ((كنّى بـ (ما)عن جميع المناهي المترتب عليها الوعيد))[2] ومنه أيضا قوله 8 : (واسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُم بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيْعَادِهِ)[3] نجد أنَّ اسم الموصول (ما) قد أفاد التفخيم لخفاء ما أعدَّ لهم من الثواب .

ومنه كذلك قوله 8 في صفة الملائكة : (وَلَمْ تَتَجَاوَزْ رَغَبَاتُهُم مَا عِنْدَهُ إلى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ)[4] وتكمن دلالة التفخيم في اسم الموصول (ما) الواقع مفعولا به ؛ لِمَا فيه من ابهام فكان كناية عمَّا عند الله من أمور عظيمة لا يمكن تصورها وهو ما أفادته الصلة والضمير العائد على لفظ الجلالة (الله) .

التعريـــــف بالأداة (ال) :

مدخـــل :

إنَّ دخول (ال) ـ بوصفها صورة من صور التعريف . على الأسماء النكرة يؤثّر دلاليا فيها ؛ وذلك باخراجها من دائرة التنكير إلى حمى الحصر والتعريف ، فقد اتفق اللغويون على أنَّ دخول (ال) على النكرة يمنحها التعريف والتعيين ((لأنَّك أردت بالألف واللام الشيء بعينه دون سائر أمته))[5] فهي علامة ((ليس لها زيادة حكم الاسم ؛ لأنَّها إنَّما تدخل لتعيينه))[6].

وعلى اساس ذلك ترتقي (ال) لأن تكون وسيلة تساعد المتكلم على تعيين وتحديد مَنْ يُريدْ ذكره للمخاطب فيكون معروفا لديه . قال ابن السراج (ت 316 هـ): ((إذا أدخلت الألف واللام عليه فخصصت به واحدا ممّن له هذا الاسم يعلم المخاطب مَنْ تُريد))[7]. وأداة التعريف (ال) ضربان : عهدية وجنسية . فالعهدية هي الداخلة على واحد مخصوص من أفراد الجنس معلوم لدى السامع ؛ ذلك أنَّ معنى العهد المعرفة (عهد

1 - شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد: 1/ 286 .
2 - أساليب المعاني في القرآن : 277 .
3 - شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : 6/ 202 .
4 - المصدر نفسه: 6/ 328 .
5 - الكتاب : 2/ 5 : وينظر : المقتضب : 4/ 518 .
6 - علل النحو : 174 .
7 - الأصول في النحو : 1/ 39 - 40 .

الشيء عهداً عرفه..... وعهدي به في موضع كذا))[1] أي معرفتي به، وهي بحسب ما تفيده من العهد . ثلاثة أقسام : أوّلها : العهد الذكري : وهو ما صاحبت فيه الألف واللام معهودا تقدم ذكره في اللفظ[2]. نحو قوله تعالى :﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ [3] وثانيها : العهد الذهني : وهو ما كان مصحوبها معروفا في ذهن المخاطب ، وإن لم يكن قد تقدم ذكره[4]. نحو قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾(5) فالشجرة معلومة لدى المسلمين وإن لم يكن جرى لها ذكر فالقرينة عمدت إلى تحديد المراد. وثالثها : العهد الحضوري وهوما كان مصحوبها مشاهدا حاضرا محسوسا(6). نحو قوله تعالى :﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾(7) وقد أسماه ابن مالك حضور ما أبصر(8).

أمّا الجنسية فهي التي تفيد معنى الجنس المحض ؛ إذ لايُراد بها تخصيص واحد بعينه من أفراد ذلك الجنس[9]. ولها ثلاثه أقسام كذلك . الأول : ان تدل على استغراق جنس الافراد ، ودليل صحتها على هذا المعنى حلول (كل) محلّها على جهة الحقيقه[10]. نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾[11]. اما البلاغيون فقد صنفوا هذا القسم على صنفين أحدهما : الاستغراق الحقيقي وهو ما يشمل كل أفراد الجنس ، والاخر الاستغراق العرفي وهو ما يشمل استغراق الجنس ولكن في زمان ومكان معينين[12]. وهم بتصنيفهم هذا قد

---

1 - لسان العرب مادة (عهد) : 9/ 449 .
2 - ينظر : الجنى الداني : 194، مغني اللبيب : 1/ 45 ، شرح التصريح : 1/ 150 ، همع الهوامع : 1/ 259.
3 - النور / من الآية 35 .
4 - ينظر : مغني اللبيب : 1/ 45 ، شرح التصريح : 1/ 150 ، همع الهوامع : 1/ 259 ،.
5 - الفتح/ من الآية 18 .
6 - ينظر : الجنى الداني : 194 ، مغني اللبيب : 1/ 45 ، شرح التصريح : 1/ 149 ، همع الهوامع : 259/1.
7 - المائدة / من الآية 3 .
8 - ينظر : شرح التسهيل : 1/ 250 .
9 - ينظر : الجنى الداني : 194، مغني اللبيب : 1/ 45 ، شرح التصريح : 1/ 149 ، همع الهوامع : 1/ 259 .
10 - ينظر : الجنى الداني : 194 ، مغني اللبيب : 1/ 45 ، شرح التصريح : 1/ 149 ، همع الهوامع : 1/ 259.
11 - العصر / 2 .
12 - ينظر الايضاح في علوم البلاغة : 48 ، وأساليب المعاني في القرأن : 290- 291 .

وافقوا النحويين لاسيما في الصنف الأول ، واختلفوا معهم في الصنف الآخر ؛ إذ أهمله النحويون ولم يعدّوه قسما قائما بذاته . والثاني : أنْ تفيد استغراق جميع خصائص الأفراد على سبيل المبالغة في المدح أو الذم وتسمى (ال الكمالية) وعلامة صحتها أن تخلفها (كل) على جهه المجاز[1]. نحو قوله تعالى ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ﴾[2] .والثالث : أن تفيد معنى الماهية او الحقيقة وهي التي لا تخلفها (كل) لا حقيقة ولا مجازا [3]. نحو قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍ﴾ [4]. وللبلاغيين امكانيات متميزة في دراسة هذا النمط من أنماط التعريف محاولين استشفاف الأثر الدلالي الذي يخلّفه في السياق اللغوي . وتبرز القيمة البلاغية لاستعمال (ال) العهدية عن طريق استحضار طرفي عملية الابلاغ اللغوي : المتكلم والمتلقي معا. عندما يكون بينهما عهد معرفي سابق ، أمَّا (ال) الجنسية فتأتي لافادة عناية المتكلم بالجنس[5].وللتعريف بـ (ال) في سياقات الخطاب العلوي دلالات كثيرة اهمها :

دلالات تعريف المسند إليه :

الدلالة على استغراق أفراد الجنس :

قد يدخل الخطاب العلوي (ال) على المسند إليه للدلالة على استغراق كل أفراد الجنس ، ويتلمس ذلك في نحو قوله 8 : (غُلِبَ واللهِ المُتَخَاذِلُونَ)[6]. فقد جاء المسند إليه (المتخاذلون)معرفا بـ (ال) للدلالة على معنى الاستغراق ، إذ لا يشذ عن هذه الصفة أحد من أفراد هذا الجنس ((وقد أورد الغلب المطلق بعلّة التخاذل لأنّهم للحكم العام أشد قبولا منهم له على أنفسهم ؛ إذ لو خصصهم به فقال : غلبتم الله أو تخاذلتم لم يكن وقعه في الذوق كوقعه عاما))[7]. ومنه قوله 8 (وَبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَى العِبَادُ)[8]. جاء المسند إليه (العبادُ) معرفا بـ(ال) للدلالة على الاستغراق . فالله سبحانه وتعالى يجزي كل عبد على ما عمله ويعمله في حياته.

---

1 - ينظر : الجنى الداني : 194 ، مغني اللبيب : 1/ 45 ، شرح التصريح 1/ 149 ، همع الهوامع : 1/ 259 .
2 - المنافقون / من الآية 4 .
3 - ينظر : الجنى الداني : 194 ، مغني اللبيب : 1/ 45، شرح التصريح : 1/ 149، همع الهوامع : 1/ 259 .
4 - الأنبياء / من الآية 30 .
5 - ينظر : البلاغة العربية ـ قراءة أخرى ـ : 232 .
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2/ 151 .
7 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 2/ 111- 112 .
8 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6/ 136 .

ومن شواهده أيضا قوله 8 في الدنيا : (ومن عِبَرِهَا أنَّ المرءَ يُشرِفُ عَلَى أمَلِهِ فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أجَلِهِ)[1]. أفاد تعريف المسند إليه (المرءَ) بـ(ال) دلالة الاستغراق في النص ؛ إذ إنَّ كُلَّ امرىء في هذه الدنيا كُلّما أشرف على أن ينال ما يأمل منها حال دون ذلك حضور الأجل ، وقد جاء ذلك في معرض التنبيه . فضلا عّما أشاعه السجع المتوازي الذي حملته الفاصلتان (أمله، أجله) المقرون بالسجع الناقص بين اللفظتين من تقريب للمعنى في نفس المتلقي.

ومنه كذلك قوله 8 في صفة المؤمن : (نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ)[2] يعني ذلك أن الناس في راحة وأمان من أذاه لقهره نفسه الأمارة بالسوء ، فالراحة مستغرقة لجميع أفراد هذا الجنس ، وذلك في مقام المدح له .

الدلالة على حقيقة مرادا بها فرداً مبهما غير متعين :

قد يفيد دخول (ال) على المسند إليه الإشارة إلى فرد مبهم غير متعين ، ويبرز ذلك في نحو قوله 8 : (المَغْرُورُ وَاللهِ مَنْ غَرَرتَمُوهُ)[3]. أفاد دخول (ال) على المسند اليه (المغرور) الإشارة إلى فرد مبهم ، فالخطاب العلوي لم يرد شخصا بعينه وإنَّما اراد توجيه أذهان المخاطبين إلى حقيقة الاغترار وأنَّ المغرور هو من اغترّ بهم عن طريق الحصر ؛ وذلك في معرض الذم والتوبيخ لهم .

ومنه قوله 8 : (وإنَّ الفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ ، وَلاَ مَحْجُوزٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ)[4]. فقد جاء مركز الثقل منصبا على قضية الفرار من الجهاد ،وقد مثّلها في النص المسند إليه (الفار) المعرف بـ(ال) ؛ إذ لم يرد الإمام 8 فارّاً بعينه فالفرار من الجهاد لا يزيد صاحبه ساعة في عمره لـ ((أنَّ له يوماً في القضاء الإلهي لا يحجز بينه وبينه فرار))[5]. كل ذلك في مقام الذم والتقريع . ومنه كذلك قوله 8 : (وإيَّاكُم والفُرْقَةَ ، فَإنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ للشَيْطَانِ كَمَا أنَّ الشَّاذَّ مِنَ الغَنَمِ لِلذِّئْبِ)[6]. لم يُرد الخطاب العلوي بتعريفه المسند إليه (الشاذ)بـ(ال) شاذا بعينه وإنَّما أراد التركيز على حقيقة الشذوذ وأنَّ كل خارج عن الحق هو قرين الشيطان ، جاء ذلك كله في

1 - المصدر نفسه : 7/ 196 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 10/ 117 ، وينظر امثلة اخرى : 5/ 114، 6/ 170، 7/ 149، 9/ 106 ، 124، 154، 10/ 92 ،201، 11/ 32- 33، 13/ 44، 117 .
3 - المصدر نفسه : 2/ 90.
4 - المصدر نفسه : 8/ 6 .
5 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 3/ 162 .
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 8/ 91، وينظر أيضا : 1/ 235 ، 2/ 163 ، 224، 6/ 81، 272، 7/ 66، 83، 210/8 ، 9/ 97 ، 121، 10/ 25، 13/ 6 .

معرض الذم والتوبيخ لكل من يخرج عن الجماعة مؤكدا المعنى في النص عن طريق حرف التوكيد (إنَّ) وتقريب الصورة من خلال التشبيه .

الدلالة على بيان الجنس (حقيقته وماهيته) :

قد يعرّف المسند إليه بـ(ال) للدلالة على حقيقة الجنس وماهيته ، نحو قوله 8 : (إِنَّ المَالَ والبَنِينَ حَرْثُ الدُّنيا ، وَالعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الآخِرَةِ، وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللهُ تَعَالَى لِأَقْوَامٍ)[1]. فقد جيء بالمسند إليه (المال) معرّفا بـ(ال) للإشارة إلى جنس المال وكذا جنس (البنين) المعطوف وكذلك جنس (العمل الصالح) وذلك في معرض التنبيه للمخاطبين إلى ضآلة شأن المال والبنين مقابل علو شأن العمل الصالح ؛ وذلك بجعله الأول من حرث الدنيا والآخر من حرث الآخرة . في مقام الترغيب في العمل الصالح . ومنه ايضا قوله 8 : (ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَت مَعَ الصَّلَاةِ قُربَاناً لِأَهْلِ الإِسْلَامِ)[2]. فقد أفاد تعريف المسند إليه (الزكاة) بـ(أل) بيان حقيقة هذا الركن من أركان الإسلام ؛ بمالهُ من أثر في الإنسان ؛ إذ يعمل على توثيق الصلة بين أفراد المجتمع فضلا عن أنَّها وسيلة من وسائل التقرب إلى الله جلَّ وعلا . ومنه كذلك قوله 8 : (فإِنَّ الموْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُم ، ومُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُم ، ومُبَاعِدُ طِيَاتِكُم)[3]. أفاد تعريف المسند إليه (الموت) بـ (ال) حقيقة الموت الذي يهدّم اللذة ويكدّر صفو العيش في هذه الحياة . ومن شواهده قوله 8 في صفات المتقين : (لاَ تَشُوبُهُم الرِّيَبُ ، وَلاَ تُسرِعُ فِيهِم الغِيَبُ)[4] فقد أفاد تعريف المسند إليه (الرّيبة ، الغيبة) بيان جنس وحقيقة كل منهما ، ويحتمل أنَّ مراده من تعريفهما التعريض بغير المتقين ؛ اذ تشوبهم الريبة وتسرع إليهم الغيبة .

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1/ 286 .
2 - المصدر نفسه : 10/ 158- 159 .
3 - المصدر نفسه : 6/13 ، وينظر أيضا : 4/ 11، 5/ 118، 6/ 207- 208 ، 275، 7/149، 8/ 88، 187، 10/ 133 .
4 - المصدر نفسه : 11/ 51 .

الدلالة على تعيين واحد بعينه من أفراد الجنس :

ومن ذلك قوله 8 : (وَاللهِ مَا أَسْمَعَكُمُ الرَّسُولُ شَيْئاً إِلاَّ وَهَا أَنَا ذَا الْيَوْمَ أُسْمِعُكُمُوهُ)[1] فقد عرّف الخطاب المسند إليه (الرّسولُ) بـ(ال) للدلالة على واحد بعينه ؛ لعلم المخاطب بالمراد وهو الرسول الأعظم محمد(9) وذلك في مقام التعظيم والتكريم له. ومنه كذلك قوله 8 : (أَقْوَمُكُمْ غُدْوَةً وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً ، كَظَهْرِ الْحَنِيَّةِ 2). عَجَزَ الْمُقَوَّمُ ، وأَعْضَلَ الْمُقَوَّمُ)[3]. جاء هذا النص في خطبة له ذمَّ فيها أصحابه لتخاذلهم عن الحق واسراعهم إلى الباطل . وقد أفاد تعريف المسند اليه (المقوَّم ، المقوَّم) بـ (ال) الإشارة إلى واحد بعينه لسابق عهد المخاطب بالمراد تعيينه ؛ إذ أشار بالأولى إلى نفسه الشريفة وسعيها الحثيث على تقويم اعوجاجهم بالوعظ والإرشاد، في حين أشار بالأخرى إلى أصحابه الذين استصعب تقويمهم . وقد أشاع الجناس المحرّف بين اللفظتين نوعا من التناغم الموسيقي في النص بسبب تكرار أصوات بعينها فضلا عمّا أفاده التشبيه والتضاد في توضيح المعنى وبناء الصورة . ومنه قوله 8 : (فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفَرَّطِينَ)[4]. فأفاد تعريف المسند إليه (الجَنَّة) ، (النَّار) بـ (ال) الدلالة على معيّن ، فالجنَّة والنَّار معروفتان لدى المتلقي لسابق سماعه بهما ومعرفته بحقيقة وجودهما . جاء ذلك في مقام الترغيب في الجنة والتحذير من النّار .

الدلالة على الاختصاص :

قد يأتي المسند إليه معرفا بـ (ال) في الخطاب العلوي للدلالة على الاختصاص ، وتبرز على نحو واضح في تعبير (الحمد لله) الذي يفتتح به خطبه 8 في مثل قوله 8 : (الْحَمْدُ للهِ الَّذِي بَطَنَ خَفِيَّاتِ الأُمُورِ ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلاَمُ الظُّهُورِ، واحْتَّجَبَ عَلَى كُلِّ عَيْنٍ الْبَصِيرِ)[5] وقوله : (الْحَمْدُ للهِ الْمَعْرُوفُ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ)[6]. فقد جاء في لسان العرب : ((والحَمْدُ والشكر متقاربان والحَمْدُ أعمهما))[7]. و(ال) هنا قد تكون للعهد وعليه يكون المعنى أنَّ الحمد المعروف بينكم هو الله ، وقد تكون (ال) لتعريف الجنس على سبيل الاستغراق ، وقد أخذ الدكتور فاضل السامرائي كلا المعنيين ، ورأى أنَّ التعبير يحتملهما معا[8]. وفي

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6/ 300 .
2 - الحنية : القوس ، والجمع حَنِيٌّ وحنايا . لسان العرب مادة (حنا) : 3/ 371 .
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7/ 54 .
4 - المصدر نفسه : 9/ 160 . وينظر : 6/ 117، 7/ 76، 8/ 193 ، 10/ 60 ، 13/ 231 .
5 - المصدر نفسه: 3/ 169 .
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 6/ 304 .
7 - لسان العرب مادة (حمد) : 3/ 314 .
8 - ينظر : لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : 17- 18 .

نسبة الحمد إلى الله تبارك وتعالى دلالة واضحة على أنهّ المحمود المطلق ومن هنا تتأتى دلالة الاختصاص .

ومنه كذلك قوله 8 : (وإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلاَ حِسَابَ ، وَغَداً حِسَابٌ وَلاَ عَمَلَ)[1]. فإنَّ تعريف المسند إليه (اليوم) دلَّ على الاختصاص بقصره على العمل فيه دون الحساب . وهو هنا كناية عن مدّة الحياة في الدنيا . وممّا زاد في بيان المعنى وتأكيده حضوره في سياق تقديم ليثير في نفس المخاطب الشوق لمعرفة ما بعده من كلام . كما جاء التقابل ليبين مابين الاثنين من مفارقة تمثلت في (يوم × غد)، (عمل × لا عمل)،(لا حساب × حساب) . وقد يأتي المسند إليه المعرف بـ (ال) في الخطاب العلوي لافادة دلالة الكمال في الوصف ، وقد بين عبد القاهر الجرجاني هذه الحقيقة بقوله: ((ويبين ذلك أنَّك تقول : (لك في هذا غنى) فتنكّر إذا أردت أن تجعل ذلك من بعض ما يستغنى به ، فَإنْ قلت : (لك فيه الغنى) كان الظاهر أنَّك جعلت كل غناه به))[2].

وتتجلى هذه الدلالة في الخطاب العلوي في نحو قوله 8 في الحكمة : (وَفِيْهَا الغِنَى كُلُّهُ والسَّلاَمَةُ)[3]. فقد أتى بالمسند إليه المبتدأ المؤخر معرفة بـ (ال) للدلالة على كمال الغنى والسلامة في الحكمة فـ (ال) هنا جاءت داله على الاستغراق في هذه الصفة .

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2/ 250 .
2 - دلائل الإعجاز : 294 .
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 8/ 219 .

دلالات تعريف المسند (الخبر) :

الدلالة على افادة السامع اختصاص المسند بالمسند إليه وقصره عليه :

يأتي تعريف الخبر في الخطاب العلوي ليفيد السامع قصر المسند إليه قصرا حقيقيا . ومن شواهد ذلك قوله 8 : (هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ ، وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِعُلُوِّهِ وَعِزَّتِهِ ..... وَهُوَ الْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا)[1]. فقد جاءت الأخبار (الظاهر،الباطن ، العالي ، المفني) معرفة بـ (ال) للدلالةعلى الاختصاص والقصر.

ومنه كذلك قوله 8 : (أَنْتَ الأَبَدُ فَلاَ أَمَدَ لَكَ ، وَأَنْتَ الْمُنْتَهَى فَلاَ مَحِيصَ عَنْكَ ، وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ فَلاَ مُنْجَى مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ)[2]. وهذا النص جزء من خطبة له 8 شملت على توحيد الله وتعظيمه واجلاله ، وقد جاء المسند (الخبر) المتمثل بـ (الأبدُ ، المنتهى ،الموعدُ) معرّفا بـ (ال) لإفادة قصر المسند على المسند إليه قصرا حقيقيا ؛ إذ إنَّ كل ما ذكره هي من صفاته اللازمة له سبحانه .

وقد يدل الخبر المعرّف بـ (ال) في الخطاب العلوي على قصر معناه على المسند اليه (المبتدأ) لقصد المبالغة ؛ وذلك أنَّ تعريف الخبر بـ (لام) الجنس ((قد يفيد قصره إمَّا تحقيقا..... ، وإمَّا مبالغة لكمال معناه في المحكوم عليه ، كقولك :(عمرو الشجاع) أي الكامل في الشجاعة فتخرج الكلام في صورة توهم أنَّ الشجاعة لم توجد إلاَّ فيه لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال))[3]. ونلحظ ذلك في نحو قوله 8 : (أَنْتُمُ الأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ ، وَالإِخْوَانُ فِي الدِّينِ ، والْجُنَنُ يَوْمَ الْبَأْسِ، والبِطَانَةُ دُوْنَ النَّاسِ)[4]. فجاءت الاخبار (الأنصار) , و (الإخوان) ، (الجُنَنُ) و(البطانة) معرّفات بـ (ال) لقصر معنى هذه الصفات عليهم بقصد المبالغة فيها ، وكأنَّ الخطاب العلوي قد نفى هذه الصفات عن غيرهم لشدة توغلهم فيها .

الدلالة على بلوغ المسند إليه (المبتدأ) مبلغ الكمال :

فقد يسوق الخطاب العلوي المسند (الخبر) معرفا بـ (ال) للدلالة على بلوغ المسند إليه (المبتدأ) في الصفة حد الكمال . ونتلمس هذه الدلالة في نحو قوله 8 : (وَهُوَ الْمَنَّانُ

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 13/ 67 .
2 - المصدر نفسه : 7/ 152 .
3 - الايضاح : 101، وينظر : دلائل الاعجاز : 207، نهاية الإيجاز : 42- 43 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7/ 221.

بِغَوَائِدِ النِّعَمِ ، وَعَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقِسَمِ)[1]. وقوله 8 : (..... ، لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لاَ يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ وَلاَ يُبَخِّلُهُ إِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ)[2]. فتعريف الأخبار (المنان) ،(الجواد) في هذه النصوص دال على الكمال ، فالمن والجود صفات وصف الانسان بها غير أنَّ الله تبارك وتعالى قد بلغ فيها المبلغ الأعلى في الكمال الذي لا يمكن أن يتصوره الذهن . وهذا مستفاد من نفي الإغاضة والتبخيل عنه .

الدلالة على تقرير المسند للمسند إليه :

وقد يؤتى بالمسند (الخبر) معرّفا بـ (ال) للدلالة على بيان جنس الخبرعن طريق تقريره المسند للمنسد اليه ، ونجد تطبيق ذلك في نحو قوله 8 من خطبة له في استنفار الناس ، إلى أهل الشام : (فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلاَ تَجْهَلُوا، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا ، وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ ، فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ ، وَالإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ ، وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ)[3].

فقد جاءت الأخبار (النصيحةُ) و (الوفاءُ) و(النصيحةُ) و(الإجابةُ) و(الطاعةُ) معرفات بـ (ال) للدلالة على إفادة التثبيت والتقرير للمسند إليه وذلك ما تعزّزه ضمائر الخطاب . ومنه كذلك قوله 8 في المنافقين : (وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ ، فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ ، وَالزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ)[4] . فتعريف الخبر في هذا النص قد أفاد اثبات ذلك الأمر لهم وأنَّه ظاهر معروف فيهم لا يشكُّ به أحد .

ومن هذا الذي تقدم يبدولنا أنَّ معنى القصر و الاختصاص هو الأصل في تعريف الخبر وأنَّ باقي المعاني والمقاصد متفرعة عنه .

التعريف بـ (الاضافة) :

مـدخـــــل:

وهذا محور آخر من محاور المعارف يتمثل في إضافة الاسم النكرة إلى إحدى المعارف فيأخذ حكم ما يضاف إليه فيفيد بذلك التعريف إذا أضيف إلى معرفة أو

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 6/ 309 .
2 - المصدر نفسه : 6/ 312 .
3 - المصدر نفسه: 2/ 151 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 10/ 128 .

التخصيص إذا أضيف إلى نكرة ، ويسمّى الأول (المضاف) والآخر (المضاف إليه)[1] .

والإضافة باب واسع في اللغة ((بل هي أداة عظيمة شائعة تستعمل في كثير من المواضع بيانا للمعاني المختلفة ، وأداء للاغراض المتنوعة)) [2]. وقد قسم النحويون الإضافة على قسمين:

الأول : الإضافة المحضة وتسمّى (الإضافة المعنوية) ويراد بها إضافة الأسماء غير العاملة عمل فعلها إلى غيرها فتفيد تعريفا إذا كان المضاف إليه معرفة، أو تخصيصا إذا كان المضاف إليه نكرة ؛ وقد سمّيت بـ (المحضة) لخلوصها من نية الانفصال وبـ (المعنوية) لافادتها غرضا معنويا. (التعريف أو التخصيص). وقد ذهب النحويون إلى أن ضابط الإضافة المحضة أن تكون بمعنى واحد من حروف ثلاثه (اللام أو من أو في) .
الآخر : الإضافة غير المحضة وتسمّى (الإضافة اللفظية) ويُراد بها إضافة الوصف إلى معموله[3] .

والذي يهمنا في بحثنا هذا القسم الأول من الإضافة وهو (الإضافة المحضة) ، فقد أفضى مجيء المسند والمسند اليه معرفين بالإضافة في سياقات الخطاب العلوي لدلالات ومقاصد بلاغية اغنت السياق اهمها :

دلالات تعريف المسند إليه :

الدلالة على تعظيم شأن المضاف :

يستعمل الخطاب العلوي أسلوب الإضافة للدلالة على تعظيم شأن المضاف وتفخيمه ونجد ذلك في نحو قوله 8 : (وَلِسَانُ الصِّدقِ يَجْعَلُهُ اللهُ لِلمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ اكْتِسَابِ الْمَالِ بِوَرِثُهُ غَيْرُهُ)[4]. فقد جيء بالمسند إليه (لسانُ الصِّدق) معرّفا بالإضافة للدلالة على تعظيم شأن المضاف ، فلا شك أنَّ الذكر الحسن والثناء الجميل للإنسان في الدنيا أفضل له من مال يفنى يتركه لورثته . ومنه كذلك قوله 8 : (فَإِنَّ جَارَ اللهِ آمِنٌ ، وعَدُوَّهُ خَائِفٌ)[5] وتتجلى . هذه

1 - ينظر : المقتضب : 4/ 417، شرح المفصل : 2/ 489، شرح الكافية : 2/ 238- 239 ، شرح ابن عقيل: 2/ 47، همع الهوامع :411/2.
2 - احياء النحو : 77 .
3 - ينظر : شرح المفصل : 2/ 489-490 ، شرح الكافية : 2/ 237، 248 ، شرح ابن عقيل : 2/ 41 وما بعدها، همع الهوامع 2/ 412- 415 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1/ 286 .
5 - المصدر نفسه : 9/ 83 .

الدلالة بوضوح في مجيء المسند إليه (جارَالله) وكذلك المعطوف (عَدُوَّهُ) معرفين بالإضافة ؛ إذ أضيف الأول إلى لفظ الجلالة (الله) في حين جاء الآخر مضافا إلى الضمير العائد عليه فـ((كل شيء أضافه الله إلى نفسه فقد عظَّم شأنه وفخَّم أمره))[1]. فضلا عما أضفته فاصلتا الفقرتين (آمن ، خائف) من تناغم موسيقي متوازن تمثل في مجيئهما على وزن (فاعل)ومن شواهده أيضا ما جاء في جواب له 8 عن سؤال بشأن قتال أهل القبلة يقول:(وَقَدْ فُتِحَ بابُ الحَرْبِ بَيْنَكُم وَبَيْنَ أَهْلِ القِبْلَةِ، وَلاَ يَحْمِلُ هَذَا العِلْمَ إلاَّ أَهْلُ البَصَرِ والصَّبرِ وَالعِلْمِ بِمَوَاقِعِ الحَقِّ)[2]. فقد أفاد وقوع المسند إليه (أهل البصر والصَّبر والعلم) معرفا بالإضافة عظمة أولئك لاختصاصهم بمعرفة مواقع الحق ، وبما تعلق بهم من صفات ، وهو هنا يشير إلى نفسه الشريفة ، فهو أعرف الناس بذلك بعد رسول الله (9) . وثمة ألفاظ تكون دالة على التحقير غير أنَّ اضافتها إلى لفظ الجلالة (الله) أو الضمير العائد عليه يكسبها دلاله التعظيم[3] .

من قبيل لفظة (العبد) . فهذه اللفظة لا تحمل في أصل وضعها دلاله التعظيم ، وتتشح بهذه الدلالة من خلال اضافتها إلى لفظ الجلالة ويتجلى ذلك في نحو قوله 8 : (واعْلَمُوا أنَّ عِبَادَ اللهِ المُسْتَحْفِظِينَ عِلْمَهُ يَصُونُونَ مَصُونَهُ ، وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ)[4]. فقد اكتسب المسند إليه (عباد الله) معنى التشريف والتعظيم حين أضيف إلى لفظ الجلالة (الله) ، فعبادُ الله الصالحون الذين أمكنهم من علمه هم الحافظون له العاملون به .

الدلالة على تعظيم شأن المضاف إليه :

وقد يرد المسند اليه في الخطاب العلوي معرفا بالاضافة للدلالة على تعظيم أمر المضاف إليه وذلك في نحو ما جاء في خطبة له تعرف بـ (الشقشقية) إذ يقول : (وإنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَا)[5]. فقد أورد المسند إليه (محلّي) معرفا بالإضافة عن طريق إضافته إلى ضمير المتكلم العائد على نفسه تعظيما لشانه وتفخيما . وممّا ساعد في توطيد المعنى في سياق النص اتشاحُهُ بالتشبيه فقد شبّه نفسه 8 ومقامه في الخلافة بمقام

1 - فقه اللغة وسر العربية : 256 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 251/9 . وينظر أيضا : 1/ 266، 3/ 169، 188، 306/6- 309 ، 26/7، 48، 6/8، 209، 9/ 182، ، 10/ 147، 22/11، 205، 13/ 6، 97 .
3 - ينظر : مفتاح العلوم : 282 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 11/ 51 .
5 - المصدر نفسه : 1/ 154 .

القطب من الرحا . ومنه كذلك قوله 8 : (إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ)[1]. فقد أفاد مجيء المسند إليه (أمرنا) معرفا بالإضافة تعظيم شأن المضاف اليه وهو الضمير (نا) العائد على أهل البيت β فقد خصّهم الله تبارك وتعالى بأمور وقدرات لم يخص بها أحداً غيرهم وهذا ما جعل شأنهم صعبا في نفسه ((لا يقدر عليه إلاَّ الأنبياء وأوصياء الأنبياء ومستصعب الفهم على الخلق))[2] .

الدلالة على تحقير شأن المضاف:

ومن ذلك قوله 8 : (وَاعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ ، وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الْهَوَى مَنْسَاةٌ لِلْإِيمَانِ ، وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ)[3]. فالإضافة في المسند إليه (يسير الرياء) وكذا المعطوف (مجالسة أهل الهوى) تحقيرُ لهما لما يترتّب عليهما من مساوىء فالمرائي يُغضب الله بعمله ؛ لأنَّه يعمل لنفسه لا لَهُ تبارك وتعالى ، فهو محط تحقير ، كذلك معاشرة أهل السوء لِمَا يترتّب عليها من البعد عن الإيمان والقرب من الشّيطَان . ومنه كذلك قوله 8 في الضّلالة وأهلها : (قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ ، قَائِمٌ عَلَى الضِّلَّةِ)[4]. فإضافة المسند إليه (قائد) إلى الضمير العائد على الضلالة سيقت للدلالة على تحقير المضاف والحط من شأنه ؛ لخروجه عن الدين وقيامه على الضّلال . أضف إلى ذلك النغم الموسيقي الذي أحدثه السجع المتوازي في الفاصلتين (المِلَّة / الضِـلَّة) .

الدلالة على تحقير شأن المضاف إليه :

ومن ذلك قوله 8 في بيان أمر عمرو بن العاص مع معاوية : (وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَناً ، فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِعِ ، وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ)[5]. فالإمامُ في هذا النص يبين حال عمرو بن العاص مع معاوية ؛ إذ طلب الأخير منه أن يبايعه على قتال علي فرفض إلاَّ أن يعطيه مصر فعاهده على أن يمنحه أرض مصر . فالبائع هو عمرو والمبتاع هو معاوية ، من هنا أفاد تعريف المسند إليه بالإضافة تحقير شأن المضاف إليه توبيخا له .

1 - المصدر نفسه : 13/ 77، وينظر أيضا : 1/ 253، 2/ 147، 151، 253، 7/ 93، 9/ 90 .
2 - شرح نهج البلاغة : ابن ميثم البحراني : 4/ 231 .
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6/ 275 .
4 - المصدر نفسه : 7/ 147. وينظر أيضا : 1/ 163 ، 6/ 189، 195، 300، 10/ 25، 6/13 .
5 - المصدر نفسه : 2/ 50 .

ومنه كذلك قوله 8 لأصحابه : (مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُم ، وَلاَ اسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُم)[1]. فقد أفاد تعريف المسند إليه (دعوة مَنْ دعاكم) و (قلبُ مَنْ قاساكم) بـ (الإضافة) تحقيرشأن المضاف إليه ؛ وذلك لأن كثرة تخاذلهم وتقاعسهم عن قتال العدو تستلزم ذلة وخذلان داعيهم . فضلا عمَّا ينطوي عليه من معنى الشكوى والألم .

الدلالة على الاستغناء عن التفصيل (الإيجاز والاختصار) :

ومن ذلك قوله 8 :(إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُغَوِّقُونَنِي2). تُرَاثَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ تَغْوِيقاً)[3].

فقد أضيف المسند إليه (بني أمَيّة) استغناء عن التفصيل طلبا للايجاز والاختصار لتعذر تعداد أسماء بني أمّية . ومنه كذلك قوله 8:(كَأَنَّ كُلَّ امْرِىءٍ مِنْهُم إِمَامُ نَفْسِهِ)[4]. فقد أفاد مجيء المسند إليه (كلّ امرىء) معرفا بالاضافة الاستغناء عن التفصيل في ذكر اسماء أولئك الناس الذين جعلوا عقلهم ورأيهم فوق علم الله وحكمته ؛ إذ نصب كل واحد منهم نفسه إماما يشرّع الأحكام ويقدر مصالحها وموارداها ، وقد سيق ذلك في مقام الذَّمِّ والتوبيخ لهم .

ومن شواهده قوله 8 في بيان قدرة الله : (فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيْلاً عَلَيْهِ)[5] فأفاد تعريف المسند إليه (كُلُّ ما) دلالة الايجاز والاختصار ، استغناء عن التفصيل في تعداد خَلْقِ الله ـ جلت قدرته ـ لتعذرذلك فـ ((إنَّ كُلّ ما ظهرت فيه آثار حكمة الله فهو ناطق بربوبيته وكمال ألوهيته فبعض ناطق بلسان حاله ومقاله كالانسان ، وبعض بلسان حاله فقط إذ لا عقل له ولا لسان كالجماد والنبات)) [6].

ومنه ايضا قوله 8 في ذكر أهل البصرة : (كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الأَمْرَ لَهُ ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُوْنَ صَاحِبِهِ ..... كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍ لِصَاحِبِهِ)[7] .

والشاهد في القولين : (كُلُّ واحد منهما) إذ جاء بالمسند إليه معرفا بالإضافة طلبا للايجاز والاختصار ؛ لاغناء الإضافة عن تفصيل تحاشاه الامام 8 ؛ لِمَا في ذكر اسمائهما من ذمّ صريح لهما .

---

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 90/2، وينظر أيضا : 1/ 199، 235، 248، 91/8، 9/ 200 .
2 - أي : يعطونني من المال قليلا قليلا . لسان العرب مادة (فوق) : 10/ 353 .
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6/ 139 .
4 - المصدر نفسه : 6/ 297.
5 - المصدر نفسه : 6/ 318 .
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 2/ 451 .
7 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 9/ 85 ، وينظر : 2/ 250، 63/7، 9/ 139، 10/ 18، 13/ 237.

الدلالة على التبيين والوضوح :

وقد يؤتى بالمسند إليه معرفا بالإضافة لأجل التبيين والوضوح أي توضيح المعنى ليس إلاَّ . ونتحسس ذلك في نحو قوله 8 : (وَهُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِبَّانِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ)[1].

وهذا النص جزء من كلام له قاله لمّا قُبِض رسول الله (9) فجاءهُ عمُّهُ العباس وأبو سفيان بن حرب وطلبا منه أن يبايعا له بالخلافة فكان منه هذا الكلام . فإضافة المسند إليه (مجتني) إلى(الثمرة) دليل على إرادة معنى التبيين والوضوح تنبيهاً منه 8 ((على أنَّ ذلك الوقت ليس وقت الطلب لهذا الأمر إمَّا لعدم الناصر أو لغير ذلك))[2] وقد زاد في تأكيد المعنى في النص المشهد التصويري الذي رسمه التشبيه .

ومنه كذلك قوله 8 : (أَمَا واللهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِن اللَّعِبِ ذِكْرُ المَوْتِ ، وإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الحَقِّ نِسْيَانُ الآخِرَةِ)[3] . جاء كلامه هذا ردا على مَنْ ادّعى أنَّه يمزح ويلعب فهو 8 ((دائم الذكر للموت والتفكر في أحوال المعاد.....فكيف يتصوّر اللعب ممّن هذه حاله))[4]. فالإضافة في المسند إليه (ذكرُ الموت) قد أفادت معنى التبيين والتأكيد مع ما فيه من تكذيب من ادّعى غير ذلك . كما أفادت الإضافة في قوله : (نسيانُ الآخرةِ) الدلالة نفسها . والملاحظ أن التضاد الذي بني عليه هذا القول أثرى دلالة البون الشاسع بين الشخصيتين ومنه أيضا ما جاء في كلام له يومىء به إلى وصف الاتراك . فقال له بعض أصحابه : لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فضحك 8 وقال هذا الكلام : (وإِنَّمَا هِيَ عِلْمُ الغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ)[5]. فقد سيق المسند إليه (عِلْمُ الغيب) معرّفا بالإضافة من أجل توضيح المعنى للقائل وتنبيهه على أنَّ عِلْمَ الغيب هو علم الساعة وهو عِلْمُ لا يعلمه إلاَّ الله وحده .

دلالات تعريف المسند (الخبر) :

الدلالة على التعظيم :

يرد في الخطاب العلوي تعريف المسند (الخبر) بالإضافة للدلالة على التعظيم والتفخيم وذلك في نحو قوله 8 : (نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ ، وَهَبْطُ الرِّسَالَةِ ، وَمُخْتَلَفُ المَلَائِكَةِ، وَمَعَادِنُ العِلْمِ ،

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1/ 204 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 1/ 460 .
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6/ 220 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 2/ 365- 366 .
5 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 8/ 166 .

وَيَنَابِيعُ الحِكَمِ)[1]. فقد أفضى ورود الخبر هنا معرفا بالإضافة . ومتوشحاً بالاستعارة إلى دلالة التعظيم والتفخيم في مقام الفخر بنفسه ، مشيرا بذلك إلى قربه وشّدة اتصاله برسول الله (9) وزاده ثراءا الجمل المبينة لصفات اهل البيت عليهم السلام التي عطفت عليها وهي (وَمَحطُّ الرّسَالةِ ، وَمُخْتَلفُ المَلاَئِكَةِ، وَمَعَادِنُ العِلْمِ ، وَيَنَابِيعُ الحِكَمِ)

ومنه قوله 8 لمّا عوتب على التسوية في العطاء : (لَوْ كَانَ المالُ لِي لَسَوّيتُ بَيْنَهُم ، فَكَيْفَ وَإنّمَا المالُ مَالُ اللهِ)[2]. فإضافة الخبر (مال) إلى لفظ الجلالة (الله) سيقت للدلالة على التعظيم والتفخيم له . فهو مال الله والخلق عيال الله ، فهو إذن مالهم وضع لسد حاجاتهم ليس لأحد الحقّ فيه . ومنه كذلك قوله 8 في القرآن : (فَإنَّه حَبْلُ اللهِ المتِينُ ، وَسَبَبُهُ الأَمِينُ)[3]. فمجيء الخبر (حبلُ الله) وكذا المعطوف (سببُهُ) معرّفا بالإضافة وموصوفا بصفتي (المتانة) و(الأمان) قد أفاد دلالة التعظيم والتفخيم له ، فضلا عن التناغم الموسيقي المتمثل في مجيء الفاصلتين على وزن (فعيل) في بناء ممدود يتعمّق النفس .

1 - المصدر نفسه: 7/ 170 .
2 - المصدر نفسه : 8/ 88 .
3 - المصدر نفسه : 10/ 27. وينظر أيضا : 1/144، 2/ 61، 245، 6/ 282 ، 289، 304 ، 9/ 117 ، 13/ 88 .

الدلالة على التحقير :

ومن ذلك قوله 8 : (كُنْتُم جُنْدَ امْرَأَةٍ ، وَأَتْبَاعَ بَهِيمَةٍ)[1]. جيء بالمسند (جُنْدَ امْرَأَةٍ) معرّفا بالإضافة وكذا المعطوف (أتباع البهيمة) للدلالة على الاستهزاء بهم ، وتحقيرهم والحط من شأنهم توبيخا لهم . ومنه قوله 8 : (إِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ ، وَزَوَامِلُ الْآثَامِ)[2]. ففي الإضافة إهانة وتحقير لشأنهم وقد أسهم في تجسيد هذا المعنى في سياق النص المشهد التصويري الذي أخرجته الاستعاره ؛ إذ استعار لهم لفظ (المطايا) و(الزوامل) بجامع الحمل ذمّاً وتوبيخا لهم وقد يجمع الخطاب العلوي دلالتي التعظيم والتحقير في نص واحد كما في قوله 8 : (إِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الْآخِرَةِ)[3]. فالإضافة في قوله : (حَرْثُ الدنيا) إهانة وتحقير لشأن المضاف في حين أفادت الإضافة في قوله : (حَرْثُ الآخرة) تعظيم شأن المضاف ، ولعلّهُ أراد بذلك ترسيخ معنى المفارقة بين الحرثين في ذهن المخاطب .

الدلالة على التعيين والتخصيص :

وقد يأتي المسند (الخبر) معرّفا بـ (الإضافة) للدلالة على التعيين والتخصيص . ويتجلى ذلك في نحو قوله 8 : (اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ وَالتَّعْدَادِ الْكَثِيرِ)[4]. وقوله : (..... ، وَأَنْتَ حِزْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ)[5]. فإضافة (الوصف الجميل، والتعداد الكثير) وكذلك (الاعطاء والمنع) إليه تبارك وتعالى دليل على اختصاصه بهما وقد زاد فصله بين المسند اليه (انت) والمسند (ولي) بشبه الجملة (من وراء ذلك كله) ذلك الاختصاص تركيزاً اي لا تعيي الخالق كثرة العباد وكثرة ماهم فيه من فعل الخير او السوء من اتقان الاعطاء والمنع .

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 1/ 235 .
2 - المصدر نفسه : 9/ 168 .
3 - المصدر نفسه : 1/ 286 .
4 - المصدر نفسه : 7/ 26 .
5 - المصدر نفسه : 11/ 195 .

التنكيـــر :

مـــدخـــل :

النكرة هي ((ما شاع في جنس موجود في الخارج تعدده ، أو مقدر وجود تعدده فيه))[1]. فهي لفظة مبهمة الدلالة غير محددة في العالم الواقعي (الخارجي) ؛إذ لا تدلُّ على شيء بعينه[2] .

ويمثل التنكير الطرف الأسلوبي المقابل للتعريف ، وهو لا يقل أهمية عنه في ابراز مواطن الجمال في اللغة الابداعية ؛ إذ يمكن ((أن يكون تعميما يمنح البنية مقدرة على العطاء المتجدّد المتواصل الذي يثري الدلالة متجاوزا المتعارف عليه ، وقد يحدث العكس ، ومردُّ ذلك إلى مقدرة المبدع على الخلق والابداع))[3] كما إنَّ للنكرات أثرا نفسياً في سياق الكلام بما تفيده من معان مختلفه قد لا تحققها المعرفة ، وذلك لـ ((أنَّ أي شيء إذا كان مجهولا غير معروف لدى المتلقي ، فإنَّ نفس المتلقي ستذهب في تفسيره وتحديده كل مذهب ويعطيه هذا التنكير أبعاداً إيحائية أوسع ويترك النفس تحتمل في حقّه احتمالات متعددة))[4]. ولقد اتفق النحويون على أنَّ التنكير إنَّما يأتي للدلالة على الافراد والنوعية وهما يمثلان المعنيين الاساسين اللذين تمتلكهما اللفظة النكرة . فقولنا : جاءني رجل تعبير قد يراد به النوعية أو الإفراد .

غير أنَّها قد تتخلى عن هذين المعنيين عندما تصادف في السياق من القرآئن ما يعمل على انزياحها لتدل على مقاصد ودلالات أخرى ويمثل التنكير في الخطاب العلوي مهيمنا أسلوبيا في مواطن كما في -تنكير المسند إليه ؛ لأنَّ الأصل فيه أن يكون معرفة ، ولا يمثل في مواطن أخرى مهيمنا أسلوبيا كما في تنكير المسند (الخبر) ؛ لأنَّ الأصل فيه يكون نكرة .

---

1 - شرح الحدود النحوية : 64 .
2 - ينظر : الكتاب : 1/ 22، المقتضب : 4/ 518 ، الاصول في النحو : 1/ 148، التعريفات : 198.
3 - في البنية والدلالة : 153
4 - الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية : 124 - 125 .

دلالات تنكير المسند إليه :

الدلالة على العموم :

يفيد التنكير دلالة العموم إذا كان في سياق نفي[1] . من ذلك قوله 8 : (لاَ يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ)[2]. ففي تنكير المسند إليه (أحدُ) دلالة على عموم نفي مَنْ يدانيهم ؛ وذلك في معرض المدح لهم ((لاسقاط غيرهم عن بلوغ درجتهم واستحقاق منزلتهم))[3]. ومن شواهده قوله 8 : (وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ ، إِلاَّ حَرَمَهُ اللهُ شُكْرَهُمْ وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ)[4]. فقد جاء تنكير المسند إليه (امرؤُ) في سياق نفي ليفيد عموم من يضع المال في غير موضعه ، وعند من لا يستحقه من أهله في معرض الذّمّ والتوبيخ لمن يقوم بذلك . ومنه كذلك قوله 8 من خطبة له في التوحيد : (لاَ يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبُهُ، وَلاَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبُهُ)[5]. فقد أورد الخطاب العلوي المسند إليه (شيء) نكرة لإفادة دلالة العموم ، وهذه الدلالة مستوحاة من اللفظ نفسه . وتجرّده ممّا يفيد معنى غير العموم . ففي لفظ (شيء) من العموم ما يصدق على كل ما في الوجود فضلا عن أنَّ وقوعه في سياق نفي قد أكسبه عموما آخر ، وهو ما يناسب تقرير قدرة الله تعالى ؛ وذلك ((كون كل ما عداه مفتقرا في وجوده وجميع أحوال وجوده إليه))[6].

الدلالة على التفخيم والتهويل :

قد يرد المسند إليه نكرة في الخطاب العلوي للدلالة على معنى تفخيم وتهويل شأن الأمر من ذلك قوله 8 : (فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً)[7]. فقد جاء المسند إليه المبتدأ المتأخر (عقبة) وكذا المعطوف (منازل) نكرة للدلالة على هول وعظم ما يقدمون عليه بعد الموت ، ولعلّ في مجيء النكرة موصوفة في سياق استعاري ما يوسّع دلالتها في النص . ومنه كذلك قوله 8 (فَلأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الأَرْضِ قَبْلَ أَنْ تَشْعُرَ بِرِجْلِهَا

1 - ينظر: الاتقان: 1/ 190، معاني النحو: 1/ 36 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1/ 144 .
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 1/ 416.
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 8/ 88 .
5 - المصدر نفسه:67/13 ، وينظر أيضا:5/ 124، 6/ 309، 329، 7/ 20، 35، 196، 9/ 160،194، 10/ 11،134،47/ 71.
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 4/ 204 .
7 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 11/ 7 .

فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا ، وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا)[1]. فتنكير المسند إليه (فتنة) دلالة على أنَّها فتنة شديدة الوقع في أهلها ، وما زاد في تهويلها في سياق النص تلك الاوصاف التي رسمت ملامحها الاستعارة المتمثلة في قوله : (تشغر برجلها، تطأ في خطامها ، تذهب بأحلام قومها) .

الدلالة على ارادة الجنس :

يؤتى بالمسند إليه نكرة في الخطاب العلوي للدلالة على إرادة الجنس ومن ذلك قوله 8 من خطبة له في التنفير من الدنيا والترغيب في الآخرة : (فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً فَاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ)[2]. فتنكير المسند إليه (عبدٌ) دليل على إرادة عموم جنس العباد لا أفراد منه . ومنه كذلك قوله 8 من خطبة له عند المسير إلى الشام : (الحَمْدُ للهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ)[3]. ففي مجيء المسند إليه (ليل) بصيغه التنكيردلالة على إرادة جنس الليل وفي ذلك ((تنبيه على كمال قدرة الله تعالى في تعاقب الليل والنهار واستحقاقه دوام الحمد بما يلزم ذلك من ضروب الامتنان))[4]. ومن شواهده قوله 8 : (فَإِنَّ فَوْزاً بِهَذِهِ الخِصَالِ شَرَفُ مَكَارِمِ الدُّنْيَا ، وَدَرْكُ فَضَائِلِ الآخِرَةِ)[5]. جاء هذا النص بعد كلام له نبّه فيه صاحب المال على وجوه الانفاق والتي تمثلت في (صلة الرحم ، واكرام الضيف وفداء الأسير والتصدّق على الفقير وغيرها) فقد علل البحراني (ت 679هـ) مجيء المسند اليه (فوزا) نكرة مبينا دلالته بقوله : ((وإنَّما نكّر الفوز لأنَّ تنكيره يفيد نوع الفوز فقط . الذي يحصل بأي شخص كان من أشخاصه وهذا وإن كان حاصلا مع الألف واللام لتعريف تلك الطبيعة إلاَّ أَنَّ ذلك التعريف مشترك بين تعريف الطبيعة والمعهود الشخصي فكان موهما لفوز شخصي ولذلك كان الإتيان به منكَّراً أفصح وأبلغ))[6].

وقد يساق المسند إليه النكرة في الخطاب العلوي للدلالة على قصد الإفراد كما في قوله 8 : (إِنَّما عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ)[7]. فقد تمحضت دلالة الافراد في تنكير المسند إليه (رجلُ) عن طريق وصفه بما يدل على العدد وهو لفظ (واحد) وقد يأتي المسند إليه نكرة للدلالة

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 13/ 77 .
2 - المصدر نفسه : 5/ 118.
3 - المصدر نفسه : 3/ 157 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 2/ 172 .
5 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 9/ 59 .
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 3/ 231 .
7 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 10/ 201 .

على الافراد والجنس معا ونلمح ذلك في نحو قوله 8 من خطبة له تعرف بـ (الشقشقية) : (..... ، فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُم لِضِغْنِهِ ، وَمَالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ مَعَ هَنٍ وَهَنٍ)[1]. ففي تنكير المسند إليه (رجلُ) دلالة واضحة على ارادة معنى الوحدة والجنسية .

الدلالة على الإيجاز :

يعد الإيجاز من الأغراض التي يمكن ان تحققها النكرة في السياق ؛ وذلك في حال وصفها بالجملة ، فهي تعقبها مباشرة من دون وساطة بينهما ؛ لأنَّ الجمل في الأصل نكرات . من ذلك ما جاء في كلام له 8 قاله للأشعث بن قيس لمّا اعترضه وهو يخطب عل منبر الكوفة يقول : (وإنَّ امرءاً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيفَ ، وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الحَتْفَ لَحَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَهُ الأَقْرَبُ ، وَلاَ يَأْمَنَهُ الأَبْعَدُ)[2]. فالإمام يشير بخطابه هذا إلى غدره بقومه لمّا ساقهم إلى الحرب وأسلمهم للقتل، فقد جاء المسند إليه (امرءاً) نكرة موصوفة ليحقق سمة الايجاز في النص عن طريق تتابع الصفة والموصوف من غير وساطة بينهما ؛ وذلك في مقام الذّمّ والتوبيخ له . ومن شواهده أيضا قوله 8 : (واللهِ إنَّ امرءاً يُمَكِّنُ عَدُوَّه مِنْ نَفْسِهِ ، يَعْرُقُ لَحْمَهُ ، وَيَهْشِرُ عَظْمَهُ ، وَيَفْرِي جِلْدَهُ لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدرِهِ)[3]. فقد جاء الخطاب العلوي بالمسند اليه (امرءاً) نكرة موصوفة طلبا للا يجاز ، فلو جيء به معرفة للزمه الاسم الموصول بينه وبين صفته وعليه يكون الكلام (والله إنَّ المرء الذي يمكن عدوَّه من نفسه .... لعظيمٌ عَجزُه) غير أنَّ النكرة قد أغنت عن هذا الاطناب. فضلا عن مجيئها في سياق خطاب عام يصدق على كلّ شخص مؤكدا ذلك المعنى بـ (إنَّ) والقسم . كما أسهمت في تأكيده الاستعارة المتمثلة في لفظتي (الهشم والفري) والكناية المتمثلة في قوله : (ضعيفُ ما ضمّت عليه جوانح صدره) و لايخفى على أحد ما في هذا الوصف من الإهانة والتحقير .

الدلالة على إرادة فرد غير معيّن :

ومن ذلك قوله 8 : (وإنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ مِمَّن أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُم، وَذَوِي بَأْسِكُم)[4]. فقد جاء المسند إليه (رجل) نكرة في سياق الخطاب العلوي ؛ لأنَّه ليس الغرض منه تعيين شخص محدد. وانما أراد الإمام (8) أن يقول لأصحابه أنَّه لا يمكن أن يقوم بقيادة الجيش وخوض الحروب إلاَّ رجلُ منكم يتمتع بالشجاعة وقوة البأس . ومنه كذلك قوله 8

1 - المصدر نفسه : 1/ 180 . وينظر أيضا : 4/ 42 .
2 - المصدر نفسه : 1/ 269 .
3 - المصدر نفسه: 2/ 151 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 7/ 222.

: (فَلْيُقْبَلْ امْرُؤٌ كَرَاهَةَ بَقَبُولِهَا، .... وَلْيُنْظُرِ امْرُؤٌ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ، وَقَلِيلِ حُفَاهِهِ فِي حَنْزِلِهِ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ حَنْزِلاً)[1].

فلفظ (امرؤ) مسند إليه(فاعل) ، وقد جاء نكرة للدلالة على أنَّه فردُ غير معين ولا محدد من أفراد الجنس في مقام الوعظ والاعتبار ، ففي خطابه دعوة لكل انسان بضرورة أخذ العظة والاعتبار من الدنيا ؛ لقلّة بقائه فيها وأنَّها ليست منزله الحقيقي وإنَّما منزله الحقيقي هي الدار الآخرة ففي ((قلّة المقام في هذا الدنيا للعبور إلى منزل آخر عبرة تامّة))[2]

ومنه ايضا قوله 8 : (فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ وَمِنْ فَانٍ لِبَاقٍ ، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ)[3]. فقد جاء المنسد إليه (امرُؤٌ) نكرة هنا ؛ لأنَّ القصد منه إلى فرد غير معين فَأَخْذُ المرءِ من نفسه يتمثل في سعيه الحثيث والمتواصل في الاجتهاد في العبادة ، وهذا الأمر مطلوب من جميع أفراد الجنس .

الدلالة على التعظيم أو التحقير :

وقد يأتي المسند إليه نكرة في الخطاب العلوي للدلالة على تعظيم شأن المخبر عنه ، من ذلك قوله 8 : (وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُم ذِكْرُ المَرْجِعِ ، وَأَرَاقَ دُمُوعَهُم خَوْفُ المَحْشَرِ)[4]. وقوله في الصلاة : (وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ الذِينَ لاَ تَشْغَلُهُم عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ ، وَلاَ قُرَّةُ عَيْنٍ)[5]. فقد تمَّ تنكير المسند اليه في هذين النصين والمتمثل في الفاعل (رِجَالٌ) ليفيد دلالة التعظيم ، فهم رجالُ ذوو شأن عظيم ؛ إذ غضَّ أبصارهم وأراق دموعهم ذكر ذلك اليوم العظيم والخوف منه ، كما إنَّهم عرفوا الصّلاة حقَّ معرفتها إذ لم يلههم عنها مال ولا بنون . ويبدو أنَّ دلالة التعظيم قد جاءت مستوحاة ممّا وصف به أولئك الرجال من صفات .

ومن كذلك قوله 8 : (وَأَنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُم مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الحَقِّ وَلاَ أَظْهَرَ مِنَ البَاطِلِ ، وَلاَ أَكْثَرَ مِنَ الكَذِبِ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ)[6]. فقد أفاد تنكير المسند إليه (زمانُ) و(شيءُ) تعظيم شأن المخبر عنه ، وقد أسهم في تعضيد هذه الدلالة ذلك التضاد القائم بين (أخفى/ أظهر) ، (الحق / الباطل) منبها إلى شدة ما في ذلك الزمان من التناقضات فضلا عن التناسب

1 - المصدر نفسه : 11/ 51 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 4/ 44 .
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 13/ 229 . وينظر أيضا : 1/ 154، 7/ 93، 8/ 6، 9/ 61، 10/ 105.
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 2/ 138 .
5 - المصدر نفسه : 10/ 158- 159 .
6 - المصدر نفسه : 9/ 82 .

الصوتي الذي أحدثه أفعل التفضيل . وقد يدل تنكير المسند إليه في الخطاب العلوي على دلالة التحقير ومما جاء عليه قوله 8 : (ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُم جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ)[1]. وهذا النص جزء من خطبة له 8 يصف فيها حال أصحابه عندما دعاهم للجهاد فلم يستجيبوا له . فتنكير المسند إليه (جنيد) دلَّ على حقارة شأن مَنْ خرج منهم ثُمَّ وصفه بأنَّه متذائب أي مضطرب وضعيف ، وقد أسهم في تأكيد هذا المعنى في السياق مجيؤه بصيغة التصغير وكأنَّه 8 يريد بهذا الوصف أن يقول لهم : ((هذا كل ما ترتب على الوعظ والتحريض بل والاستصراخ والاستغاثة نفر قليل ضعيف مضطرب))[2]. فضلا عمّا في صيغة (متفاعل) هنا من معنى التظاهر غير الصادق .

الدلالة على التكثير أو التقليل :

قد يقترن التنكير بلفظة تدل بنفسها على معنى التكثير من ذلك قوله 8 (وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ الأُمُورِ ، وَحَوَارِبُ الْخُطُوبِ لأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ ، وَفَشَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْؤُلِينَ)[3]. فاختيار التنكير مع لفظة (كثير) الواقعة مسندا إليه مرتين يكشف عن معنى االتكثير بصورة أفادت معنى التوبيخ .

ومنه قوله 8 في ذكر أصحاب الجمل (..... ، مَا مِنْهُم رَجُلٌ إِلاَّ وَأَعْطَانِي الطَّاعَةَ وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ ، طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ)[4]. أي أنَّ كلَّ مَنْ في الجيش قد بايع الإمام ورضوا ببيعته ودلالة الكثرة هذه يؤديها مجيء المسند إليه (رجل) في صورة نكرة وقد يأتي المسند إليه نكرة ليدل على التقليل والتحقير معا ويتجلى ذلك في نحو قوله 8 في حق مروان بن الحكم : (أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ)[5]. فقد أفاد تنكير المنسد إليه (امرة) التقليل والتحقير مشيرا به إلى مدة حكم مروان بن الحكم ؛ إذ وصفها بالقصر بتشبيه حسي تمثل في قوله : (كلعقة الكلب أنفه) فضلا عن مجيء اللفظة على الصيغة الصَّرْفِيّة (فعلة) الدالة على المرّة. ومن هنا أفاد التنكير معنى التحقير والتقليل بمعونة قرآئن توافرت في السياق تمثلت بـ (الصيغة الصرفية والتشبيه) .

1 - المصدر نفسه: 2/ 236 .
2 - في ظلال نهج البلاغة ، 1/ 248 .
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7/ 35 .
4 - المصدر نفسه : 9/ 235.
5 - المصدر نفسه: 6/ 117 .

وقد يأتي ليدل على التقليل والتعظيم في آن واحد نحو ما جاء في قوله 8: (وإنَّ لِلذكرِ لأَهْلاً أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنيَا بَدَلاً)[1]. ففي تنكير المسند اليه (لأهلاً) دلالة على التقليل والتعظيم فأمّا التقليل فلأنَّ أهل الذكر الذين اشتغلوا به واتخذوه بدلا من الدنيا وملذاتها هم قلة . وأمَّا التعظيم فيتحقق في قلتهم ، وعليه فإنَّ قصد التقليل قد زاد من معنى التعظيم ، وقد أُكد هذا المعنى بـ (إنَّ) و(اللام) .

دلالات تنكير المسند (الخبـــر) :

ذكرنا أنَّ الأصل في الخبر أن يكون نكرة ؛ لأنَّ الغرض منه هو افاده المخاطب (حكما) ليس عنده أي (فائدة الخبر) أو تنزيله إيّاه منزلته في العلم في الخبر أي (لازم الفائدة) وله مع هذين الغرضين دلالات أخرى غير أنَّها قليلة ؛ لأنَّ التنكير فيه جار على أصله أبرزها .

الدلالة على قصد الاخبار بثبوت المسند للمسند إليه :

ومن ذلك قوله 8 : (فَعَلَيَّ ضَامِنٌ لِغَلَبِكُم آجِلاً إنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلاً)[2]. فقد أفاد تنكير (ضامن) الذي هو الخبر دلالة ثبوت المسند للمسند إليه . فممّا لاشك فيه أن قيامهم بما أمرهم به يستلزم فوزهم يوم القيامة ، وقد ينالون ذلك الفوز في الدار العاجلة . ومثله كذلك قوله 8 : (فإنَّمَا أَنْتُم إخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللهِ)[3]. فالتنكير في الخبر(إخوانُ) دالٌّ على إرادة ثبوت المسند للمسند إليه . ومنه كذلك قوله 8 : (عِبَادَ اللهِ إنَّكُم وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هَذِهِ الدُّنيَا أثوِيَاءُ مُؤَجَّلُونَ ،وَمَدِينُونَ مُقْتَضَونَ أَجَلٌ مَنْقُوصٌ ، وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ)[4]. فقد جاء كل من (أجل) ،(عمل) خبرا لمبتدأ محذوف فأفاد تنكيرهما قصد الاخبار بثبوت المسند للمسند إليه المحذوف كما إنَّه وصف كُلاًّ منهما بالنقص والحفظ ((ليجذب بنقصان الأجل إلى العمل وبحفظ العمل إلى اصلاحه والإخلاص فيه))[5].

1 - المصدر نفسه : 11/ 135 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 1/ 302 .
3 - المصدر نفسه : 7/ 192 .
4 - المصدر نفسه : 8/ 187 .
5 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 3/ 182 .

الدلالة على التعظيم :

وقد يرد المسند (الخبر) نِكرة ليفيد عندئذ دلالة التفخيم والتعظيم ونتلمس ذلك في نحو قوله 8 : (رُسُلٌ لاَ تقصُّرُ بِهِم قِلَّةُ عَدَدِهِم وَ لاَ كَثْرَةُ المكذِّبِينَ لَهُم)[1] . فالتنكير في (رُسُلُ) الواقع خبرا لمبتدأ محذوف تقديره (هم) فيه ايماء إلى دلالة التعظيم لأولئك الرسل الذين بعثهم الله لهداية البشرية فهم ((وإن كانوا قليلي العدد بالنسبة إلى كثرة الخلق ، وكان عدد المكذّبين لهم كثيرا ..... فإنَّ ذلك لا يوليهم قصورا عن أداء ما كلفوا القيام به من حمل الخلق على ما يكرهون مما هو مصلحة لهم في معاشهم ومعادهم))[2].

ومنه كذلك قوله 8 : (فإنَّ الجِهَادَ بَابٌ مِنْ أبْوَابِ الجَنَّة)[3]. فقد أُتي بالمسند (بابُ) نكرة ليفيد دلالة التعظيم والتفخيم وسمو المرتبه . ومن المعلوم أنَّ باب كل شيء ما ينفذ اليه منه ويتوصل به اليه ، وعليه فإنَّ الجهاد باب من أبواب الجَنَّة ((منه يعبر المجاهد السالك إلى الله إلى الباب الأعظم للجنة وهو الرياضة وقهر الشيطان))[4] . كما تَمَّ توكيد الجملة بـ (إنَّ) توثيقا لمضمونه .

الدلالة على التحقير :

يؤتى بالمسند نكرة للدلالة على تحقيره لا نحطاط شأنه . من ذلك قوله 8 يصف الخلافة : (هَاءٌ آجِنٌ ، وَلُقْمَةٌ يَغصُّ بِهَا آكِلُهَا)[5]. فتنكير (ماء) و(لقمة) اللذين وقعا خبرا لمبتدأ محذوف يعود على الخلافة إنّما جاء ليبين أنَّها شيء تافه وحقير وقد ساعد في تأكيد المعنى في النص مجيء الخبر في الجملة الأولى موصوفا بـ(الأجون) في حين جاء في الجملة الأخرى موصوفا بجملة (يغصُّ بها آكِلُها) محققا بذلك دلالة الايجاز فضلا عمَّا تفيده صيغة (فعلة) الدّالة على المرّة من إفادة معنى القلّة .

ومنه كذلك قوله 8 في بيان حال بني أميّة في الدنيا : (..... ، بَلْ هِيَ هَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ العَيشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ، ثُمَّ يَلفِظُونَهَا جَمْلَةً)[6]. وكلامُهُ هذا جاء ردّاً على مَنْ ظن أنَّ الدنيا معقولة عليهم وأنَّها لا تفارقهم ، فأفاد تنكير المسند(مَجَّة) ((تحقير ما حصلوا عليه من الأمر ولذتهم به وتحقير مدته))[7]. وقد عزّز هذا المعنى في السياق وما أفادته صيغة (فعلة) الدالة على المرة من معنى القلّة فضلا عن الاستعارة المتمثلة في قوله ((مجة من

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1/ 124 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 1/ 352 .
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2/ 61 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 2/ 49 .
5 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1/ 204 .
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 6/ 295 .
7 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 2/ 407 .

لذيذ العيش)) وقوله :(ثم يلفظونها جملة) مضافا إلى التناغم الموسيقي الذي أحدثه السجع المتوازي الذي جاءت عليه فاصلتا الفقرتين .

ومن شواهده قوله 8 : (يَا أَهْلَ الكُوفَةِ جُبِتْ جِنْكُم بِثَلَاثٍ واثنتين : صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاع , وبُكْمٌ ذَوُو كَلَام , وعُمْيٌ ذَوُو أبصَارٍ)[1]. فقد أفاد تنكير الخبر المتمثل بـ (صمٌ) وكذا المعطوف (بكمٌ) و(عميٌ) دلالة التحقير لهم لا نحطاط شأنهم ؛ إذ وصفهم بعدم الفائدة ؛ لأنَّ أي شيء لا يعود بالفائدة على صاحبه فهو كالعدم . فضلا عمّا تنطوي عليه هذه النكرات وما بعدها من المفارقة التي تفاجيء المتلقي وتعمق تحقير المخاطبين .

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7/ 54 .

الدلالة على العموم :

وقد يجيء بالمسند (الخبر) نكرة لإفادة التعميم والشمول ، ويلحظ ذلك في نحو قوله 8 في خطبة له تحدّث فيها عن الله جلَّ وعلا : (.....وَلكنْ خَلاَئِقُ مَرْبُوبُونَ ، وَعِبادٌ دَاخِرُونَ)[1]. فتنكير الخبر الذي هو (خلائق) و(عباد) يدل دلالة واضحة على عدم قصد التعيين بلّ إرادة العموم ، ومثله كذلك ما جاء في خطبة له تسمّى (الغراء) ؛ إذ يقول : (عِبَادٌ مَخْلُقُونَ اقتِدَاراً ، وَمَرْبُوبُونَ اقتساراً، وَمَقْبُوضُونَ احتِضَاراً)[2] . يتبين لنا مما تقدم أنَّ دلالات تنكير المسند (الخبر) قليلة جدا ، ولعلّ السبب في ذلك يتمثل في مجيئه على الأصل ؛ فإنَّ كل ما يأتي على أصله ـ فلا شك ـ تشح دلالاته .

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 5/ 124 .
2 - المصدر نفسه : 6/ 199 .

الفَصْلُ الثَّالِثُ

الفصل و الوصل

مدخـــــل :

يعد الفصل والوصل واحدا من المباحث البلاغية المهمة التي شغلت مجالا واسعا عند علماء البلاغة الى درجة جعله بعضهم حدا للبلاغة [1]. فهو يمثل ـ بلا شك ـ أدق أبواب البلاغة وأصعبها مسلكا ، اذ ((لا يحيط علما بكنه إلاَّ من أوتي في فهم كلام العرب طبعا سليما ، ورزق في إدراك أسراره ذوقا صحيحا))[2]. وتمثل هذه الثنائية التركيبية خصيصة أسلوبية اتسمت بها اللغة العربية شأنها في ذلك شأن سائر اللغات السامية[3] . فجذورها تمتد كما يرى بعض الباحثين ((إلى مرحلة الشفاهة التي تحوج المتكلم إلى مناطق محددة يتوقف عندها ، ثم يواصل مسيرته الكلامية))[4]. فالفصل والوصل يقوم على معرفة المتكلم لمقاطع الكلام وبداياته ونهاياته ((ليدل على تعلّق المعاني وشدّة اتصالها))[5] وقد أشاد العلماء القدماء بدقة هذا المبحث وأهميته من مباحث علم المعاني ، فقد نوه أرسطو بأهمية الوصل في الكلام لدلالته على تماسك بنائه ، وقوة رصفه ، ووحدة معناه مبيناً أن حذف الوصل في بعض الأقوال يؤدي إلى تجزئة النص ، وانعدام رونقه ، وذهاب حسنه[6] . وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى أهمية هذه الخصيصة الأسلوبية بقوله : ((وأعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه : إنه خفي غامض ، ودقيق صعب إلاَّ وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب))[7]. بل نراه يذهب إلى أبعد من ذلك ، فهو يجعل معرفته سبيلا إلى فهم سائر المعاني ، يقول : ((إنه لا يكمل لاحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة))[8] .ونلحظ أن ما جاء به عبد القاهر الجرجاني من آراء تبين أهمية هذة الثنائية التركيبية وتوضح أثرها في بناء النص ؛ إنَّما حصل نتيجة دراسته لها ، دراسة علمية دقيقة قائمة على الفهم الدقيق ، المبني على الإدراك العميق والواعي ؛ لِمَا يمكن أن تؤدّيه علاقات التلاحم والترابط بين الوحدات اللغوية من أثر فعال في تحقيق عملية التواصل اللغوي ، فضلا عما تضفيه من روعة وجمال ، مما جعل بحثه لها ((بحثا منظما يقوم على التقسيم والتعليل وربطه بباب العطف بعد أن ربط البلاغة بمعاني النحو))[9] . ولم تقتصر دراسة هذه الظاهرة وبيان أهميتها والوقوف على خبايا أسرارها ، ودقة معانيها على دراسات القدماء حسب ، فقد

---

[1] - ينظر : البيان والتبيين : 1 / 88 ، كتاب الضاعتين : 497 .
[2] - الايضاح : 151 .
[3] - ينظر : من أسرار اللغة : 327 .
[4] - البلاغة العربية قراءة أخرى : 306 .
[5] - الإعجاز في نسق القرآن – دراسة للوصل والفصل بين المفردات : 10 .
[6] - ينظر : الخطابة : 232 .
[7] - دلائل الإعجاز : 247. وينظر : الايضاح : 151
[8] - دلائل الإعجاز : 240 .
[9] - التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية : 129- 130 .

أولاها المعاصرون عناية فائقة، وبحثوها في مستوى الدلالة[1].إن إلقاء نظرة سريعة على البنية التركيبية لهذه الظاهرة يوقفنا على أن ((حاصل معرفتها يعود إلى معرفة مواضع العطف والاستئناف ، والتهدي إلى كيفية ايقاع حروف العطف مواقعها))[2]. هذا يعني أنَّ ((مدار الفصل والوصل ..... ترك العاطف وذكره))[3] وهو ما أشار إليه القز ويني (ت 739هـ) بقوله : ((الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه))[4] . وتشير هذه الصيغ التعريفية إلى أن البناء التركيبي لثنائية الفصل والوصل إنَّما يقوم على أساس نحوي يمثله باب العطف فقد درس النحويون ((الجملة الواقعة بدلا أو بيانا أو تأكيدا كما درسوا العطف والاستئناف ، وغير ذلك مما صار أصولا هامّة * تقوم عليها دراسة الفصل والوصل في كتب البلاغيين))[5]. وهو ما جعل البلاغيين يعتمدون في دراساتهم لها على الأدوات الرابطة المسماة بـ(حروف المعاني). ((التي خرج بها البلاغيون عما تؤدّية من وظيفة نحوية إلى أمور وراء ذلك من حيث قدرتها على الربط بين الجمل والمفردات))[6]. إذ نظروا إلى ((مهمتها النحوية بالدرجة الأولى ، وهي مهمة تتصل بالحركة الأعرابية من ناحية والناتج الدلالي من ناحية أخرى سواء على مستوى المفردات أو على مستوى المركبات))[7] من هنا وجد الدكتور عفت الشرقاوي أن قضية العطف قد سيطرت على تفكير النحويين لا تصالها بمبدأ التشريك في الحكم الذي طالما يقولون به حين تتوسط بين المعطوف والمعطوف عليه حروف عطف مثل (الواو، الفاء، ثُمَّ ، أم ،حتّى ، أو) أو مبدأ التشريك في اللفظ فقط أي الإتباع الإعرابي والذي يتحقق في الحروف (بل ، لا ، لكن) وهو ما جعل تناولهم لمسألة العطف محصورا ضمن إطار التشريك في الحكم واللفظ[8]. الأمر الذي دفعة إلى ردّ ما ذهب إليه النحويون في تعاملهم مع هذه المسألة قائلاً :((وهنا يبدو تحقيق معنى الإسناد كأنه الغاية الوحيدة التي تشغل النحاة مع أنَّ مسألة التشريك في الحكم مسألة دقيقة لا تتصل بالصورة المنطقية للعبارة في كل حال بقدر ما تتصل بإيحائها الفني والجمالي.))[9] ولعل من المفيد التنويه ـ هنا ـ إلى أنّ العطف الذي يقوم عليه الفصل والوصل إمّا أن يكون بين المفردات أو بين الجمل ، والجمل في هذا الباب نوعان : جمل لها محل من الإعراب ، والآخر : جمل لا محل لها من الأعراب .

---

1 - ينظر : بنية اللغة الشعرية : 157 وما بعدها .
2 - أصول البلاغة : 103. وينظر : حسن التوسل الى صناعة الترسل : 158 .
3 - مفتاح العلوم : 357 .
4 - الإيضاح : 151. وينظر : الفوائد المشوق : 185، المعاني في ضوء أساليب القرآن : 313.
*- كذا والصواب (مهمة)
5 - البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : 134.
6 - البلاغة والأسلوبية : 211. وينظر : السور المدنية دراسة بلاغية وأسلوبية : 186 .
7 - البلاغة العربية ـ قراءة أخرى : 307.
8 - ينظر : بلاغة العطف في القران الكريم : 57 .
9 - المصدر نفسه : 57 .

وقد جعل النحويون النوع الأول في منزلة المفرد لإمكانية تأويل الجملة به فيكون الفصل والوصل بينها من قبيل العطف أو تركه بين المفردات[1].

وهو ما حفز البلاغيين على الاهتمام بدراسة الجمل فصلا ووصلا أكثر من اهتمامهم بدراسة المفردات ، ذلك بـ ((أن تمييز موضع العطف عن غير موضعه في الجمل ..... هو الأصل في هذا الفن))[2]؛ لما تتمتع به الأولى من دلالة واسعة ومعنى خفي ؛ إذ يمثل الفصل والوصل عندهم واحدا من العوارض التي تنتاب الجملة ونوعا من أنواع الإنزياح.

1 - ينظر : دلائل الإعجاز : 240- 241. البرهان الكاشف عن أعجاز القرآن : 263 ، حسن التوسل الى صناعة الترسل : 158- 159.

2 - مفتاح العلوم : 357 .

الفصـــــل :

عُرَّف الفصل بأَنَّه الاستغناء عن عطف الجمل بعضها على بعض برابط[1]. وإنَّما يتحقّق ذلك عندما ((يعرض لها ما يوجب ترك (الواو) فيها))[2].كما يعّرف أيضا بأنَّه ((الوقوف عند نهاية كل عنصر حتى يشعر السامع بانتهائه ، ويتهيأ الخطيب لعنصر تال))[3] وللفصل مواضع حددها القدماء من البلاغيين ، فقد عدّها عبد القاهر الجرجاني ثلاثة مواضع هي : الاتصال الى الغاية ، والانفصال الى الغاية ، والاستئناف[4]. في حين عدّها القزويني أربعة مواضع هي : (كمال الاتصال) و(كمال الانقطاع)، أو تكون الجملة الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى أو تكون بمنزلة المتصلة بها[5]. أما المحدثون فحددوا للفصل مواضع خمسة هي : (كمال الاتصال) و(كمال الانقطاع) و(شبة كمال الاتصال) و(شبة كمال الانقطاع) و(التوسط بين الكماليين)[6]. وقد جاءت منه في خطب نهج البلاغة ثلاثة أنواع كانت مهيمنا أسلوبيا هي :

الأول : كمال الاتصال[7] :

ويتحّقق هذا النوع من الفصل على مستوى التراكيب عندما يكون بين الجملتين اتحاد تام ، وقد أطلق عليه عبد القاهر الجرجاني مصطلح (الاتصال الى الغاية)[8]. وذلك في أثناء حديثه عن الفصل في التراكيب التوابع التي تستغني عن الربط السطحي الظاهري (العطف) بالربط العميق الدلالي (المعنى) كما عبّر عنه برجشتراسر بـ (الإعمال غير العطفي)[9]. إشارة منه الى الصلة التي تربط التابع بمتبوعه ، ويتضمن هذا المصطلح ثلاثة إنَّماط تكون فيها الجملة الثانية جزءا مما قبلها وهي (التوكيد والبدل والبيان) . فمثلما أنّ هذه التوابع تستغني على مستوى الإفراد عن الرابط ألعطفي الذي يربطها بمتبوعها فكذلك الحال في التراكيب ؛ لأنها تعامل معاملة المفرد في هذا الباب فضلا عما في ذلك من مقتضيات .

النمط الأول : الجملة المؤكدة للأولى :

1 - ينظر : دلائل الإعجاز : 244 .
2 - جواهر البلاغة : 205 .
3 - المعاني في ضوء أساليب القرآن : 307 .
4 - ينظر : دلائل الإعجاز : 244- 256 .
5 - ينظر: الايضاح : 153- 159 .
6 - ينظر : السور المدنية دراسة بلاغية وأسلوبية : 187، أساليب المعاني في القرآن : 205- 237، علم المعاني (مجهد الدليمي وآخرون) : 262- 280، علم المعاني (الزوبعي) : 303 - 307 .
7 - ينظر : الايضاح : 154، نحو المعاني : 98، علم المعاني (مجهد الدليمي وآخرون) : 262، أساليب المعاني في القران : 205 .
8 - ينظر : دلائل الأعجاز : 256.
9 - ينظر : التطور النحوي للغة العربية : 177 .

ويتمثل في أن تكون الجملة الثانية بمنزلة المؤكدة للجملة الأولى ((والمقتضي للتأكيد دفع توهم التجوز والغلط))[1]. والتوكيد نوعان : إما أن تكون الثانية بمنزلة التوكيد المعنوي للأولى مع اختلاف مفهوم الجملتين ، وإما أن تكون الثانية بمنزلة التوكيد اللفظي للأولى في اتحاد المعنى[2]. وأيّاً كان نوع التوكيد فإنَّ دلالة التوكيد والتقرير والتثبيت متحققة في النص؛ ((ذلك أن التوكيد والمؤكد كالشيء الواحد ولا يجوز عطف الشيء على نفسه))[3].

من ذلك ما جاء في قوله 8: (الحَمْدُ للهِ وإنَّ أَتَى الدَّهرُ بالخَطْبِ الفَادِحِ ، والحَدَثِ الجَلِلِ ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غيره)[4]. فقد ترك العاطف بين الجملتين ؛ لِمَا في الثانية من دلالة التأكيد للأولى . فإذا كان هناك أدنى شك في الأولى ((أَشْهَدُ أَن َلا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ)) فإن دلالة الجملة الثانية ((لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غيره)) تنفيه ؛ وذلك لتحادهما في المعنى ؛ إذ فيها ((تأكيد لمعنى كلمة التوحيد وتقرير لمقتضاها))[5]. كل ذلك جاء في مقام التنزيه والتعظيم .

ومن شواهده أيضا قوله 8 : (وكأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيكُم تكشُّونَ كَشِبَشَ الضِّبَابِ لاَ تَأْخُذُونَ حقّاً ، وَلاَ تَمْنَعُونَ ضَيْماً)[6]. لقد ترك العاطف بين الجملتين ؛ لِمَا في الثانية من دلالة التأكيد والتقرير لمضمون الأولى مبالغة في الوصف في مقام الذم والتوبيخ لهم . فهو لمّا وصفهم 8 بكشيش الضِّباب ((باعتبار هيأتهم في الحيد عن العدو والهرب منه))[7]. عاد ليؤكّد ويقرّر في الجملة الثانية مضمون الأولى في أذهان مخاطبيه عن طريق بيان ما يترتب عليه وصفهم ذاك من نفي القدرة على أخذ الحق أو دفع الضيم .فقد أضفى الفصل مزيدا من القوة في التعبير فضلا عمَّا أفاده التشبيه من التأثير في النص مع تثبيت المعنى وتوكيده . ومنه كذلك قوله 8 في النبي الأكرم (9) : (كُلَّمَا نَسَخَ اللهُ الخَلْقَ فرقتين جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا . لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ ، وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ)[8] . فقد فصل بين جملة ((لَمْ يُسْهِم فيه عَاهِرٌ) وجملة (جَعَلَهُ فِي خَيْرهما)) ؛ إذ جاءت الثانية بمثابة التوكيد لِمَا قبلها. إذ نجد أن المعنى في (خيرهما) من حيث طهارة النسب لا من حيث الخيرة المطلقة ولو عطف بالواو لأفاد

1 - الإيضاح : 154 .
2 - ينظر : المصدر نفسه : 154 - 155 .
3 - من بلاغة النظم العربي : 2/ 184 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2/ 163
5 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 2/ 118 .
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 237/7 .
7 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 157/3 .
8 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 11/ 51. وينظر أمثلة أخرى : 2/ 151 ، 7 / 178، 195، 13/ 77 .

معنى الإطلاق فقد أغنت قوّة الربط بينهما من حيث المعنى عن وجود (واو) العطف فهو ((لم يضرب فيه العاهر بسهم ، ولم يكن للفجور في أصله شركة ..... إشارة إلى طهارته من قبل أصله))[1] في مقام المدح والتعظيم لشأنهِ. ولا يخفى على المتأمل ما في هذا التعبير من البلاغة في تأكيد المعنى في ذهن السامع ورفع ما قد يتبادر إليه من شك في مضمون الجملتين فقد أسهم في زيادة قوة التلاحم الداخلي بين الجملتين قوة العلاقة الدلالية المانعة من الاتصال الخارجي .

النمط الثاني : جملة البيان :

وتتمثل في ((أن تكون الثانية بيانا للأولى ، وذلك بأن تنزل منها منزلة عطف البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح والمقتضي للتبيين أن يكون في الأولى نوع خفاء مع اقتضاء المقام إزالته))[2] ومن ذلك ما جاء من خطبة له 8 في بيان صفات الفاسق : (قَدْ حَمَلَ الكتابَ على آرَائِه ، وَعَطَفَ الحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ . يُؤمّنُ مِن العَظَائِمِ ، وَيُهوّن كَبِيْرَ الجَرَائِمِ)[3]. فقد فصلت جملة ((يؤمّن من العظائم)) عن جملة ((قد حمل الكتاب على آرائه)) كونها مفسّرة وموضّحة لِمَا في الجملة الأولى من إجمال فهو - أي الفاسق -((يسهّل على الناس أمر الآخرة في موضع يحتاجون فيه إلى ذكر وعيد الله وتذكيرهم بأليم عقابه))[4]. فأغنت قوّة الاتصال بينهما عن الربط بالعطف . جاء ذلك كلّه في مقام الذم والتوبيخ له . ويحتمل أن تكون الثانية جوابا لسؤال أثارته الأولى فيكون الفصل قائما على شبه كمال الاتصال .

ومن أمثلته في ذلك قوله 8 : (وَأَخْرَجَ هَنْ فِيْهَا ، فَجَدَّدَهُم بَعْدَ إِخْلاَقِهِم وَجَمَعَهُم بَعْدَ تَفَرُّقِهِم ثُمَّ حَبَزَهُم كِلا بُرِيدُهُ مِنْ هَسْأَلَتِهِم عَنْ خَفَايَا الأَعْمَالِ ، وَخَبَايَا الأَفْعَالِ وَجَعَلَهُم فَرِيقَيْنِ: أَنْعَمَ عَلَى هؤُلاَءِ وانْتَقَمَ مِنْ هؤُلاَءِ)[5]. ففي قوله : (جعلهم فريقين أنعم على هؤلاء ، وانتقم من هؤلاء) ثلاث جمل ، وقع الفصل فيها بين الجملتين الأولى والثانية وعطفت الجملة الثالثة على الثانية ، وقد جاء الفصل بينهما واجبا ؛ لأن الجملتين الأخيرتين تفسران إبهام الجملة الأولى ؛ إذ عمل التفصيل على بيان حال الناس يوم القيامة فهم فريقان : سعداء وأشقياء ؛ لذا ترك عطفها بـ (الواو) ؛ لأنَّ الشيء لا يعطف على نفسه . ومنه كذلك قوله 8 : (أوصيكُم عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ ، الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَبِهَا المَعَاذُ ، زَادُ مُبَلِّغٌ وَمَعَاذُ مُنْجِحٌ)[6] فجملة ((زَادُ مُبَلِّغٌ)) وما بعدها لم تأت في واقع الحال مفصولة عما قبلها إلاَّ لإيضاح إبهام الجملة الأولى وهي قوله : (التي هِي

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 4 / 42 .
2 - الإيضاح : 157 .
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6/ 289 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 2/ 398.
5 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7/ 158 .
6 - المصدر نفسه: 7/ 195 .

الزَّادَ وَبِهَا المعاذ) فهي بيان وتفسير لها ، ففي الزّاد والمعاذ يكون بلوغ الغاية والنجاح ، فعمل الفصل هنا على توجيه معنى الجملة الأولى ، ولولاه لظل معناها غامضا .

ومنه أيضا قوله 8 : (فَإِنَّما حُكِّمَ الحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا القُرْآنُ ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ القُرْآنُ . وإِحْيَاؤُهُ الاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ ، وإِمَاتَتُهُ الافْتِرَاقُ عَنْهُ)[1] فقد فصلت الجملة الثانية ((إحياؤه الاجتماعُ عليه)) وما بعدها عن الجملة الأولى (إنَّما حُكِّمَ الحَكَمَانِ ليحييا مَا أَحْيَا القُرْآنُ) وما بعدها ؛ لغرض التوضيح وإزالة الإبهام ، فلو لا الفصل لَمَا استبان معنى الجملة الأولى للمتلقي ، ولبقي غامضا. وهكذا تكون علاقة الكلام اللاحق بالكلام السابق علاقة تجلّي وتوضيح .

النمط الثالث : الجملة البدل :

ويتمثل الفصل هنا في إنزال الثانية منزلة البدل من الأولى ((والمقتضي للإبدال كون الأولى غير وافية بتمام المراد بخلاف الثانية ، والمقام يقتضي اعتناء بشأنه لنكتة))[2]. وللبدل - كما هو معلوم - إنَّماط ثلاثة : بدل بعض من كل ، وبدل كل من كل ، وبدل اشتمال . وقد جاء الفصل بين الجمل النازلة منزلة البدل مما قبلها في الخطاب العلوي في نمطين هما : (بدل بعض من كل ، وبدل كل من كل) .

فمثال بدل البعض من كل قوله 8 : (وَقَدِمُوا مِن الآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ؛ فَغَيْرُ مَوصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِم اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِم سَكْرَةُ المَوْتِ وَحَسْرَةُ الفَوْتِ فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُم ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُم)[3] فقد فصلت الجملة الثانية ((اجتمعت عليهم سَكْرَةُ المَوْتِ وَحَسْرَةُ الفَوْتِ) عن الجملة الأولى (فَغَيْرُ مَوصُوفٍ مَا نَزَلَ بهم) إذ ابدلت منها بدل بعض من كل ؛ لأنَّ اجتماع سكرة الموت وحسرة الفوت عليهم هو جزء ممّا نزل بهم ممّا كانوا يوعدون به ؛ لذا ترك الوصل بين الجملتين لِمَا بينهما من كمال الاتصال فالجزء لا يعطف على كُلِّه .

ومن أمثلته أيضا قوله 8: (وإِنَّ لَكُم عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْناً مِن اللهِ يَقُولُ عَلَى الأَلْسِنَةِ ، وَيُثَبِّتُ الأَفْئِدَةَ)[4] . فقد سيق هذا الخطاب للتنبيه على عظم عون الله تعالى ولطفه للمخاطبين فجاءت جملة ((إنَّ لكم عِنْدَ كُلَّ طاعة عونا من الله)) مؤدّية لهذا الغرض لِمَا فيها من عموم وإجمال ، وجملة ((يقول على الألسنة)) بدل بعض من الأولى ؛ إذ فيها ((تفصيل

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 8/ 91. وينظر أمثلة أخرى: 5/ 118، 6/ 282 ، 35/7، 66، 70، 9/ 178 ، 10/ 92 .
2 - الإيضاح : 156 .
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7/ 157 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 11/ 51 .

لوجوه العون منه تعالى))[1] لهذا ترك الوصل بين الجملتين لتمام الاتحاد والاتصال بينهما .

ومثال بدل كل من كل قوله 8 في الفتن : (إنَّ الفِتَنَ إذا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ ، وَإذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ ، يُنْكَرْنَ مُقْبِلاَتٍ ، وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ)[2] . فقد أبدلت جملة ((يُنْكَرْنَ مُقْبِلاتٍ وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ)) الثانية من الجملة ((إنَّ الفتن إذا أقبلت شَبَّهَت ، وإذا أدبرت نَبَّهَت)) الأولى بدل كل ؛ وإنَّما كانت بدل ، لأن الجملتين بمعنى واحد ؛ وذلك لـ ((أنَّ الفتن عند إقبالها وابتداء حدوثها يلتبس أمرها ولا يعلم الحقّ منها من الباطل إلى أن تنقضي وتدبر فحينئذ ينكشف حالها ، ويعلم ما كان مشتبها منها))[3] وإنَّما جاء ذلك للتأكيد فضلا عن التوازن الصوتي الذي أشاعه الترصيع بين ألفاظ فقرتين ختمتا بصوت (التاء) وهو صوت شديد انفجاري[4]. جاء معبرا عن شدة تلك الفتن وما تحدثه من الآم إذا نزلت بالإنسان كما أسهم التضاد المتمثل بين (أقبلت/أدبرت) ، (ينكرن/ يعرفن) ، (مقبلات / مدبرات) . في شيوع ذلك التوازن الصوتي .

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 4/ 42 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7/ 35 .
3 - المصدر نفسه : 7/ 41 .
4 - ينظر : الأصوات اللغوية : 56 .

الثاني : كمال الانقطاع[1] :

وهو أن يكون بين الجملتين تباين تام في الشكل والمعنى مما يوجب الفصل أمَّا الشكل فاختلافهما خبراً وإنشاء لفظا ومعنى أو معنى فقط ، وأمَّا المعنى فغياب الجامع بينهما وإن اتفقتا في الخبر والإنشاء .

ولقد اختلف البلاغيون والنحويون في القسم الأول منه . أمَّا البلاغيون فقد أجمعوا على عدم جواز عطف الجمل الخبرية على الجمل الإنشائية أو العكس مما يتعين الفصل بينهما لاختلافهما[2]. أما النحويون فكانوا بين عدم الجواز والجواز[3]. وما جاءنا من شواهد فصيحة يؤكد صحة مَنْ ذهب إلى منع الوصل بين هذين الأسلوبين نظرا لتباين غرض ومعنى كل أسلوب ، وانعدام الجامع بينهما . وقد جاء كمال الانقطاع في الخطاب العلوي على ثلاث صور هي .

الصورة الأولى :

أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء لفظا ومعنى ؛ أي أن كل واحدة منها تخالف الأخرى في اللفظ وفي المعنى ؛ ومن شواهد ذلك ما جاء من كلام له بعدما بويع بالخلافة قاله لقوم من الصحابة عندما طلبوا منه معاقبة من أجلب على عثمان فقال 8 : (يَا إِخْوَتَاه ، إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ)[4]. فقد فُصِلَ بين الجملتين الإنشائية المتمثلة في جملة النداء ((يا إخوتاه)) والخبرية المتمثلة في قوله: ((إنّي لست أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ)) وذلك بسبب اختلاف غاية كل منهما ومعناها فتعين ترك الوصل بينهما ؛ لأنَّ ذلك يقتضي الجمع والتشريك وهذا ممّا يفسد المعنى . ومن أمثلته أيضا ما جاء في كلام له 8 لمّا عزم على لقاء القوم بصفين : (أَيْنَ الْمَانِعُ لِلذِّمَارِ وَالْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْعِفَاظِ ؟ الْعَارُ وَرَاءَكُم ، وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُم)[5] . إذ فصل بين قوله : ((العَارُ وَرَاءَكُم ، والجنَّةُ أمامكم)) وبين قوله : ((أين المَانِعُ للذّمار والغائِر .....)) ؛ لكمال الانقطاع بين الجملتين فالأولى إنشائية استفهامية لفظا ومعنى أفادت التمني والأخرى خبرية لفظا ومعنى أفادت دلالة التنبيه فلا تناسب بينهما . فضلا عمَّا فيها من معنى التحذير والإغراء . وقد يجيء كمال الانقطاع بين هذين التركيبين وقد توسطتهما (الفاء) غير أنَّها لا تفيد معنى العطف بل لإفادتها معنى السّبب عن طريق

1 - ينظر: مفتاح العلوم : 361، الإيضاح : 154، علم المعاني (مجهد الدليمي وآخرون) : 296، أساليب المعاني في القرآن: 216 .
2 - ينظر : مفتاح العلوم : 361 ، الإيضاح : 154، علم المعاني (مجهد الدليمي وآخرون): 296، أساليب المعاني في القرآن : 216.
3 - ينظر : مغني اللبيب : 2/ 128 ، همع الهوامع : 3/ 192 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 9/ 222.
5 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 9/ 230 ، وينظر أيضا : 9 / 216، 220 .

جعل أحدهما سببا من الآخر فيكون ذلك أدعى إلى تقوية الحكم بينهما . ومن ذلك ما جاء في قوله 8 : (وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ)[1].

فالجملة الأولى ((استشعروا الصَّبر)) جملة إنشائية أمرية لفظا ومعنى والأخرى ((فإنّهُ أدْعَى إلى النّصر)) جملة خبرية لفظا ومعنى وقد وقعت (الفاء) بينهما لا على معنى العطف بل لإفادتها تقوية الحكم بين الجملتين ، فلا شك أنَّ استشعار الصّبر وملازمته سبب من أسباب إدراك النَّصر لا محالة .

ومنه كذلك قوله 8 : (وَلاَ تَحَاسَدُوا فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ)[2] . وقع الفصل بين الجملتين لا ختلافهما خبرا وإنشاء لفظا ومعنى وقد توسطتهما (الفاء) لا على معنى العطف بل لتقوية الحكم بينهما تمثل ذلك في جعل الحسد سببا لذهاب الإيمان . وممّا عزّز هذه الدلالة في سياق النص التشبيه في قوله :(كَمَا تَأْكُلَ النَّار الحَطَبَ).

الصورة الثانية :

أن تتباين الجملتان خبرا وإنشاء في المعنى فقط من ذلك ما جاء في خطبة له 8 (بِنَا انْفَجَرْتُم عَنْ السِّرارِ3، وَقَرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَه الوَاعِيَةَ)[4] . فقد وقع الفصل بين الجملتين بسبب اختلافهما خبرا وإنشاء في المعنى دون اللفظ ؛ إذ جاءت الأولى (بِنَا انْفَجَرْتُم عَنْ السَّرار) خبرية لفظا ومعنى في حين جاءت الجملة الأخرى (وَقَرَ سَمْعُ لَمْ يَفْقَه الوَاعية) خبرية لفظا إنشائية معنى فقد أريد بها الدعاء أي الدعاء عليهم بالثقل والصمم فضلا عما في النص من الالتفات من المتكلم إلى الغائب ، فقد ساق ذلك كلّه في معرض التوبيخ لهم ومنه كذلك قوله 8 في الخطبة نفسها : (عَزَبَ5 رَأْيُ امْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي ، مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُه)[6] فقد فصلت جملة (مَا شَكَكْتُ فِي الحَقِّ مُذْ أُرِيتُه) عن الجملة (عَزَبَ رَأْيُ امرئ.....)؛ لِمَا بينهما من كمال الانقطاع المتمثل في اختلافهما في المعنى دون اللفظ ؛ إذ جاءت الجملة الأولى خبرية لفظا إنشائية معنى لتضمنها معنى الدعاء ، أما الجملة الأخرى فجاءت خبرية لفظا ومعنى فأفاد الفصل دلالة ذمَّ مَنْ تَخَلَّفَ عنه والدعاء عليه بعدم إصابة الرّأي.

الصورة الثالثة :

---

1 - المصدر نفسه : 2/ 50 .
2 - المصدر نفسه : 6/ 275. وينظر أيضا : 2/ 129، 5/ 118، 159/136، 7/ 63.
3 - سَرَرُ الشهر بالتحريك آخر ليلة منه وهو مشتق من قولهم : استسرَّ القمرُ أي خفي ليلة السرار . لسان العرب : مادة (سرر) : 6/ 235 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1/ 199 .
5 - عَزَبَ عنّي فلانٌ ... غَابَ وَبَعُدَ . لسان العرب : مادة (عزب) 9/ 183 .
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1/ 199 .

ومن كمال الانقطاع ما يتعين فيه الفصل بين الجملتين ؛ لاختلافهما في المناسبة ، وأنْ اتفقتا في الخبر والإنشاء من ذلك ما جاء من كلام له 8 لابنه محمد بن الحنفية لمّا أعطاه الراية يوم الجمل يقول : (عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ، أَعِرِ اللهَ جُمْجُمَتَك، تِدْ فِي الأَرْضِ قَدَمَك، ارْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى القَوْمِ)[1]. فقد فصل بين هذه الجمل الأربع مع اتفاقها لفظا ومعنى فهي جمل إنشائية أمرية ؛ لاختلاف المناسبة بينها ونلحظ هنا أَنَّه على الرغم من تنوع هذه الجمل واختلافها فإننا نجدها تصب في رافد واحد هو تعلّم آداب الحرب من خلال رسم صورة للمقاتل الشجاع .

ومن أمثلته ما جاء من خطبة له 8 في استنفار الناس إلى أهل الشام يقول : (هَا أَنْتُمْ هَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ ، وَلاَ زَوَافِرَ عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ هَا أَنْتُمْ إِلاَّ كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا)[2] . فقد تم الفصل بين جملة (مَا أَنْتُمْ إِلاَّ كإبل ضَلَّ رُعَاتُهَا) وجملة (مَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُم ....) مع اتفاقهما في الخبرية ؛ وذلك لعدم وجود المناسبة والجامع بينهما . فضلا عمَّا أفاده الفصل هنا من رفع قوة التركيب من خلال تفصيل المعنى زيادة في التأنيب لهم . ومنه كذلك قوله 8 : (فَاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ نَصَحَ نَفْسَهُ ، قَدَّمَ تَوْبَتَهُ ، وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ)[3]. فقد وقع الفصل بين هذه الجمل الثلاث على الرغم من الاتفاق بينها ظاهرا ؛ لعدم وجود الجامع ممّا تَعيّن عدم صحة العطف بينها ((وهي بلاغة تُريك المعنى في أحسن صورة))[4]. ومن شواهده أيضا قوله 8 في صفة المتقين : (تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ ، قَلِيلاً زَلَلُهُ ، خَاشِعًا قَلْبُهُ ، قَانِعَةً نَفْسُهُ ، مَنْزُوراً أَكْلُهُ سَهْلاً أَمْرُهُ ، حَرِيزاً دِينُهُ ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ ، مَكْظُومًا غَيْظُهُ)[5]. فعلى الرَّغم من اتفاق هذه الجمل في الخبر لفظا ومعنى فقد تَمَّ الفصل فيها ؛ لعدم التناسب بينها ؛ إذ وصفه 8 بصفات عدّة تختلف كل واحدة منها عن الأخرى ، وهي صفات تصبُّ كلّها في إثراء دلالة المدح ، إذ تقدّم صورة للإنسان المؤمن .

الثالث : شبه كمال الاتصال[6]:

ويجيء هذا النوع من الفصل بين تركيبين يكون الثاني فيهما سببا عن الأول ، وإنَّما جاء الفصل بينهما على أساس تنزيل التركيب الثاني منزلة الجواب عن تقدير سؤال

1 - المصدر نفسه : 1/ 227 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 2/ 151 .
3 - المصدر نفسه : 5/ 118 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 1/ 325 .
5 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 10/ 116 .
6 - ينظر : بلاغة العطف في القرآن الكريم : 125، علم المعاني (مجهد الدليمي وآخرون) : 272، علم المعاني (الزوبعي) : 306، أساليب المعاني في القران : 221 .

ينبثق من فحوى السياق العام للتركيب الأول ، وقد اصطلح عليه بـ (الاستئناف البياني)[1] وهو ما كانت فيه الجملة الثانية جوابا عن سؤال يفهم من الجملة الأولى[2]. وعليه يكون ((التركيب الثاني كيانا مستقلا عنه ومغايرا له على صعيد البناء السطحي مما يستوجب فصل التركيبين عن بعضهما))[3]. ويبدو أنَّ علّة ترك الوصل بين التركيبين كامنة في وجود الرابط الدلالي المنافي للعطف والمتمثل في التواصل الضمني بين السؤال وجوابه فـ ((الجواب شديد الارتباط والاتصال بالسؤال))[4].

ويرى بعض الباحثين أَنَّ انعدام الوصل في هذا النوع من التركيب إنَّما يعود إلى اختلاف بنية التركيبين خبرا وإنشاء لا إلى الاستئناف المبني على سؤال مقدر في التركيب الأول معللا ذلك بأنَّ التركيب الثاني (الجواب) قد جاء متضمنا دلالة الخبر ، في حين جاء التركيب الأول موحيا بدلالة الاستفهام[5]. وهو - بتعليله هذا - يلوّح إلى اخراج التراكيب الاستئنافية المنفصلة من دائرة (شبه كمال الاتصال) وادخالها دائرة كمال الانقطاع وفي ما ذهب إلية نظر ؛ لأنَّ البلاغيين قد اشترطوا في كمال الانقطاع أن يكون بين الجملتين تباين تام لفظا ومعنى أو معنى مما يوجب الفصل لغياب الجهة الجامعة ، وهذا ما لا نراه متحققا في هذا النمط من التراكيب الاستئنافية ؛ لوجود وشائج الصلة بين السؤال وجوابه فضلا عن تعلق مضمون الجملة الثانية بمضمون الجملة الأولى تعلّق العلّة بالمعلول في اتمام المعنى ممّا أدّى إلى انعدام الوصل بينهما . وهكذا ((يساهم زوج الاستفهام المقدّر / الجواب في جعل الكلام متصلا بعضه ببعض دون وجود رابط شكلي ..... وهو وسيلة قوية من حيث الربط))[6]. أما بالنسبة الى ما يؤديه هذا النمط من الفصل من وظيفة في التعبير فقط أشار إلى ذلك السكاكي مبينا أثر تقدير السؤال فيه بقوله :□□□ ((وتنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار إليه إلاَّ لجهات لطيفة ، إمَّا لتنبيه السامع على موقعه أو لاغنائه أن يسأل أو لئلا يسمع منه شيء أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ ، وهو تقدير سؤال وترك العاطف أو لغير ذلك مما ينخرط في هذا المسلك))[7]. ومما جاء في ذلك قوله 8 من كلام له في قتل عثمان : (وَأَنَا جَامِعٌ لَكُم أَمْرَهُ : اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الأَثَرَةَ ، وَجَزِعْتُم فَأَسَأْتُم الجَزَعَ)[8] . فقد جاء قوله : (ستأثر فأساء الأثرة) تركيبا استئنافيا مقطوعا عن التركيب الأول (وأنا جامع لكم

1 - ينظر : مغني اللبيب : 2/ 43 .
2 - ينظر : دلائل الإعجاز : 250- 251 ، مفتاح العلوم : 370- 375، المثل السائر: 63/2 ، الإيضاح : 159.
3 - الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز : 242 .
4 - من بلاغة النظم العربي : 2/ 189 .
5 - ينظر : نحو المعاني : 102 .
6 - لسانيات النص : 109 .
7 - مفتاح العلوم : 361 .
8 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2/ 102 .

أمره) لوقوعه جوابا لسؤال متصور من فحوى السياق لمن يسأله 8 عن كيفية الجمع محققا بذلك دلالة الإيجاز المتمثلة في استغنائه عن سؤال المخاطبين له .

ومن أمثلته قوله 8 من خطبة له لمّا أريد على البيعة بعد مقتل عثمان : (دَعُونِي وَالتَّمِسُوا غَيْرِي ، فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وأَلْوَانٌ . لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ)[1]. لقد تضمنت جملة (فَإِنَّا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان) سؤالا مقدّرا يتبادر إلى ذهن المخاطب فحواه : ما طبيعة هذا الأمر ؟ فيأتيه الجواب عن ذلك في جملة (لا تقوم له القلوب) فجاءت الجملة الثانية مرتبطة بالأولى ارتباطا قويا ؛ لذا ترك العطف بينهما ، ولا سبب لهذا الفصل إلاّ قوة الرابطة المعنوية بين الجملتين ، وذلك في مقام التنبيه وبيان السبب لما ((يعلمه من اختلاف الناس عليه بضروب من التأويلات الفاسدة والشبهات الباطلة))[2].

ومن أمثلته أيضا ما جاء في كلام له 8 قاله للعلاء بن زياد الحارثي وهو يعوده لما رأى من سعة داره يقول : (إِنَّ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ تَقْرِي فِيْهَا الضَّيْفَ ، وَتَصِلُ فِيْهَا الرَّحِمَ ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا)[3]. فجملة : (تقري فيها الضيف) تركيب استئنافي مبني على سؤال متصور يثيره في ذهن المخاطب سياق التركيب الأول المتمثل في (إنْ شئت بلغت بها الآخرة) كأنَّه قيل : كيف ابلغ بها الآخرة ؟ فقيل : تقري بها الضيف وتصل فيها الرحم ..... فكأنَّه 8 قد أجاب عن تساؤل غير مطروح . كما يتجلى حضور هذا النمط من الفصل بوضوح في أسلوب الشرط أيضا وهو بناء تركيبي قائم على((تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني))[4] . فهو أسلوب مبني على جملتيين منفصلتين يتعلق حصول مضمون احداهما بحصول مضمون الأخرى .

ومن شواهد ذلك قوله 8 لمّا خُوِّفَ من الغيلة[5] (وَإِنَّ عَلِيَّ مِنَ اللهِ جُنَّةً حَصِينَةً فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَأَسْلَمَتْنِي)[6]. فقد فصلت جملة (انفرجت عنّي) عن جملة : (جاء يومي) وهو فصل مبني على تقدير سؤال يحتمله الظاهر كأنه يقال بعد الجملة الأولى : فماذا تصنع تلك الجُنَّة الحصينة إذا جاء يومك ؟ فيجاب : (انفرجت عنّي وأسلمتني) غير أن الفصل

---

1 - المصدر نفسه : 7/ 27 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 2/ 513 .
3 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 11/ 27. وينظر أمثلة أخرى: 6/ 159، 271، 275، 7/ 63، 10/ 51، 128.
4 - التعريفات : 104 .
5 - والغِيْلَةُ بالكسر: الخديعة والاغتيال....قتله غيلة إذا قتله من حيث لايعلم.لسان العرب:مادة(غيل)10/ 161.
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 5/ 108 .

بينهما لا يعود في حقيقة الأمر إلى هذا السبب فحسب ، وإنَّما السبب في ذلك يعود أيضا إلى ما بين الجملتين من ائتلاف وتلاحم تمثل في تعلّق مضمون الثانية بمضمون الأولى .

ومنه كذلك ما جاء في كلام له 8 قاله للخوارج حول قضية التحكيم : (إِنَّ جَرَّنَا الْقُرْآنُ اتَّبَعْنَاهُم، وَإِنْ جَرَّهُم إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا)[1]. فعلى الرَّغم من الفصل بين جملة : (اتّبعناهم) وجملة : (جرّنا القرآن إليهم) وكذا الفصل بين جملة : (اتّبعونا) وجملة : (جرَّهم إلينا) يحتمل في ظاهره تقدير سؤال فإنَّه لم يكن السبب الوحيد في الفصل . بل لما بين الجملتين من قوّة ارتباط تتمثل في ارتباط النتيجة بالسبب .

ومن شواهده أيضا قوله 8 : (أَيُّها النَّاسُ إِنَّه مَنِ اسْتَنْصَحَ اللهَ وُفِّقَ)[2]. فالفصل بين الجملتين إنَّما جاء هنا بسبب أنَّ الجملة الثانية مبنية على الأولى في اتمام المعنى مع إمكانية تقدير سؤال بينهما ((فَإِنَّ استنصاحه يستلزم التوفيق))[3] . ومنه كذلك قوله 8 : (مَنْ وَثِقَ بِالْمَاءِ لَمْ يَظْمَأْ)[4].

ومن شبه كمال الاتصال ما يجيء في أسلوب الطلب والجزاء كما في قوله 8 : (الفَرَائِضَ الفَرَائِضَ أَدُّوهَا إِلَى اللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الجَنَّةِ)[5]. فمما لا شك فيه أنَّ الوصول إلى الجَنَّة المتمثلة في الخير كُلَّه لا يكون إلاَّ بأداء الفرائض الحقّه على وجهها فجاء الفصل بين جملة (تؤدّكم إلى الجنّة) وجملة (أدّوها إلى الله) ؛ لتعلّق الثانية بالأولى . ومنه كذلك قوله 8 لأصحابه : (تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا)[6]. فالالتحاق بالسابقين متوقفُ على التخفيف أي تخفيف الذنوب ولا يخفى ما في النص من إيجاز فضلا عن أهميته في إعمال الفكر وإعطاء فرصة للمتلقي للتفكير .

ومما تقدّم يتبين لنا أَنَّ القيمة الدلالية والبلاغية لهذا النمط من الفصل إنَّما تتجلى بوضوح ((في طلب الإيجاز والدقة وتحاشي الحشو والإطالة في الحدث اللغوي ..... وذلك باختزال التراكيب وتكثيف دلالاتها المتضمنة لدلالتي السؤال والجواب))[7] .

الوصـــل :

1 - المصدر نفسه : 8/ 91 .
2 - المصدر نفسه : 9/ 83 .
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 3/ 256 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1/ 199 . وينظر أيضا : 2/ 151، 4/ 26، 6/ 81، 9/ 83.
5 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 9/ 220 .
6 - المصدر نفسه : الصحيفة نفسها .
7 - الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز : 247 ، وينظر: نحو المعاني : 103 .

هو ((عطف بعض الجمل على بعض))[1] . وهو أيضا((ربط معنى بمعنى حقيقي أو مجازي بأداة لغرض بلاغي))[2] ؛ وذلك بوساطة أداة العطف التي تمثل واحدة من أبرز أدوات الربط على مستوى الجملة ؛ إذ يُعدُّ الربط قرينة لفظية وخصيصة معروفة من خصائص التركيب النحوي للجملة ، فهو عنصر مهم في كل لغة من اللغات لأنَّه يعمل على ربط أجزاء الكلام بعضها بالبعض الآخر في السياق فيضفي بذلك سمة التماسك الشكلي على الجمل[3]، من خلال خلق الوحدة العضوية في النص اللغوي عن طريق الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه وجعلهما أشبه ما يكونا بالشيء الواحد . وهذا التماسك النصي إنَّما يتحقّق من خلال حضور حرف العطف والعلامة الإعرابية وأفعال المشاركة ومعنى حرف العطف[4]. وأنظمة الربط في العربية كثيرة ومتنوعة ؛ إذْ ((لا نغالي حين نقرر أنَّ اللغة العربية لغة الوصل ففيها من أدوات الربط ما لا نكاد نراه في غيرها))[5]. وعليه يمثل الوصل وسيلة من أبرز وسائل الربط تلك فهو ((يحقق وحدة معنوية ما بين الألفاظ التي يصل بعضها ببعض))[6] . كما يرى بعض الباحثين ((أنَّ أسلوب الوصل يحقق غايات دلالية ثرية ومكثفة لإمكانية الاستغناء بدلالات مورفيمات العطف الفسيحة عن رصف وحدات معجمية كثيرة))[7] ؛ لذا عدَّ جومسكي عملية الوصل ((من أكثر العمليات المثمرة في صياغة الجمل الجديدة))[8] . ويرى النحويون والبلاغيون أنَّ الوصل لا يتحقق إلاَّ بـ (الواو) العاطفة فقط دون غيرها من حروف العطف الأخرى؛ لما تفيده من معنى العطف والتشريك مطلقا أي ربط وتشريك ما بعدها بما قبلها في الحكم بخلاف حروف العطف الأخرى فإنَّها تفيد التشريك ومعاني أخرى[9] . واتفق مع ما ذهب إليه بعض الباحثين من أنَّ بلاغة الوصل لا تقتصر على (الواو) فحسب بل يمكن لها أن تتحقق على مستوى حروف العطف الأخرى ؛ لِمَا تتمتّع به هذه الحروف من طاقات دلالية تزيد من بلاغة الوصل في النص ؛ إذ((إننا لا نعدم وجوها دقيقة وأموراً خفية نجدها كامنة وراء العطف بغير الواو))[10] .

---

1 - الإيضاح : 151 .
2 - بلاغة الكلمة والجملة والجمل : 263، وينظر : المعاني في ضوء أساليب القرآن : 305 وما بعدها فقد فصل في بحث القدماء فيه .
3 - ينظر : اللغة والمعنى والسياق : 219- 220 .
4 - ينظر : علم اللغة النصي : 1/ 259 .
5 - من أسرار اللغة : 306 .
6 - بنية اللغة الشعرية : 159 .
7 - الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز : 222 .
8 - البُنى النحوية : 52 .
9 - ينظر : أسرار العربية : 159 ، دلائل الإعجاز : 241 .
10 - علم المعاني (بسيوني) 346-345.

كما اشترطوا في العطف كي يكون سائغا مقبولاً وجود المناسبة والجهة الجامعة بين المعطوف والمعطوف عليه مفردا أو جملة[1]؛ لأنَّ ((معظم أبواب الفصل والوصل مبني على الجامع))[2] .

وتمثل سياقات الوصل في الخطاب العلوي ملمحاً أسلوبيا بارزا ؛ لكثرة ورودها فيه ؛ إذ لا تكاد تخلو منها خطبة من خطبه ، وقد تمثّل حضورها في نمطين هما :

النمط الأول : القصد إلى اشراك الجملتين في الحكم الإعرابي[3] :

وذلك عندما يكون للجملة الأولى محلُ من الإعراب فضلا عمّا بينهما من المناسبة في المعنى ، وهو بذلك يكون كعطف المفرد على المفرد .

ومما جاء على هذا النمط قوله 8 : (ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدمَ داراً أَرْغَدَ فِيْهَا عَيْشَهُ ، وَآمَنَ فِيْهَا محلَّته)[4] . فجملة (أرغد فيها عيشه) ذات موضع من الإعراب لوقوعها صفه لـ (داراً) وقد عطفت عليها جملة (وآمن فيها محلَّته) لقصد التشريك في ذلك الحكم الإعرابي فضلا عمَّا لها من تناسب ؛ إذ استطاع العطف بين هذه الجمل أن يرسم لنا صفات تلك الدار (الجنَّة) ، فقد وصفها بأنَّها دارُ ذات أمن وأمان وعيش رغيد ، لا يصيبه فيها خوف أو حزن ما دام فيها . ومن ذلك أيضا قوله 8 : (وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُم ذِكْرُ المَرْجِعِ وَأَرَاقَ دُمُوعَهُم خَوْفُ المَحْشَرِ)[5] . ففي قوله هذا جملتان هما : (غضَّ أبصارهم ذِكْرُ المرجع) و(أراق دموعهم خَوْفُ المحشر) فالأولى منهما لها محل من الإعراب لأنَّها في موقع الصفة والنص يريد إشراك الجملة الثانية لها في هذا الحكم الإعرابي ؛ لِمَا بينهما من تناسب في المعنى ؛ إذ إنَّ المخبر عنه في الجملتين واحد ، فكان لـ (الواو) فضل قوة الجمع بينهما مفيدا دلالة المدح والتعظيم لهم ، فجاء العطف هنا عاملا مساعدا في بيان المعنى النفسي الذي ساد على هذه الجمل .

ومن شواهده قوله 8 من خطبة خطبها في غارة الضحاك بن قيس : (أَصْبَحْتُ واللهِ لاَ أُصدّقُ قَوْلَكُم ، وَلاَ أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُم ،وَلاَ أُوعِدُ العدوَّ بِكُم)[6]. ففي النص ثلاث جمل هي : (لاَ أُصدّق قَوْلَكُم) و(لا أَطْمَعُ في نَصْرِكُم)و(لاَ أُوعِدُ العدوَّ بكم) . فالجملتان الثانية والثالثة تشاركان الجملة الأولى في حكمها الإعرابي ومعناها ؛ إذ المقصود من قوله هذا الإخبار

1 - ينظر : دلائل الإعجاز : 241، مفتاح العلوم : 359، الإيضاح : 151 .
2 - المطول : 461 .
3 - ينظر : دلائل الإعجاز : 240- 241، علم المعاني (مجهد الدليمي وآخرون) : 281، علم المعاني (الزوبعي) : 308، أساليب المعاني في القرآن : 241 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1/ 114.
5 - المصدر نفسه : 2/ 138 .
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2/ 90 .

عن المبتدأ (الضمير) المتمثل في قوله : (أصبحتُ) بهذه الأمور الثلاثة فوصل بينها ، كما أنَّ غرض الإمام لا يتحقق إلاَّ بالوصل إتماما لمعنى المبالغة في توبيخهم وذمّهم لـ ((عدم وثوقه بأقوالهم لكثرة خلفهم ومواعيدهم الباطلة بالنهوض معه))[1] . فاستطاع العطف هنا أن يسترفد كل المعاني التي وردت في النص .

ومنه كذلك قوله 8 : (فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ)[2]. وصل الإمام بين الجملتين (قد أدبرت) و (آذنت بوداع) لا شتراكهما في الحكم الإعرابي والمعنى . فكلتاهما في محل رفع خبر لاسم إنَّ (الدنيا) منبها بادبارها واعلامها بالوداع ((إلى تقضي الأحوال الحاضرة بالنسبة إلى كل شخص من الناس من صحة وشباب وجاه ومال وكل ما يكون سببا لصلاح حال الإنسان))[3] . وإشراكهما في المعنى كُلُّ ذلك في معرض الذّمّ لها ، كما حقّق الوصل بـ (الواو) دلالة قوة الجمع بينهما ؛ لأنَّ المخبر عنه واحد هو (الدنيا) .

النمط الآخر : اتفاق الجملتين خبرا وإنشاءً مع المناسبة في المعنى[4] :

ويتحقق ذلك حين تتفق الجملتان خبرا أو أنشاء لفظا ومعنى أو معنى مع وجود المناسبة بينهما في المعنى . فالوصل هنا إنَّما يتم إذن لاتفاق الجملتين في الأسلوب والمعنى ويأتي هذا الموضع على خلاف موضع كمال الانقطاع في الفصل ؛ لأنَّ الفصل هناك إنَّما يقع وجوبا لتباين الجملتين أسلوبا ومعنى .

فممَّا جاء الوصل فيه والجملتان خبريتان قوله 8 في وصف المؤمن : (يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ)[5] . فهذه الجمل الثلاث خبرية لفظا ومعنى ، فأفاد وصلها بـ (الواو) صدور هذه الأفعال منه ، وأنَّه يقوم بها جميعا ، فالمخبر عنه واحد فهو يسامح من ظلمه ، ويُعطي من ماله مَنْ منعه ، ويصل بالمودة مَنْ قطع وصله ، ما ذاك إلاَّ رغبة في ثواب الله تبارك وتعالى . فضلا عما بينها من تناسب في المضارعة ؛ لذا زاد الربط العطفي (الواو) الدلالة قوة وظهورا معبرا في المستوى العميق عن دلالة المدح والتعظيم لَهُ .

ومنه أيضا قوله 8 : (لَا تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ ، وَلَا تُعْقَدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ ، وَلَا تَنَالُهُ التَّجْزِئَةُ وَالتَّبْعِيضُ ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ)[6] . ففي النص أربع جمل متفقة في الخبرية لفظا

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 2/ 76 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2/ 74. وينظر أمثلة أخرى: 1/ 100 ، 2/ 74 ، 6/ 193 ، 211، 272، 309.
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 2/ 61 .
4 - ينظر : الإيضاح : 162 ، علم المعاني (مجهد الدليمي وآخرون) : 285، علم المعاني (الزوبعي) : 309 : أساليب المعاني في القرآن : 238 .
5 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 10/ 117 .
6 - المصدر نفسه : 6/ 269 .

ومعنى فضلا عما بينها من تناسب في المضارعة هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فَإنَّ غرض النص الجمع بين هذه الجمل ؛ لأنَّها في سبيل تنزيه الله جلَّ وعلا .

ومنه كذلك قوله 8 : (وإنَّما الأئمَّةُ قُوَّامُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ وَلاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلاَّ مَنْ عَرَفَهُم وَعَرَفُوهُ ، وَلاَ يَدْخُلُ النَّارَ إلاَّ مَنْ أَنْكَرَهُم وَأَنْكَرُوه)[1]. فقد أفادت (الواو) الواصلة بين جملة (عرفهم) وجملة(عرفوه) وكذلك بين جملة (أنكرهم) وجملة (أنكروه) دلالة الجمع والتشريك ؛ لا تفاقهما في الخبرية لفظا ومعنى إذ يلوح لي من النص المبارك أنَّ الإمام 8 يشير إلى صنف واحد يدخل الجنة وهم الذين يعرفون هؤلاء ويعرفهم هؤلاء، والحال نفسه في الصنف الذي يدخل النار.

وقد يأتي الوصل بين جمل خبرية تكون الثانية منها مفسرة وموضحة للأولى والثالثة مفسرة للثانية وهكذا . ويبرز ذلك بوضوح في قوله 8 :

(أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ ، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الإِخْلاَصُ لَهُ ، وَكَمَالُ الإِخْلاَصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ)(2) . فقد جاءت كل واحدة من هذه الجمل وقد أخذ بعضها بعنق بعضها في توضيح وتفسير معنى الجملة التي قبلها وهو ما أسهم في تحقيقه وجود الرابط العطفي (الواو) . وممّا جاء على هذا النمط والجملتان متفقتان في الإنشائية قوله 8 : (فَاتَّعِظُوا بِعِبَادِ اللهِ بِالعِبَرِ النَّوَافِعِ ، وَاعْتَبِرُوا بِالآيِ السَّوَاطِعِ ، وَازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ البَوَالِغِ ، وَانْتَفِعُوا بِالذِّكَرِ وَاطْوَاعِظِ)(3) فقد وصل بين هذه الجمل الأربع ؛لاتفاقها في الإنشائية ، فهي جمل أمريّة لفظا ومعنى مع وجود المناسبة فضلا عن أنَّ المسند إليه فيها واحد وهم المخاطبون . أسهم كل ذلك في تعزيز دلالة النصح والإرشاد في النص .

ومنه كذلك قوله 8 : (فَأَفِقْ أَيُّها السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ ، وَاسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ ، وَاخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ ، وَأَنْعِمِ الفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ ، عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا لاَبُدَّ مِنْهُ ، وَلاَ مَحِيْصَ عَنْهُ ، وَخَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إلى غَيْرِهِ ، وَدَعْهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ ، وَضَعْ فَخْرَكَ ، وَاحْطُطْ كِبْرَكَ ، وَاذْكُرْ قَبْرَكَ)[4] .

فقد جاءت (الواو) واصلة بين جمل اتفقت فيما بينها في الإنشائية لفظا ومعنى مع ما فيها من تناسب من جهة ومجيء المسند إليه فيها واحدا وهو المخاطب من جهة أخرى فليس هناك إذن ما يقتضي الوصل بينها . وقد يجيء الوصل متحققا بين جمل مستقلة في

---

1 - المصدر نفسه: 9/ 117 ، وينظر أمثلة أخرى : 1/ 144، 235، 2/ 19، 6/ 211، 272،282، 300، 7/ 35، 10/ 149، 13/ 61، 237 .

2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1/ 92 .

3 - المصدر نفسه : 6/ 270 .

4 - المصدر نفسه: 9/ 121- 122، وينظر أمثلة أخرى : 1/ 204، 227، 2/ 250 ، 3/ 119، 5/ 118، 6/ 272 ، 7/ 59، 148، 8/ 5، 9/ 39، 216، 220 .

المعنى غير أنها تصب في غرض واحد من ذلك قوله 8 : (لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَماً وَلَتَتْبَعُنَّهَا نَدَماً)[1].

ففي هذا النص جملتان مستقلتان في المعنى جاءتا وقد وصل بينهما الرابط العطفي (الواو)؛ لاجتماع سياقهما في غرض واحد وهو الوعيد ، وقد أسهم في تأكيد دلالة ذلك الاستعارة التي رسمتها الجملة الأولى ، فقد استعار الإمام 8 ((لفظ حلب الدم لثمرة تقصيرهم وتخاذلهم عما يدعوهم إليه من الجهاد ، ولاحظ في تلك الاستعارة تشبيههم لتقصيرهم في أفعالهم بالناقة التي أصيب ضرعها بآفة من تفريط صاحبها))[2] . وقد يجيء الوصل بين جملتين يوحي بناؤهما السطحي (الشكلي) اختلافا بينهما في الخبرية والإنشائية ، وإنَّما جاز الوصل هنا لِمَا بينهما من تقارب في المعنى من ذلك قوله 8 مخاطبا أصحابه : (أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُم بِالثَّقَلِ الأَكْبَرِ ؟ وأَتْرُكْ فِيكُم الثَّقَلَ الأَصْغَرَ)[3] جاءت الجملتان وقد أوحى بناؤهما إلى اختلافهما شكلا ، ومع ذلك وصلت الثانية بالأولى وعطفت عليها بـ (الواو) ؛ لاتحادهما في المعنى ، فالأولى إنشائية استفهامية شكلا خبرية معنى ؛ إذ أفادت دلالة التقرير ، والثانية خبرية لفظا ومعنى مما جعل العطف عليها جائزا ؛ إذ لا مانع من العطف على المعنى : عملت فيكم بالثقل الأكبر وتركت فيكم الثقل الأصغر ، فضلا عمَّا حقّقه العطف من إيجاز تمثل في حذف (أَلَمْ) في الجملة الثانية تجنبا للتكرار المتقارب ، ولأنها مفهومة من السياق.

كما تبرز مواطن الحسن والجمال في الوصل من خلال التقابل كقوله 8 : (فالجَنَّةُ غَايةُ السَّابِقِينَ ، والنَّارُ غَايةُ المفرّطِينَ)[4]. فقد جمع الرابط العطفي (الواو) بين (الجَنَّة) التي هي مصير كل من عمل لها ومآبه ، مؤدين ما أوجبه الله عليهم من فروض سابقين الى مرضاته ، وبين (النار) التي تمثل نهاية المسرفين المفرّطين لحقوق الله تعالى اللامبالين بها فهؤلاء مصيرهم الهاوية لا محالة ، فلا يخفى ما في التقابل بين الجملتين من اثر في توضيح المعنى وتأكيده في نفوس المخاطبين .

ومن مواطن التي يحسن الوصل فيها بـ (الواو) ما جاء فيها اللفظ متباينا ويتمثل هذا بعطف الشيء (مفرد أو جملة) على مرادفه لضرب من التقرير والتأكيد[5]. فـ ((من حقَّ الجمل إذا ترادفت ووقع بعضها إثر بعض أن تربط بالواو لتكون على نسق واحد))[6] .

---

1 - المصدر نفسه: 4/ 26 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 2/ 202 .
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6/ 289 .
4 - المصدر نفسه : 9/ 160 .
5 - ينظر : مغني اللبيب : 2-21، البرهان في علوم القران : 132/4، الإتقان : 2/ 71 .
6 - جواهر البلاغة : 205 .

فممّا جاء الوصل فيه على ذلك قوله 8 : ((أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءاً ، وابْتَدَأَهُ ابتِدَاءاً))[1] فقد وصل بين الجملتين لِمَا بينهما من الاتفاق في الخبرية مع وجود المناسبة المتمثلة في تصوير قدرة الله تبارك وتعالى في أسمى معانيها وقد جيء بالثانية مرادفة للأولى في المعنى للتأكيد في مقام المدح والتعظيم فمعنى الإنشاء والابتداء واحد وهو الحدث والإيجاد[2].كما إنَّهُ((أتى بالمصدرين بعد الفعلين تأكيداً لنسبة الفعلين إلى الله تعالى))[3].

ومنه كذلك قوله 8 من خطبة له في التوحيد : (لا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ ، وَلاَ يَتَبَدَّلُ فِي الأَحْوَالِ)[4]. فقد جيء بالوصل بين الجملتين ؛ لاتفاقهما خبرا مع وجود المناسبة التامة بين مفرداتها . كما نلحظ أنَّ الثانية قد جاءت مرادفة للأولى في المعنى . فالتغّير والتبدّل بمعنى واحد[5] ؛ وذلك لضرب من التأكيد إشارة منه 8 إلى توحيد الله وتنزيهه تعظيما له . ومنه أيضا قوله 8 في ذكر عمرو بن العاص : (عَجَباً لابنِ النَّابِغَةِ يَزْعُمُ لأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً وَأَنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ! لَقَدْ قَالَ بَاطِلاً ، وَنَطَقَ آثِماً)[6] . فقد جاءت جملة (نطق آثما) معطوفة على جملة (قال باطلا) مع ترادفها معها في المعنى[7]. للتأكيد على كذب دعواه في مقام الذم والتوبيخ . وتجدر الإشارة هنا إلى أن وصل الجمل الفعلية بعضها ببعض يوحي إلى أنَّ العطف فيها يكون متحركا لا ساكنا مما يضفي عليها صفة الزمن المفتوح لا المقيد[8].

أما الوصل بحروف العطف الأخرى ، فقد جاء بحسب ما تؤديه تلك الحروف من معان ودلالات سنذكرها هنا .

الـــــواو :

لقد تناولنا في ما تقدّم دلالة الواو على العطف والتشريك ، لكنه قد يؤتى بها لتفيد إضافة إلى هذه الدلالة دلالات أخرى يفصح عنها السياق منها دلالة الترتيب كما في قوله 8 في المنافقين: (زَرَعُوا الفُجُورَ ، وَسَقَوهُ الغُرُورَ، وَحَصَدُوا الثُّبُورَ)[9]. فقد أفادت (الواو) في هذا النص إضافة إلى وصل الجمل بعضها ببعض ؛ لاتفاقها خبرا دلالة الترتيب التي

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1/ 97 .
2 - ينظر : لسان العرب : مادة (بدأ) : 1/ 333- 335، مادة (نشأ) : 14/ 134، المعجم الوسيط : مادة(بدأ) : 42/1، مادة (نشأ) : 2/ 920 .
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 1/ 243 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 13/ 61 .
5 - ينظر : معجم مقاييس اللغة : مادة (غير) 4/ 404 ، مادة (بدل) : 1/ 210 . لسان العرب : مادة (غير) 10/ 155، مادة (بدل) 1/ 344.
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6/ 220 . وينظر أيضا : 2/ 147 .
7 - ينظر : معجم مقاييس اللغة : مادة (قال) : 5/ 42 ، مادة (نطق) : 5/ 440 .
8 - ينظر : بلاغة العطف في القرآن : 45 .
9 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1/ 144.

أوضحها وكشف النقاب عنها عن طريق الاستعارة المتمثلة في أفعال (الزرع والسقي والحصاد) فضلا عن التوازن الصوتي الذي أشاعه الترصيع بين فقرات هذه الجمل ؛ وذلك في مقام الذم والتوبيخ لهم .

الفـــــاء :

وتفيد دلالة الترتيب والتعقيب دون إمهال أو تراخ[1]. ومما جاء على ذلك قوله 8 (وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعَاهَدَةِ فَيُنْتَزَعُ حِجْلُهَا وَقُلْبُهَا وَقَلَائِدُهَا وَرُعُثُهَا مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ)[2] ففي استعمال أداة الوصل (الفاء) للربط بين الفعلين (يدخل) و(ينتزع) توضيح لعملية هتك ستر المسلمات والمعاهدات وإنَّ ما أعقبها من سلب ما عليهن إنَّما حصل مباشرة بمجرد دخول الرجل عليهن دون امهال أو تراخ .

ومنه كذلك قوله 8 في وصف بيعته للخلافة : (وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا ، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا)[3]. فقد أفاد الرابط العطفي (الفاء) دلالة الترتيب والتعقيب من خلال وصله بين الفعلين (بسطتم) و (كففتها) وكذلك بين الفعلين (مددتموها) و(قبضتها) مصورا بذلك بيعة الناس له من خلال عملية القبض والبسط ، وحاصل الأمر هنا احتجاجه على مَنْ خالفه عن طريق بيان حال بيعة الناس له ((وكيفيتها الدالة على شدة حرصهم عليه واجتماعهم عن رضى واختيار على تسليم الأمر إليه))[4].

أو :

قال السُّهيلي : ((أو وضعت للدلالة على أحد الشيئين المذكورين معها ؛ ولذلك وقعت في الخبر المشكوك فيه من حيث كان الشك ترددا بين أمرين من غير ترجيح لأحدهما على الآخر لا أَنَّها وضعت للشك))[5]. وقد جاءت في الخطاب العلوي واصلة بين الجمل للدلالة على معان منها :

دلالة التخيير :

ومن ذلك ما جاء من كلام له 8 لمّا غلب أصحاب معاوية أصحابه على شريعة الفرات بصفّين ومنعوهم من الماء يقول :(قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ ، فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ أَوِ

1 - ينظر : الكتاب : 1/ 429 ،438 ،217/4 ، الجنى الداني : 61 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2/ 61 .
3 - المصدر نفسه : 13/ 5. وينظر أيضا : 1/ 154، 216، 235، 266، 6/ 138 ، 7/ 169، 9/ 30 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 4/ 114 .
5 - نتائج الفكر في النحو : 198، وينظر : الكتاب : 1/ 429 ، 438 ، الجنى الداني : 227 .

رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الماءِ)[1] . فقد وصل بين الجملتين المتفقتين في الإنشاء بـ (أو) للدلالة على معنى التخيير المتمثل في القتال أو ترك القتال ، وإنَّما جاء بهما في هيأة التخيير ((لعلمه بأنّهم لا يختارون ترك القتال مع ما يلزم من الإقرار بالعجز والمذلّة والاستسلام للعدو وتأخير المنزلة عن رتبة أهل الشرف والشجاعة))[2] . ويبدو أنَّ ذلك جاء في معرض تحريك الهمة في نفوس أصحابه ، وقد أسهم في تعزيز دلالة ذلك في النص الإستعارة المتمثلة في قوله : (استطعموكم القتال) وقوله : (رووا السيوف من الدماء) فقد أثارت الأولى رغبة القتال في نفوسهم بسبب منع الماء عنهم في حين جاءت الثانية ((لتريهم القتال في صورة محبوبة تميل طباعهم إليها))[3] .

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 3/ 191. وينظر أيضا : 11/ 84 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 2/ 185 .
3 - المصدر نفسه ، الصحيفة نفسها

دلالة الشك أو الإبهام :

من ذلك ما جاء من كلام له 8 في ذكر البيعة : (فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الإِبِلِ الهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا ، وَقَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا ، وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهم قَاتِلِيَّ أو بَعْضُهُم قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ)[1]. فقد وصلت جملة (بعضهم قاتل بعض) بجملة (ظننت أنهم قاتلي) بالرابط العطفي (أو) لإفادته دلالة الشك والإبهام . في تصوير ما غلب على ظنّه 8 من أَنَّهم بسبب ازدحامهم عليه والذي صوره بشدة ازدحام الإبل العطاش حين ترد الماء من أَنَّهم قاتلوه أو بعضهم قاتلُ بعض .

دلالة التسوية :

في مثل قوله 8 : (فوالله مَا أُبَالِي دَخَلْتُ إلى المَوْتِ أو خَرَجَ المَوْتُ إِلَيَّ)[2]. فقد وصل حرف العطف (أو) بين جملتين فعليتين هما : (دخلت إلى الموت) و (خرج الموت إليَّ) مفيدا معنى التسوية ، فقد دل الإمام 8 باستعمال (أو) هنا على أنَّه لا يبالي بدخوله إلى الموت وخروج الموت إليه فهو لا يبالي بهما معا ، فالإمام 8 لا يخشى أتعرّض للموت عن طريق المواجهة والقتال أو خرج الموت اليه وفي هذا دلالة على صلابة نفسه ورباطة جأشه .

ثُـمَّ :

وهو حرف عطف يفيد الترتيب مع التراخي في الزمن[3]. وهو يختلف عن (الفاء) فالمهلة هنا أطول وفيها تراخ .

وممَّا جاء على ذلك قوله 8 : (تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ وآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ ، وَلاَ ظَهْرٍ قَاطِعٍ)[4]. فقد عطفت جملة (ظعنوا) على جملة (تعبّدوا) وجملة (آثروها) بالرابط العطفي (ثُمَّ) ؛ إذ إنَّ المدّة الزمنية بين بقاء الإنسان في الدنيا والتمتّع بملذاتها والموت الحقيقي فيها والرحيل عنها هي مدة طويلة ؛ لذا استلزم السياق العطف بـ (ثُمَّ) . وقد تعطف (ثُمَّ) جملة على جملة أخرى تحمل اللفظ نفسه لإفادة معنى التأكيد كما في مثل قوله 8 : (فَأُقْسِمُ ثُمَّ أُقْسِمُ لَتُنْخَمَنَّهَا[5] أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ)[1] .

---

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 4 / 7 .
2 - المصدر نفسه : 4/ 11. وينظر أيضا : 9/ 174 .
3 - ينظر : الكتاب : 1/ 429 ، الجنى الداني : 426 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7/ 178. وينظر أمثلة أخرى : 1/ 100، 106، 110/ 266، 2/ 236، 6/ 141، 212، 7/ 18، 157، 158.
5 - النُّخَامَةُ بالضم:النُّخَاعةُ. نَخِمَ الرجل.....وتنخّم:دفع بشيء من صدره أو أنفه.لسان العرب:مادة(نخم)86/14.

بـَلْ :

حرف عطف يفيد الإضراب[2]. وممَّا جاء على ذلك قوله 8: (لَمْ تُحِطْ بِهِ الأَوْهَامُ بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا)[3]. فقد وصل حرف العطف (بل) بين جملة (تجلّى لها) وجملة(لم تحط به الأوهام) ليفيد دلالة الاضراب . فالله عز وجل قد ((تجلّى لها في وجودها و((بل)) هنا للاضراب عمّا امتنع منها من الإحاطة به ، والإثبات لما أمكن ووجب في تجلّيه لها))[4] . تنزيها له جل وعلا من أن تحيط به العقول أو أن تطّلع على حقيقته .

ومنه كذلك قوله 8 : (وَلاَ وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيمَا قَضَى وَقَدَّرَ بَلْ قَضَاءٌ مُتْقَنٌ)[5] فقد عُطِفَت جملة (قضاء متقن) على جملة (ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدّر) مفيدا دلالة الإضراب ((إشارة منه إلى كمال علمه ونفي الشبهة أن تعرض له))[6] .

ومثله أيضا قوله 8 : (فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازاً لِتَزَوَّدوا مِنْهَا الأَعْمَالَ إِلى دَارِ القَرَارِ)[7] .

---

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 9/ 168 .
2 - ينظر : الكتاب : 1/ 434 ، 4/ 223، الجنى الداني : 235 .
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 13/ 35 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 4/ 145.
5 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 5/ 124.
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 2/ 240 .
7 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 8/ 206 . وينظر أيضا : 7/ 152، 173، 11/ 9، 33 ، 13/ 72 .

لـــكن :

حرف عطف يدل على الاستدراك ؛ إذ يجيء العطف فيه بين أمرين متخالفين في المعنى ، ويتمثل ذلك عن طريق انتقال المتكلم من المعنى الأول (المعطوف عليه) إلى المعنى الآخر (المعطوف) كما إنَّها لا تأتي إلاَّ عقب نفي يقول سيبويه : ((ما مررتُ برجل صالح لكن طالح أبدلت الآخر من الأول فجرى مجراه في بل ، فإنْ قلت : مررت برجل صالح ولكن طالح فهو محال ؛ لأنَّ لكن لا يتدارك بها بعد إيجاب ولكنها يثبت بها بعد النفي))[1] .

ويرى عبد القاهر الجرجاني أَنَّ (لكن) أخصُّ في الدلالة على الاستدراك من (بل)؛ وذلك لان الاستدراك بـ (بل) إنَّما يجيء في سياقي النفي والإيجاب ، أما الاستدراك بـ (لكن) فلا يجيء إلاَّ في سياق نفي ، ولا تأتي في سياق إيجاب إلاَّ أذا كانت الجملتان مختلفتين[2].

ومن ذلك قوله 8 : (أَمَا واللهِ مَا أَتَيْتُكُم اخْتِيَاراً وَلَكِنَّ جِئْتُ إِلَيْكُم سَوْقاً)[3] فهو بكلامه هذا يبيّن أنَّه لم يأتِ إلى العراق رغبة وإيثارا للمقام فيه ؛ وإنَّما الظروف هي التي ساقته إليه اضطرارا ؛ إذ لو لا يوم الجمل وما جرى فيه لم يكن مضطرا إلى مغادرة المدينة ومفارقة قبر رسول الله (9) وهذا ما أفادَه حرف العطف (لكن)

دلالة الفصل والوصل بين الأخبار والصفات :

قد تتعدد الأخبار فيخبر عن المبتدأ الواحد بأكثر من خبر ، وقد تتعدد الصفات ، فيوصف الموصوف بأكثر من صفة واحدة . وتأتي هذه الأخبار والصفات في بعض الأحيان موصولة قد وصل بينها بالرابط العطفي ، وتأتي في أحيان أخرى مفصولا بينها محققة بذلك دلالات بلاغية ومعان فنية وأسراراً تعبيرية تفهم من خلال السياق . وقد ذكر النحويون في فصلها ووصلها ثلاثة أحوال : منها ما يجب فيه ذكر الواو ، ومنها ما يجب فيه ترك الواو ، ومنها ما يجوز فيه العطف وتركه[4]. والذي يهمّنا من هذه الأقسام هو القسم الأخير ؛ لأهميته واتساع دلالته . أَمَّا الصفات فالأكثر الفصل بينها نحو : جاء زيدُ العالم الزاهد الفاضل . ((وإنَّما قَلَّ العطف فيها لأنَّ الصفة جارية مجرى الموصوف))[5] ولأنَّها ((هي الموصوف في المعنى))[6]. وقد يؤتى بها معطوفة بعضها على بعض

1 - الكتاب : 1/ 435. وينظر : الجنى الداني : 590 - 591 .
2 - ينظر : المقتصد في شرح الإيضاح : 2/ 947 .
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6/ 101 . وينظر أمثلة أخرى : 7/ 54، 9/ 157، 11/ 183 .
4 - ينظر : معاني النحو : 1/ 184- 185 .
5 - الطراز : 219.
6 - المقتصد : 2/ 900 .

((باعتبار المعاني الدالة عليها))[1] كما لا يعطف بين الصفات إلاَّ إذا كان بينها تضاد[2].

فمن تعدّد الصفات قوله 8 من خطبة له في الاستسقاء : (اللَّهُمَّ سُقْياً مِنْكَ مُحْيِيَةً مَرْوِيَّةً ، تَامَّةً عَامَّةً ، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً ، هَنِيئَةً مَرِيئَةً مَرِيعَةً، زَاكِيا نَبْتُهَا ، ثَامِراً فَرْعُهَا ، نَاضِرا وَرَقُهَا)[3] فقد جاء بصفات المصدر(سُقْياً) متعددة وهي (محيية مروية ، تامة عامة، طيبة مباركة.....) مفصولا بعضها عن البعض الآخر ، لا تحادها في المحل وللدلالة على التصاق الوصف بموصوفها فيكون المعنى أن للموصوف صفة واحدة تتكون من أجزاء متلاحمة غير منفك بعضها عن بعض في حين لو عطف لكان المعنى أن صفات مختلفة بذواتها قد اشتركت لتحل بالموصوف وممّا جاء في ذلك قوله 8 في الخطبة نفسها : (وأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِلَةً مِدْرَاراً هَاطِلَةً)[4]

ومنه كذلك قوله 8 : (أَمَا واللهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُم غُلاَمُ ثَقِيفٍ[5] الذَّيَّالُ المِيَّالُ)[6] . فإسقاط العاطف بين صفات الفاعل (غُلامُ ثقيف) والمتمثلة في (الذّيّالُ) و(الميّالُ) جاء للدلالة على اتحاد الوصف بمدلوله ؛ وذلك في مقام الذم والتوبيخ .

ومن شواهده قوله 8 : (الحَمْدُ للهِ العَلِيِّ عَنْ شَبَهِ المَخْلُوقِينَ ، الغَالِبِ لِمَقَالِ الوَاصِفِينَ ، الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ)[7] فإذا أنمعنا النظر في هذا النص المبارك نستشف أنَّه 8 قد توخّى الدّقة في بناء كلامه ؛ إذ فصل بين الصفات بتركه الرابط العطفي في هذه الألفاظ ؛ لاتحادها بمدلولها ، ولوقوعها على ذات واحدة . فالموصوف بها هو الله جلَّ اسمه .

ومن تعدّد الصفات في الوصل قوله 8 : (الحَمْدُ للهِ الأَوَّلِ فَلاَ شَيْءَ قَبْلَهُ والآخِرِ فَلاَ شَيْءَ بَعْدَهُ ، والظَّاهِرِ فَلاَ شَيْءَ فَوْقَهُ ، والبَاطِنِ فَلاَ شَيْءَ دُونَهُ)[8] فقد أتى الإمام 8 بالصفات (الأول) و(الآخر) و(الظاهر) و(الباطن) موصولة قد عطف بعضها على بعضها الآخر بالرابط العطفي (الواو) ؛ لِمَا بينها من تضاد لاستحالة اجتماعها في محل واحد ، فأفاد بذلك

1 - علوم البلاغة : 168 .
2 - ينظر : المعاني في ضوء أساليب القرآن : 314 .
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7/ 205 .
4 - المصدر نفسه ، الصحيفة نفسها .
5 - الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي ، أبو محمد ، قائد ، داهية ، سفاك، خطيب ، ولد ونشأ في الطائف (بالحجاز) سنة 40هـ وتوفي سنة 95هـ . الأعلام : 2/ 175 .
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7/ 217 .
7 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 11/ 49 .
8 - المصدر نفسه: 7/ 52 .

الوصل إرادة التنويع ورفع التناقض[1]. ونظير ما فات قوله 8 : (الحَمْدُ للهِ المتجلّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ ، والظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِم بِحُجَّتِهِ)[2] ومن تعدّد الأخبار في الفصل قوله 8 : (أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ ..... ، فَهُمْ فيه تَائِهُونَ ، حَائِرُونَ، جَاهِلُونَ، مَفْتُونُونَ)[3] فقد جاءت الأخبار (تائهون) و(حائرون) و(جاهلون) و(مفتونون) متعدّدة غير موصول بعضها ببعض لاختلافها في المعنى ، ولالتصاقها بموصوفها في معرض التقريع . وشبيه ما فات قوله 8 في الزكاة : (فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا ، فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ ، مَغْبُونُ الأَجْرِ ، ضَالُّ العَمَلِ ، طَوِيلُ النَّدَمِ)[4] فقد تم الفصل بين الأخبار المتعددة ؛لانطباقها على موصوفها ، ولأنَّها تصدق عليه أشد الصدق .

وقد يجيء بالفصل بين المفردات في مقام التأكيد ؛ وذلك عندما تنزل الثانية منزلة التوكيد للأولى لترادفها معها في المعنى وهو ما أسماه ابن الناظم (ت 686هـ) بـ (تقويته بمرادفه معنى)[5] ومن ذلك ما جاء من كلام له 8 في وصف المؤمن : (مِصْبَاحُ ظُلُمَات ، كَشَّافُ عَشَوَات ، مِفْتَاحُ مُبْهَمَات)[6] نلحظ في هذا النص أنَّ الفصل قد جاء فيه على مستوى المفردات لا على مستوى التراكيب ؛ إذ تَمَّ الفصل هنا بين الأخبار فقد فصل بين (كشاف عشوات) و(مصباح ظلمات) لإنزال الثاني منزلة التوكيد للأول لترادفه معه في المعنى ، ممّا اقتضى الأمر ترك الرابط العطفي بينهما مؤكدا دلالة المدح والتعظيم لشأن المؤمن العارف. ومنه أيضا قوله 8 في الدنيا : (فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا)[7] فقد تَمَّ الفصل بين الخبر الثاني (عَابِسَةٌ) والخبر الأول (متجهمة) لمجيء الثاني مؤكدا للأول لترادفه معه في المعنى .

ومن تعدد الأخبار في الوصل قوله 8 في الشهادتين : (فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الإِيمَانِ ، وَفَاتِحَةُ الإِحْسَانِ ، وَمَرْضَاةُ الرَّحمنِ ، وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ)[8] فقد تَمَّ الوصل بين هذه الاخبار المتعددة بأداة العطف (الواو) للدلالة على أن للشهادة صفات متعددة تشترك فيما بينها لأنها صفات لا تتجانس

1 - ينظر : من بلاغة القرآن : 180 .
2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7/ 142، وينظر أيضا : 7/ 221.
3 - المصدر نفسه : 1/ 142 .
4 - المصدر نفسه:10/ 158.وينظر أمثلة أخرى:6/ 207، 7/ 177، 217، 106/9 ،103/10، 150.
5 - ينظر: شرح ابن الناظم : 362 .
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6/ 282 .
7 - المصدر نفسه : 6/ 300 .
8 - المصدر نفسه : 1/ 139 . وينظر أيضا : 1/ 143، 7/ 170، 221، 10/ 150، 152.

لتكون وحدة واحدة، فعزيمة الايمان مصدرها الانسان المريد للإيمان ، وفاتحة الاحسان نتيجة العمل ، ومرضاة الرحمن صادرة من الله سبحانه، ومدحرة الشيطان ناتجة عن فطرة الشيطان، وهذه الامور لايمكن أن تكون وحدة واحدة. فأفاد العطف بذلك التأكيد على أهمية كلمة التوحيد ومبينا علة التمسك بها.

الفصل الرابع

الاطلاق والتقييد

مدخـــل

لقد نظر النحويون واللغويون العرب القدماء إلى بناء الجملة العربية فقسموها من حيث التركيب على اسمية وفعلية، فالاسمية نحو قولهم: (محمد أخوك) ، والفعلية نحو قولهم: (جاء أخوك)، وهذا هو الأصل في التركيب الجملي، وقد أطلق على هذا النوع من التركيب الجملي بـ (الجملة المطلقة)، لاقتصار بنائها على ذكر ركنيها الأساسيين (المسند والمسند إليه) من دون زيادة تعمل على صرف الكلام إلى حكم معين أو تحصره في وجه من الوجوه؛ لأنَّ غرضها من ذلك هو الاخبار فقط وهو ما يؤديه التركيب الأصلي. ولم يفت النحويين والبلاغيين الوقوف على هذا المصطلح والإشارة إليه.

أمّا النحويون فكانت اشاراتهم إليه ضمنا فقد عرفه ابن هشام (ت 761 هـ) بأنه ما دل على ((مطلق الحقيقة لا باعتبار قيد))[1]، وكثيراً ما يأتي حديثهم عن مفهوم الاطلاق صادراً عن حديثهم عن مفهوم النكرة فقد أشار السيوطي إلى مفهوم المطلق بقوله: ((ما وضع للماهية من حيث هي أي من غير أن تعيّن في الخارج والذهن))[2] فالمطلق عنده ما وضع على الشياع [3]، ولعل السبب في تناولهم مفهوم الإطلاق ضمن مفهوم النكرة يعود -فيما يبدو -إلى ما تحمله النكرة من معنى الاطلاق لدلالتها على الشيوع وعدم التعيين. أما البلاغيون فكانوا أكثر دقة في تحديد مفهوم الاطلاق، فالسكاكي يرى أن المطلق إنما يتحقق ((إذا كان المقام للافراد شخصاً ونوعاً كقولك: جاءني رجل أي فرد من أشخاص الرجال))[4] على حين نظر القزويني إلى الاطلاق بأنه ما جاء ((من غير اعتبار عمومه وخصوصه، ولا اعتبار تعلقه بمن وقع عليه))[5] وقد ذهب بعض البلاغين إلى أن الاطلاق إنما يثبت تحققه في السياق((إذا اقتصر في الجملة على ذكر جزأيها المسند والمسند إليه))[6] من غير أن يذكر المتكلم ما يتعلق بهما من متعلقات قد تذهب بالسامع كل مذهب ممكن. وعليه فقد كانت اشارة البلاغيين لمفهوم الاطلاق أكثر وضوحاً وبياناً من غيرهم من العلماء.

هذا فيما لو اقتصر التركيب الجملي على ذكر المسند والمسند إليه، غير أن هذا التركيب قد يأتي في كثير من الأحيان وقد زيد على ركنيه زيادة يقتضيها المعنى وتسمى هذه الزيادة (قيداً) وتسمى الجملة المتضمنة لها بـ (الجملة المقيدة) وهي التي زيد على ركنيها شيء مما يتعلق بها أو بأحدهما وهو ما يمثله الشق الأخر من الثنائية وعليه فإن الكلام المقيد يفيد في المعنى فائدة لا تحصل فيما لو حذف القيد منه، فالجمل المقيدة تعمل على

1 - مغني اللبيب:1 / 46.
2 - همع الهوامع: 1 / 232.
3 - ينظر: المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.
4 - مفتاح العلوم: 286.
5 - الإيضاح: 106.
6 - جواهر البلاغة: 157.

إضفاء معنى جديد من خلال ذكر قيودها، ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن السلف من علماء النحو قد أطلقوا على هذه القيود اسم (الفضلات) فالفضلة عندهم هي ((عبارة عمّا زاد على ركني الإسناد كالمفعول والحال والتمييز))[1] فهي اذن تأتي بعد استيفاء الجملة لجزأيها، مما دفع بعض النحويين إلى القول بإمكانية الاستغناء عنها[2]. وفي هذا الصدد يقول الدكتور فاضل السامرائي: ((وليس المقصود بالفضلة عند النحاة أنها يجوز الاستغناء عنها من حيث المعنى، كما أنه ليس المقصود بها أنها يجوز حذفها متى شئنا، فإن الفضلة قد يتوقف عليها معنى الكلام .....، فليس معنى الفضلة إذن إمكان الاستغناء عنها متى شئنا، وإنما المقصود ب(الفضلة) أنه يمكن أن يتألف كلام بدونها، اذ كل كلام لابد أن يكون فيه عمدة مذكورة أو مقدرة. بخلاف الفضلة فإنَّه يمكن أن يتألف الكلام بدونها))[3]. وهذا يعني أن هذه القيود لا يمكن الاستغناء عنها في بنية السطح الصياغية لتوقف المعنى العميق عليها فهي تتساوى ((مع العمدة في أداء المهمة الدلالية))[4] فالقيد اذن هو كل ما يدخل على الجملة فيؤثر في معناها سواء أكان التأثير نحوياً ام معنوياً[5].

أما البلاغيون فقد وقفوا طويلا في مباحثهم عند مفهوم (القيد والمقّيد) فعبد القاهر الجرجاني يرى فيه بأنه ما حصر معناه ((بشيء يخصصه ويجعله في حكم نوع برأسهِ))[6] كما نجد السكاكي يقف عنده وقفة تفصيل مشيراً إلى قيمته الدلالية في السياق والمتمثلة بـ (تربية الفائدة) ومعدداً وجوه التقييد كالمصدر وظرفي الزمان والمكان والمفعول به والمفعول لأجله والتمييز وغيرها[7]. وكلما ازدادت المقيدات في الجملة ازداد معناها وضوحاً ((لما هو معروف من أنَّ الحكم كلما كثرت قيوده ازداد ايضاحاً وتخصيصاً فتكون فائدته أتم وأكمل))[8].

لقد جاءت سياقات الخطاب العلوي في الأغلب الأعم مقيدة، والسبب في ذلك يعود ــ فيما يبدو لي ــ إلى أمرين:

أحدهما: كي يتلاءم وحال المتحدث أولاً وهو الإمام 8، ونفسية المخاطب ثانيا، ومقتضى الحال ثالثاً.

والآخر: شاع في الخطاب العلوي أسلوبان: أسلوب الوعظ والارشاد، وأسلوب المحاججة وهما أحوج ما يكونا إلى هذه القيود لغرض اقناع المتلقي من جهة والتأثير فيه من جهة

---

1 - شرح عمدة الحافظ: 417.
2 - ينظر شرح ابن عقيل: 1 / 492، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم: ق3 جـ3: 4.
3 - معاني النحو: 1: 14، وينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها: 6-7 كما ينظر التفصيل في هذا الموضوع المسائل الخلافية في الفضلات من منصوبات الأسماء: 10-12.
4 - البلاغة العربية - قراءة أخرى -: 244.
5 - ينظر: اسناد الفعل - دراسة في النحو العربي- : 121.
6 - دلائل الإعجاز: 207.
7 - ينظر: مفتاح العلوم: 309، وينظر: شروح التلخيص: 2/ 32 ، البلاغة فنونها وأفنانها: 335-356.
8 - جواهر البلاغة:157.

أخرى. وسأركز في هذا الفصل على أبرز هذه القيود موضحاً أثرها في ابراز المعنى واثراء الدلالة في الخطاب العلوي وهي على النحو الاتي.

التقييد بـ (النواسخ)

و ((النواسخ جمع ناسخ، وهو في اللغة من النسخ بمعنى الإزالة يقال: نسخت الشمس الظل إذا أزالته، وهو في الإصطلاح: ما يرفع حكم المبتدأ والخبر))[1]. وسنقتصر في دراستنا لبنية التقييد بالنواسخ على نمطين هما:(إنَّ وأخواتها) و(كان وأخواتها)، لأنَّهما الأكثر استعمالاً في الكلام عامة وكلام الإمام بخاصة فضلاً عن خشية تضخم الفصل.

التقييد بـ (إنَّ وأخواتها)

التقييد بـ (إنَّ، أنَّ)

يؤتى بهما لتوكيد النسبة في الجمل ونفي الشك عنها[2]. فـ((أما فائدتهما فالتأكيد لمضمون الجملة))[3]، وانما يؤكد المتكلم جملته بهما عندما يشعر بشك المتلقي في الأمر الملقى إليه يقول السكاكي: ((وإذا ألقاها إلى طالب لها متحير طرفاها عنده دون الاستناد فهو منه بين بين لينقذه عن ورطة الحيرة، استحسن تقوية المنقذ بإدخال (اللام) في الجملة أو (إنَّ)))[4] وتعد (إنَّ وأنَّ) من أكثر الأدوات استعمالاً للتوكيد في سياقات الخطاب العلوي، ومن أبرز شواهد ذلك قوله 8: (وإنَّه لَا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ وإنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عَشِيرَتِهِ وَدِفَاعِهِم عَنْهُ بِأَيْدِيهِم وأَلسِنَتِهِم)[5] نرى أن سياق الكلام في هذا النص قد جاء مقيداً بـ (إن)؛ وذلك لغرض رفع أمارات الشك والتردد من ذهن المخاطب ففي القيد توكيد للمتلقي على أهمية العشيرة، وأنه لا غنى لكل واحد عن عشيرته مهما أوتي من مال أو جاه. فأفاد التقييد تثبيت الكلام وتأكيده والعمل على إزالة التوهم والشك عنه. ومنه كذلك قوله 8: (وإنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي)[6] نجد الإمام 8 في هذا الخطاب قد قيد الخبر بـ (إنَّ + لام الابتداء الداخلة على الخبر) ليرفع بذلك انكار المنكرين له الشاكين فيه، ولولا القيد لما تحقق هذا المعنى. ومن شواهد التقييد بـ (أَنَّ) في الخطاب العلوي ما جاء في قوله

---

1 - شرح قطر الندى: 127.
2 - ينظر: المصدر نفسه: 148.
3 - شرح المفصل: 554/8.
4 - مفتاح العلوم: 258.
5 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 1/ 286.
6 - المصدر نفسه : 1/ 279.وينظر أيضا: 1 / 279، 2 / 147: 7/ 86، 234، 8 /5، 9/ 117، 225، 10/ 11، 54.

8:(وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُم عَلَى الصِّرَاطِ وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ، وأَهَاوِيلِ زَلَلِهِ، وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ)[1] فقد أثرى القيد (أنَّ) دلالة السياق التوكيدي في النص تقوية لمضمونه عن طريق ازالة علامات الشك والتوهم من نفس المخاطب والتأكيد على أن الخبر واقع لا محالة. وقد يؤتى بالقيد (إن) ليفيد دلالة التعليل مع ما يفيده من معنى التأكيد ومن أمثلة ذلك قوله 8: (جَانِبُوا الكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلإِيمَانِ)[2] وقوله 8: (واذْكُرْ قَبْرَكَ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ)[3] نجد الامام 8 في القول الأول قد أمر بمجانبة الكذب ثم أردف الامر بعلة ما تطلعت نفوس متلقيه إلى معرفته مؤكداً تعليله بـ (إنَّ) ليكون ذلك أدعى لقبول أمره، وكذا الحال في القول الآخر إذ نراه يأمر مخاطبيه بذكر القبر ثم يذكر بعده علة ذلك وهي أنه الطريق الموصل إلى عالم الاخرة مؤكداً ذلك بـ (إنَّ).

التقيد بـ (كأنَّ)

يؤتى بالقيد (كأنَّ) لافادة معنى التشبيه[4]. ويرى ابن جني (ت 392هـ) أنها للتشبيه المؤكد[5]. قال 8 في خطبة له خطبها لاستنفار الناس إلى اهل الشام: (إِذَا دَعَوْتُكُم إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُم دَارَتْ أَعْيُنُكُم، كَأَنَّكُم مِنَ المَوْتِ فِي غَمْرَةٍ، وَمِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ يُرْتَجُ عَلَيْكُم جِوَارِي فتعمهون فَكَأَنَّ قُلُوبَكُم مَأْلُوسَةٌ[6] ، فَأَنْتُم لاَ تَعْقِلُونَ)[7].

لقد ورد في هذا النص تشبيهان تصدر التركيب اللغوي لكل منهما القيد (كأنَّ)؛ لافادته دلالة التشبيه المؤكد، إذ شبّه في احدهما كراهتهم للحرب وتلبية نداء الجهاد بكراهتهم للموت اذا نزل بهم؛ لضعف ايمانهم بأهمية الجهاد وهيبته. أمَّا التشبيه الآخر فقد جاء ليصور حالهم عند دعوتهم للجهاد؛ اذ كلما دعاهم الإمام للجهاد وخاطبهم به تحيرت عقولهم واختلطت عليهم، فلم يفقهوا شيئاً وكأنَّها قد مسَّها طائف من الشّيطَان، ولم يكن التشبيه بـ (كأنَّ) الوحيد الذي رسم الصورة إنَّما الوصف في قوله: (دارت اعينكم) المقتبس من القرآن الكريم في وصف المنافقين؛ إذ يقول جلَّ وعلا: ﴿ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ

1 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد : 6/ 207. ينظر أيضا: 6/ 274، 275، 10/ 16، 18، 11/ 7.
2 - المصدر نفسه : 6/ 275.
3 - المصدر نفسه : 9/ 122. ينظر: 6/ 274، 275، 9/ 155، 220، 250.
4 - ينظر: الكتاب: 3/ 151، المقتصد: 1/ 445 ، المقرب: 117 ، الجنى الداني: 521.
5- ينظر: الخصائص: 1/ 318.
6 - الأَلسُ ذَهَابُ العقل وتذهيله ..... وأَلِسَ الرجل فهو مألوس أي مجنون ذهب عقله. لسان العرب: مادة (ألس): 1/ 179.
7 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: 2/ 151. وينظر أيضاً: 1/193، 6/ 207، 297، 320، 7/ 55، 59، 63، 9/ 82، 205، 233، 11/ 188، 13/ 75.

رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾[1] زيادة في بيان الهلع الذي يعيشه المخاطب فكأنه في سكرات الموت التي تتضح في حركة العين غالباً. ثم نراه يختم التشبيهين بقوله: (لا تعقلون) أي أنكم بفعلكم هذا لا تعرفون ولا تميزون بين ما ينفعكم وما يضركم كما لا تميزون بين من يريد الكرامة والصلاح لكم ومن يريد الذل والهوان لكم كل ذلك في معرض التوبيخ والتقريع لهم.

التقييد بـ (لكنّ)

وهي حرف يدل على معنى الاستدراك؛ ولذلك فإنَّها لا تقع إلا بين كلامين متغايرين في النفي والايجاب[2]وقيل: أنها للتأكيد [3].

من ذلك قوله 8: (فَلَوْ رَخَّصَ اللهُ فِي الكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِم التَّكَابُرَ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ)[4] أراد الإمام 8 في هذا النص أن يبين للمخاطبين في سياق شرطي أن لو كان في التكبر رخصة لجعلها خالصة لأنبيائه فهم أولى بها من غيرهم، فهم خواصُّه واحباؤه وأهل طاعته[5]. ثم نراه يردف ذلك بنتيجة تمثلت في قوله: ((ولكنّه سُبْحَانَه كرَّه .....)) مؤكداً إيّاها بالقيد (لكنَّ) تثبيتاً وتأكيداً لمضمون القول الشرطي فلولا القيد لما تحقق هذا المعنى في النص. كما أسهم في بيان المعنى دالة التضاد في النص (كره × رضي)، (التكابر× التواضع) فضلاً عن النغم الموسيقي المنبعث من السجع المتوازي في نهايتي الفقرتين (التكابر ــ التواضع).

التقييد بـ (لعلّ)

يؤتى بالقيد (لعلّ) للدلالة على الترجي والإشفاق[6]. من ذلك قوله 8 لما بويع على الخلافة بعد قتل عثمان: (وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ)[7] نرى في هذا النص تقييداً بـ (لعلّ) وفي هذا القيد دلالة على الترجي؛ وإنّما قُيِّد الخبر بلفظ الترجي لعلمه 8 بوجوب طاعة الإمام، فيكون ذلك أدعى لجذب نفوس المخاطبين. يقول البحراني: ((وإنما قال (لعلّي) لأنَّه على تقدير أن يولّوا أحداً يخالف أمر الله لا يكون أطوعهم له بل

1 - الأحزاب/ 19
2 - ينظر: الكتاب: 1/ 435، الجنى الداني: 555 ، الاتقان: 172/1.
3 - ينظر: المقرب: 117.
4 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 13/ 114- 115. وينظر: 11/ 32، 68، 20/13، 100، 117، 119.
5 - ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: 4/ 317.
6 - ينظر: الكتاب: 2/ 148 ، الخصائص: 1 /316، شرح ابن عقيل: 1/ 318، الجنى الداني: 527.
7 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: 7/ 27.

أعصاهم واحتمال توليتهم لمن هو كذلك قائم فاحتمال طاعته وعدم طاعته له قائم فحسن ايراد لعلّ))[1] ومنه كذلك قوله 8: (وَلَعلَّ اللهُ أنْ يُصْلِحَ فِي هَذِهِ الهُدْنَةِ أمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ)[2] نجد الامام في هذا النص قد قيد الخبر بالقيد (لعلَّ) للدلالة على معنى الترجي، وإنَّما أتى بلفظ الترجي قيداً ليبدّد حالة الخوف التي قد تعتري نفوس المخاطبين تجاه هذه الهدنة ليكون ذلك جاذباً لهم لقبولها والالتزام بها، وهي هنا ترجي في المحبوب.

1 - شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: 2/ 513- 514.
2 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: 8/ 83.

التقييد بـ (كان وأخواتها)

وتعمل كان وأخواتها على تقييد الخبر في الجملة بحسب ما تفيده من دلالات فالمقيد في قولنا: كان الجو صحوا هو الخبر (صحواً) على حين جاءت (كان) قيداً له. وهو ما أشار اليه الطيبي(ت743هـ)بقوله: ((وأماخبر كان فليس بقيد، بل القيد نفس كان))[1] وقد جاء حضورها في الخطاب العلوي قليلاً قياساً بحضور (إنَّ وأخواتها).

التقييد بـ (كان)

فقد حقق تقييدها للخبر في سياقات الخطاب العلوي دلالات منها:

الدلالة على حصول الحدث في الماضي المنقطع

من أمثلة ذلك قوله 8 في معنى الحكمين: (وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهمَا، وَالإِعْوِجَاجُ دَأْبُهُمَا)[2] وهذا النص جزء من خطاب له جاء موجها لمن أنكر عليه قبوله التحكيم، فقد قيّد الإمام 8 الخبر (هواهما) و(دأبهما) للزمن الماضي المنقطع الذي أفاده القيد (كان) للدلالة على حدوث الامر في الزمن الماضي، ولولا القيد لما عرف المتلقي أنَّ هذا الأمر قد حصل في الزمن الماضي، فضلاً عما أفاده من دلالة الذّمّ والتوبيخ لهما لتركهما الحقّ مع معرفتهما له، وابتعادهما عن العدل بسبب الهوى.

ومنه كذلك قوله 8 في مقام الترغيب في الصلاة والحث عليها: (وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وآله نَصِباً بالصَّلاةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ)[3] فقد وظّف الإمام 8 (كان) دلالياً على أمر قد مضى ثم انقطع.

1 - التبيان في البيان: 78.
2 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: 10/ 45.
3 - المصدر نفسه: 10/ 158. وينظر أيضاً: 2/ 139، 147، 224، 3/ 262، 5/ 124، 7/ 35.

الدلالة على حصول الحدث مرة واحدة

وقد تأتي (كان) قيداً للدلالة على وقوع الحدث مرة واحدة، وذلك فيما إذا جاء خبرها فعلاً ماضياً[1]. من ذلك قوله 8: (وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُم عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ، فَأَبَيْتُم عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمُنَابِذِينَ)[2] فقد جاء الخطاب العلوي بـ (كان) قيداً للخبر الجملة الفعلية الماضية(نهيتكم) للدلالة على انقطاع حدث (النهي) وأن الخبر قد وقع مرة واحدة ولعلّه استعمل هنا ما يدل على المضي ليؤكد زمن ذلك النهي وأنَّه قد وقع منه مسبقاً، وهي بذلك تفيد معنى التأكيد والاهتمام بالحدث ففي القيد ((تقرير للحجّة عليهم))[3].

الدلالة على استمرارية الحدث في الزمن الماضي

وتتحقق هذه الدلالة فيما إذا جيء بخبرها فعلاً مضارعاً؛ إذ ((قد يأتي بناء (يفعل) ونحوه مسبوقاً بـ (كان) للدلالة على أنَّ الحدث كان مستمراً في زمن ماض، ومجيء (كان) إلى جوار الفعل يؤلف مركباً يؤدي هذه الفائدة))[4] ومن ذلك قوله 8: (وَكَانَتْ أُمُورُ اللهِ عَلَيْكُم تَرِدُ، وَعَنْكُم تَصْدُرُ، وَإِلَيْكُم تَرْجِعُ فَمَكَّنْتُمُ الظَّالِمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُم، وَأَلْقَيْتُم إِلَيْهِم أَزِمَّتَكُم، وَأَسْلَمْتُم أُمُورَ اللهِ فِي أَيْدِيهِم)[5] نرى الامام في هذا المقطع قد قيد الخبر المتمثل في الافعال (ترد، تصدر، ترجع) بالقيد (كان) لدلالة على التذكير والتنبيه لبعض أصحابه على منزلتهم ومكانتهم، فهم قد حملوا أمور الدين وفهموها لأخذهم إيّاها من الرسول الأعظم (9) فأفاد بذلك دلالة استمرارية الحدث في الزمن الماضي متمثلة برجوع الناس إليهم في أمور دينهم. كما نلحظ في هذا الخطاب دلالة أخرى هي التبكيت والتوبيخ، وذلك من خلال إنزال العالم بالشيء منزلة الجاهل به، وكأنَّ الإمام أراد أن يقول لهم: إنَّكم أصحاب الحقّ ومع ذلك مكّنتم أهل الظلم منكم ومن رقاب المسلمين لضعفكم وتوانيكم عن جهادهم.

ومنه كذلك قوله 8 في النبي الأكرم محمد (9): (وَلَقَدْ كَانَ صلّى الله عليه وآله وسلّم يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ)[6] ففي التقييد بـ (كان) دلالة الاعتياد والاستمرارية في الزمن الماضي، بمعنى أنَّه (9) كان

1 - ينظر: شرح الكافية: 2/ 173.
2 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 2/ 210. وينظر أيضاً: 2/ 163، 10/ 49.
3 - شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: 2/ 127.
4 - الفعل زمانه وأبنيته: 33.
5 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: 7/ 138.
6 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 9/ 178. ينظر أيضا: 2/ 61، 9/ 176، 10/ 5.

معتاداً على هذه الاعمال لم يمنعه من القيام بها شيء، ففي القيد حث ((على التأسي به بكون المتأسي به المقتص لاثره أحب العباد إلى الله))[1] وكأنَّ هذا القيد هيأ لتفصيل القول فيما أراد الإمام ذكره من عادات الرسول الكريم (9).

التقييد بـ (صار)

وهي تفيد دلالة الانتقال والتحول[2]. من ذلك قوله 8: (وَصَارَتْ الأَجْسَادُ شَجِبَةً بَعْدَ بضَّتِهَا، والعِظَامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا، والأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أعبَائِهَا، مُوقِنَةً بِغَيْبِ أنبَائِهَا، لاَ تُسْتَزَادُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا، وَلاَ تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِء زَلَلِهَا)[3] يعكس هذا النص حال الميت وما آل إليه وهو رهين قبره وحيداً قد غادره الاحبة والأقرباء؛ لذا نرى الخطاب العلوي يوظف القيد (صار) للدلالة على الصيرورة والتحول والانتقال من حال إلى حال. فبعد النشاط والنضارة والقوة التي كانت عليها هذه الاجسام، باتت هزيلة نحلة وعظامها بالية لا تقوى على شيء كما باتت أرواحها حبيسة ذنوبها خائفة من ثقل أعمالها. وهو ما أسهم في ابراز دالة التضاد في بنية التركيب والمتمثلة في ما صورته حالة الانتقال والتحول من حال إلى أخرى.

ومنه كذلك قوله 8 في صفات المتقين: (فَخَرَجَ مِنْ صِغَةِ العَمَى وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الهَوَى وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الهُدَى وَمَغَالِيقِ أبواب الرَّدَى)[4] فالمؤمن العارف بالله متى ما تمكّن من جمح شهوات نفسه وتخلى عن همومه الدنيوية، استطاع حينئذ التحرر من ربق العمى ومشاركة أهل الهوى، فصار عند ذاك من مفاتيح الهوى ومغاليق الردى. فعملية التحول والانتقال من الحال التي كان عليها إلى حالته الجديدة قد عمل على تصويرها في النص القيد (صار) الدال على الصيرورة كما نلمح في النص حضور الجانب الصوتي بين الفقرتين عن طريق التوازن الصوتي (مفاتيح ـ مغاليق) (أبواب ــ أبواب)، (الهدى ــ الردى) فضلاً عن امتزاجه بالطباق المتمثل في (مفاتيح× مغاليق) و(الهدى× الردى) وهو ما أسهم في ترسيخ دلالة التحول والانتقال في نفوس المخاطبين.

التقييد بـ (ظلّ، بات، أصبح)

وهذه النواسخ تأتي لتفيد الدلالة على الأوقات الخاصة بها فـ (ظلَّ) تفيد وصف المخبر عنه نهاراً، و(بات) تفيد وصف المخبر عنه ليلاً[5]. وقد وظفهما الخطاب

1 - شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: 3/ 357.
2 - ينظر: المقتصد: 1/ 399.
3 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 6/ 205.
4 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : 6/ 282. وينظر أيضا: 6/ 318، 8/ 206، 7/ 93، 192، 13/ 84، 135.
5 - ينظر: شرح ابن عقيل: 1/ 249.

العلوي معاَ في قوله 8 في من جاءه الموت: (دَهَمَتْهُ فَجَعَاتُ الهَيَّة فِي غُبَّرِ[1] جِمَاحِهِ، وَسَنَنِ جِرَاحِهِ[2]، فَظَلَّ سَادِراً[3]، وَبَاتَ سَاهِراً فِي غَمَرَاتِ الآلاَمِ، وَطَوَارِقِ الأَوجَاعِ والأَسْقَامِ)[4] يصوّر لنا هذا النص حال المرء عند قبض روحه فهو حائر تأنه بين أهله وأحبته لا يملك القدرة على الحركة، ولا يستطيع الكلام، وإن تكلم فكلامه غير متثبت وغير مسموع، وهذا شأنه نهاراَ، فإذا نزل في حفرته بات من ليلته تلك ساهراً قد ألمت به الآلام والأوجاع.

ومن استعمال (بات) ما جاء في وصف أصحاب رسول الله (9) في مقام المدح والتعظيم لهم يقول 8: (لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً وَقَدْ بَاتُوا سُجّداً وَقِيَاماً)[5] فهم قد هجروا مضاجعهم ليلاَ. وقد تخرج (ظل) عن معناها الاصلي الموضوع لها من زمن معين (النهار) إلى دلالة أخرى وهي دلالة الاستمرارية. كما في قوله 8: (وَلَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَ آدمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ، وَيَبْهَرُ العُقُولَ رُوَاؤُهُ، وَطِيب يأْخُذُ الأَنْفَاسَ عَرْفُهُ، لَفَعَلَ وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّت لَهُ الأَعْنَاقُ خَاضِعَةً)[6] فقد أفاد القيد (ظلَّ) دلالة الاستمرارية، إذ لو فعل جل وعلا ذلك لكان خضوع الأعناق لآدم (8) غير مختص بالنهار حسب، بل هو مستمر ليلاَ ونهاراَ.

كما نجد أن الخطاب العلوي قد قيّد الخبر بالقيد (أصبح) الدال على اتصاف الخبر في وقت الصباح كما في قوله 8 في معرض التظلم والشكاية: (وَلَقَدْ أَصْبَحَتْ الأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي)[7] فقد أفاد القيد (أصبح) هنا اتصاف الخبر وهو (الخوف) في وقت الصباح فضلاً عما أحدثه الجناس الاشتقاقي في (رعاتها ـ رعيتي) من أثر في بيان اختلاف الخوف واختلاف الحالين نتيجة اختلاف نوعية الناس، فأسهم كل من القيد والجناس الاشتقاقي في إثراء دلالة التظلم والشكاية في النص.

ومثله أيضاَ قوله 8: (لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً، فَأَصْبَحْتُ اليَوْمَ مَأْمُوراً، وَكُنْتُ أمسِ نَاهِياً، فَأَصْبَحْتُ اليَوْمَ مَنْهِيّاً)[8] نلحظ في هذين النصين أن التقييد جاء بـ (أصبح) وفي هذا القيد دلالة على أن الامور قد

---

1 - غَبَر الشّيء يَغبُرُ أي بقي .. وغُبْرُ كُلِّ شيء: بقيته والجمع أغبار وهو الغُبَّر أيضاً. لسان العرب مادة (غبر): 10/ 7.

2 - المرح: شدة الفرح والنشاط حتى يجاوز قدره...والاسم: المراح بكسر الميم. لسان العرب مادة (مرح): 67/13.

3 - السادر: المتحيّر. لسان العرب مادة (سدر): 6/ 213.

4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 6/ 212.

5 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : 7/ 59.

6 - المصدر نفسه: 13/ 100.

7 - المصدر نفسه: 7/ 54.

8 - المصدر نفسه: 11/ 25.

تغيرت وانقلبت على الامام 8. وقد عمل على ايضاح هذا المعنى وإثرائه التضاد الذي قامت عليه بنية النص.

وقد يأتي القيد (أصبح) في الخطاب العلوي دالاً على معنى الصيرورة والانتقال كما في قوله 8: (أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُم قُبُوراً، وَمَا جَمَعُوا بُوراً)[1] أي: صارت وقد يأتي القيد (أصبح) دالاً بالإضافة إلى اتصافه بوقت الصباح على معنى الصيرورة وهو ما نراه في قوله 8 في طلحة: (وَلَقَد أَصْبَحَ أبو مُحَمّد فِي هَذَا المَكَانِ غَرِيباً)[2] فالامام في هذا الخطاب قد قيد الخبر (غريباً) بالقيد(أصبح) للدلالة على اتصافه بوقت الصباح فضلاً عما يحمله من معنى الصيرورة ؛ إذ يشير إلى أنه صار وحيداً تحت بطون الكواكب.

التقييد بـ (ما زال، ما برح)

يؤتى بهما قيداً للخبر للدلالة على معنى الاستمرار[3]. كما في قوله 8: (فَهُوَ اللهُ هَازِلْتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي مُسْتَأثِراً عَلَيَّ)[4] نرى أنّ الخبر في هذا النص قد جاء مقيداً بـ (ما زال) للدلالة على استمرار دفعه عليه السلام عن حقّه الشرعي والاستئثار عليه مؤكداً ذلك بالقسم البار (فوالله) كي يقطع بذلك سبيل الشك والتردد من نفوس المخاطبين. ومن التقييد بـ (ما برح) قوله 8 في التقوى: (لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الأُمَمِ الْمَاضِينَ مِنْكُم، وَالْغَابِرِينَ لِحَاجَتِهِم إِلَيْهَا غَداً)[5] نلحظ في هذا المقطع أنَّ الخبر (عارضة) قد جاء مقيداً بالقيد (لم تبرح) لدلالة على أنَّ التقوى لم تزل تعرض نفسها على الناس، ومما يلفت الانتباه في هذا النص أتشاحه بالتشخيص الذي أضفى عليها الحياة والحركة والحيوية فجعلها متحركة ناطقة؛ إذ يشبه التقوى بالمرأة التي تعرض نفسها للزواج بجامع الانتفاع، ثم نراه يبيّن علة ذلك باحتياج الناس إليها يوم القيامة؛ وذلك في مقام ترغيب المخاطبين في الاقبال عليها[6].

ومنه كذلك قوله 8: (الحَمْدُ للهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلاَ مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَلاَ مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ، وَلاَ مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ، الذِي لاَ تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ، وَلاَ تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ)[7] فقد قيد الخبر بالقيد(لا تبرح)

1 - المصدر نفسه: 8/ 206.
2 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : 11/ 94.
3 - ينظر: المقتصد: 1/ 399، شرح الكافية: 4/ 179.
4 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 1/ 212. ينظر أيضاً: 1/ 199، 9/ 213، 11/ 135، 13/ 75.
5 - المصدر نفسه: 13/ 88.
6 - ينظر: المصدر نفسه: 13/ 91، وشرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: 4/ 257.
7 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 3/ 119.

للدلالة على استمرار الرحمة منه جل ثناؤه تنبيهاً على وجوب شكره تعالى، ويلحظ في هذا النص حضور الجانب الصوتي متمثلاً بالسجع المتوازي الذي أظهرته لفظتا (رحمة / نعمة) مما أدى إلى خلق نغم ايقاعي جميل.

التقيد بـ (ما دام)

فما مع (دام) بمنزلة المصدر على معنى الزمان..... ولا يجيء إلاَّ متعلقاً بشيء كقولك:(أجلس مادام زيدٌ جالساً) ولا تقول: (ما دام زيدٌ جالساً) من غير شيء))[1] ويؤتى بها للدلالة على معنى الاستمرار[2].

ومن شوهدها في الخطاب العلوي قوله 8: (وَلَبْسَ لِوَاضِعِ المَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ مِنَ الحَظِّ فِيما أَتَى إِلاَّ مَحْمَدَةُ اللِّئَامِ، وَثَنَاءُ الأَشْرَارِ، وَمَقَالَةُ الجُهَّالِ مَادَامَ مُنْعِماً عَلَيْهِم)[3] وهذا الكلام في وصف من يصنع المعروف ويضعه في غير مكانه المناسب وعند غير أهله ممن يستحقه، منبهاً إلى أنّ القائم بهذا الصنيع إنما يحظى بمدح واطراء وثناء من ينعم عليهم طالما كان مستمراً في اغداق نعمه عليهم وهو ما حققه في السياق القيد (ما دام).

يقول البحراني: ((إنّما قُيِّد بهذا القيد؛ لأنَّ الجاهل قد يعتقد أنَّ ما يسدى إليه حقٌّ له، فربما دام حمده بدوام ذلك الإنعام، لكن ينقطع بانقطاعه، وأمَّا الجاهل الشرير فكثيراً ما يعتقد أنَّه إنَّما يسدى إليه لشره وخوف أذاه فربما يشكر المنعم ما دام منعما حتى إذا انقطع إنعامه جعل شره عوض شكره استجلابا لذلك الانعام المنقطع واستعادة له))[4] ويبدو لي أنَّ الهدف من التقييد بـ (كان وأخواتها) هو رغبة الامام 8 في التأثير في نفوس المخاطبين محاولاً اقناعهم بما يطرحه من آراء وأفكار يضمنها سياقات خطابه لهم. فضلاً عما يكون لنصوصه من قوة تعبير من خلال تراكيبه الآسرة وما يتحقق لها من عمق المعنى وما كان ليتحقق ذلك لولا هذا التنويع في استعمال مثل هذه القيود حسب الأفكار المطروحة.

1 - المقتصد: 1/ 400.
2 - ينظر: شرح ابن عقيل: 1/ 249.
3 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: 9/ 59.
4 - شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: 3/ 230.

التقييد بـ (النفي)

يعد النفي من الأساليب النحوية التي حظيت باهتمام الدارسين وعنايتهم قديماً وحديثاً، فهو ((أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول، وهو أسلوب نقض وإنكار لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب))[1] كما عُرِّف بأنَّه ((باب من أبواب المعنى يهدف به المتكلم إخراج الحكم في تركيب لغوي مثبت إلى ضده، وتحويل معنى ذهني فيه الايجاب والقبول إلى حكم يخالفه إلى نقيضه وذلك بصيغة تحتوي على عنصر يفيد ذلك))[2] فالنفي ــ على وفق ذلك ــ يدخل على الجملة المثبتة فيعمل على سلب حكم نسبتها من خلال نفي ثبوت مضمونها، ويتحقق هذا المعنى فيها ((حين تكون مصدرة بأداة نفي))[3] وقد ورد التقييد بالنفي في سياقات الخطاب العلوي بوساطة أدوات النفي المختلفة ؛ إذ لم يقتصر على أداة بعينها مفيداً ما تؤديه كل أداة من دلالة تثري السياق.

النفي بـ (لا) النافية[4]

وقد جاءت (لا) في سياقات الخطاب العلوي، من ذلك قوله 8 في الجَنَّة: (وَخَلَّدَهُم فِي دَارِهِ حَيْثُ لاَ يَظْعَنُ النُّزَّالُ، وَلاَ تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الحَالُ وَلاَ تَنُوبُهُمُ الأَفْزَاعُ، وَلاَ تَنَالُهُمُ الأَسْقَامُ، وَلاَ تَعْرِضُ لَهُمُ الأَخْطَارُ، وَلاَ تَشْخَصُهُمُ الأَسْفَارُ)[5] يصف الإمام 8 في هذا النص ثواب أولئك الذين أطاعوا الله تبارك وتعالى وأخلصوا له النيّة والعمل. فكان جزاؤهم أن أدخلهم دار الخلود والنعيم(الجنة) وهي دار لا هموم فيها ولا أسقام ولا خوف ولا موت ولا فراق بل نعيم دائم، وهو ما أفاده التقييد بـ (لا) النافية الداخلة على الأفعال المضارعة (يظعن، تتغير، تنوب، تنال، تعرض، تشخص) كما أسهم أسلوب النفي هنا في إثراء دلالة الترغيب بإثارته متضادات هذه الأفعال في ذهن المتلقي فكان لهذا النفي فضل في تمكين المتكلم من تفصيل المعنى وبناء الكلام بناءً ايقاعياً متوازناً أكسب النص وضوحاً وتأثيراً.

ومن أمثلة ذلك ما قاله 8 في خطبة خطبها في أصحابه يذكرهم فيها بالله جلَّ وعلا ويُحذّرهم عذابه كما أشار فيها إلى الملائكة فقال عنهم: (وَكُلَّ بِذَلِكَ حَفَظَةً كِرَاماً، لاَ يُسْقِطُونَ حَقّاً، وَلاَ يُثْبِتُونَ بَاطِلاً)[6] فقد وصف الامام 8 الحفظة (الملائكة) الذين وكلهم الله بحفظ ما يكون من عباده بصفات هي (لا يسقطون حقاً، ولا يثبتون باطلاً) ويلحظ فيها أنها أتت

1 - في النحو العربي- نقد وتوجيه: 246.
2 - في التحليل اللغوي- منهج وصفي تحليلي: 154.
3 - أساليب النفي في اللغة العربية: 15.
4 - ينظر: الكتاب: 3/ 117، علل النحو: 266، في النحو العربي نقد وتوجيه: 248 معاني النحو: 4: 175، التطور النحوي للغة العربية: 168.
5 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: 7/ 158.
6 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: 10/ 92.

مقيدة بقيد النفي (لا) والنفي فيها مطلق أي أنهم يثبتون كل صغيرة وكبيرة تصدر عن العباد، ولا يثبتون ما لا يصدر منهم. والمتأمل في النص يجد أنّ الذي أسهم في تأكيد هذه الدلالة هو ما فيه من تضاد من خلال دخول أداة النفي على فعلين متطابقين تكون من سياقهما جملتين متقابلتين، وما ذاك إلاّ لتأكيد طاعة هؤلاء الحفظة ربهم فهم ﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ ﴾[1] ومنه كذلك ما جاء في خطبة له في وصف المتقين بقوله: (وَلاَ يَبْغِ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ، وَلاَ يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ)[2] أدّت (لا) في هذا المقطع معنى النفي المطلق ؛ إذ نفت وقوع الظلم من المؤمن المتقي على من يبغض بشكل مطلق على الرغم من تمكنه من فعل ذلك لقيام الحجّة لديه وهي (البغض) كما سلبت عنه رذيلة الإثم باتباعه هوى نفسه فيمن يحب مع وجود السبب لذلك وهو (المحبة) كل ذلك جاء في مقام المدح والتعظيم له.

ومن شواهدها أيضاً قوله 8 في بيان صفات الله تعالى: (لاَ تَنَالُهُ الأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ، وَلاَ تَتَوَهَّمُهُ الفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ، وَلاَ تُدْرِكُهُ الحَوَاسُّ فَتَحِسَّهُ، وَلاَ تُلْمِسُهُ الأَيْدِي فَتَمَسَّهُ، وَلاَ تَتَغَيَّرُ بِحَالٍ، وَلاَ تَتَبَدَّلُ فِي الأَحْوَالِ، وَلاَ تُبْلِيهُ اللَّيَالِي وَالأَيَّامُ، وَلاَ يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلاَمُ)[3] أفاد القيد (لا) دلالة النفي المطلق من أن تناله هذه العقول القاصرةَ فتقدره أو أن تقف على كيفيته فتصوّره كما نفى إدراك الحواس له؛ لما في ذلك من التجزئة والتركيب وهي من خواص الأجسام والله ليس بجسم كما نفى عنه التغير والانتقال من حال إلى حال، ورد ذلك كلّه في سياق ابراز عظمته تبارك وتعالى.

النفي بـ (لا) النافية للجنس[4]

تعد (لا) النافية للجنس أو (لا) التبرئة[5] من أقسام (لا) النافية، وهي تفيد نفي الجنس بأكمله، إذ تدخل على المفرد ((لتنفي عنه كل ما يتبادر للذهن من معان توحي بها الكلمة))[6] ويلحظ في (لا) النافية للجنس أنها تأتي لنفي النكرات فأسمها لا يأتي إلاّ نكرة، وهو ما يجعل سياق النفي فيها أبلغ وأشمل من نفي المعرفة لما في ذلك من دلالة العموم والشمول.

---

1 - التحريم/ من الآية 6.
2 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 10 / 117.
3 - المصدر نفسه: 13 / 61، وينظر أيضاً: 1 / 106، 2 / 224، 5 / 5، 6 / 271، 289 - 290، 7 / 83، 178، 9 / 171، 183، 10 / 47، 69، 71، 11 / 109، 13 / 12، 35، 62.
4 - ينظر: الكتاب: 2/ 274، علل النحو: 266، المقتصد: 2/ 799، الجنى الداني: 290 شرح ابن عقيل: 1/ 360 .
5 - وهو مصطلح كوفي. ينظر: معاني القرآن (الفراء): 1/ 120، وينظر : شرح الكافية:53/2، مغني اللبيب:207/1
6 - قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: 279.

وقد جاءت (لا) نافية للجنس في سياقات الخطاب العلوي؛ إذ كثيراً ما يوظفها الإمام (8) لتنفي ما بعدها نفياً مطلقاً لا سيما في مقام الحديث عن تنزيه الله جلّت قدرته وتوحيده من ذلك قوله 8: (بَصِيرٌ إِذْ لاَ مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لاَ سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَلاَ يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ)[1] وردت (لا) نافية للجنس مرتين فقد أفادت في الأولى النفي المطلق من أن يراه أو يشاهده أحد من خلقه على حين أفادت في الأخرى نفي أن يكون له قرين يسكن إليه ويستأنس به ويستوحش لفقده اشارة منه إلى تفرده جلّ وعلا بالوحدانية ((لمّا كان الباري سبحانه منزهاً من الجسمية والمزاج وجب أن يكون منزّهاً عن الاستيناس والتوحش فهو المنفرد بالوحدانية المطلقة، لا بالقياس إلى شيء يعقل ذلك التفرد بالنسبة إليه))[2] فضلاً عن الايقاع الموسيقي للأثر الصوتي الآتي من الجملتين المفصلتين لصفتي الخالق سبحانه كُلُّ ذلك في معرض التنبيه على عظمة الله تعالى. ومنه كذلك قوله 8: (سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلاَ شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ، وَقَرُبَ فِي الدُّنُوِّ فَلاَ شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ)[3] فقد أفادت (لا) في القول الأول نفي أن يكون هناك من هو أعلى منه تأكيداً على تفرده في العلو المطلق والحال نفسها في القول الأخر؛ إذ نفت أن يكون هناك من هو أقرب منه فهو أقرب من كل قريب بقول البحراني: ((وإنما أورده بلفظ الدنو لتحصل المقابلة فتنزع النفوس السليمة عند إنكار الوهم لاجتماع القرب والعلو والدنو في شيء واحد إلى توهم المقاصد بها وتطلع على عظمة الحق سبحانه منها))[4] كما استعملت في الخطاب العلوي للدلالة على الذم والتوبيخ كما في قوله 8 : (يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلاَ رِجَالَ)[5] فقد أفادت (لا) نفي صفة الرجولة عنهم لانتفاء الصفات المتعلقة بها فيهم كالشجاعة والغيرة وغيرها.

وقد تأتي (إلاَّ) مع (لا) النافية للجنس في الخطاب العلوي فتفيد بذلك التأكيد والحصر كما في قوله 8 : (... ، وأَشْهَدُ أَن لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخْلاَصُهَا ، مُعْتَقَداً مُحَاصُهَا)[6] وهو من الأساليب البليغة في التأكيد ومنه كذلك قوله 8 في صفة الدنيا : (لاَ خَيْرَ فِي شَيءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلاَّ التَّقْوَى)[7] أفادت (لا) في هذا النص نفي عموم الخير عن كل ما

1 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: 1/ 96- 97.
2 - شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: 1/ 239.
3 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: 3/ 169. وينظر أيضاً: 6/ 320، 7/ 47، 52، 13/ 35، 56، 67.
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 2 / 179.
5 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2/ 62 . وينظر أمثله أخرى حول (لا) : 1 / 199، 268 ، 2 / 62، 250 ، 6/ 117.
6 - المصدر نفسه : 1 / 139 . وينظر أيضاً : 2/ 163، 6/ 269 ، 10/ 140.
7 - المصدر نفسه : 7 / 177.

هو موجود في هذه الدنيا لعدم استحصال الفائدة والمنفعة لفنائه مستثنياً من ذلك (التقوى) بـ (إلاَّ) فهي الطريق الوحيد الموصل إلى الله جلّ وعلا .

النفي بـ (ليس)[1]

وهي من أبرز أدوات النفي في الجملة الاسمية؛ إذ تتصدر التركيب الاسمي فتهيمن عليه وتعمل على نقله من معنى الإثبات إلى معنى النفي، وذلك عن طريق نفي أن يكون المخبر به (الخبر) هو عين المخبر عنه (المبتدأ) أو وصفا له في المعنى[2] .

وقد وردت في سياق الخطاب العلوي كما في قوله 8 في شأن القصاص يوم القيامة : (القِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ: لَيْسَ هُوَ جُرحاً بِالْمدى، وَلاَ ضَرْباً بِالسِّيَاطِ وَلَكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذَلِكَ مَعَهُ)[3] قيدت الجملة الأولى بـ (لَيْسَ) والأخرى بـ (لا) العاملة عمل (لَيْسَ) ليفيدا نفي أن تكون العقوبة أو القصاص في الآخرة مجرد جرح بسكين أو ضرب بسوط مؤكداً هذا المعنى بما جاء بعده من استدراك يتضمن تصغير شأن مثل هكذا عقوبات قبال العقوبة الكبرى (النار) بقوله : (ولكنّه ما يستصغر ذلك معه) فحققت بذلك دلالة التحذير من شدة القصاص في الآخرة.

ومن ذلك قوله 8:(الحَمْدُ للهِ الذِي لاَ يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ القَائِلُونَ ، وَلاَ يُحْصِي نَعْمَاءَهُ العَادُّونَ، وَلاَ يُؤَدِّي حَقَّهُ المُجْتَهِدُونَ الذِي لاَ يُدْرِكُهُ بُعْدُ الهِمَمِ، وَلاَ يَنَالُهُ غَوْصُ الفِطَنِ، الذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ)[4] نرى في هذا النص أنَّ الإمام قد قيد الجملة بـ (ليس) لينفي نفياً مطلقاً أن يكون لصفات الله تبارك وتعالى حَدٌّ تقف عنده عقول البشر تنزيهاً له وتعظيماً، ومما زاد في تأكيد المعنى مجيء المسند إليه المؤخر (حد) مقيداً كذلك ، إذ قُيِّد بالصفة (محدود) للمبالغة .

وقد تأتي أداة النفي (ليس) قيداً للجملة في الخطاب العلوي وقد دخلت (الباء) الزائدة في خبرها، لغرض تأكيد النفي[5]؛ وذلك لأن النفي بدخول الباء في الخبر آكد منه بدونها فهي تعطي ـــ بدخولها على الخبر ـــ معنى دلالياً آخر للجملة وهو (التأكيد) من ذلك قوله 8 من خطبة له في وصف المتقي (بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ ، وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ ، وَلاَ دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ)[6] يلحظ في هذا النص تقييد الجملة الأولى بـ (ليس) والأخرى بـ (لا) العاملة عمل (ليس) وقد جاء الخبر في كل منهما وهو (بكبر)، (بمكر) قد دخلت عليه (الباء) الزائدة؛ وذلك لتأكيد النفي ،

---

1 - ينظر: الكتاب :1 / 45 ، 146 ، 4/ 233، الجنى الداني : 493 ، شرح ابن عقيل : 1 / 249 ، في النحو العربي نقد وتوجيه : 257 ، معاني النحو :4/ 163 ، في التحليل اللغوي : 156.
2 - ينظر : قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم : 288.
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 10/ 28. وينظر أيضا : 1/ 223، 5 / 66، 7/ 35 - 36، 8 / 227، 9 / 26 ، 82 ، 194، 200، 10 / 97 ، 11/ 9، 49 ، 78.
4 - المصدر نفسه : 1 / 81 .
5 - ينظر : مغني اللبيب : 1 / 98.
6 - شرح نهج البلاغة، أبن أبي الحديد : 10 / 117.

فالإمام 8 ينفي أن يكون بُعْدُ المؤمن عن الناس عن تكبر وعظمة عليهم، كما نفى أن يكون قربه منهم عن مكر وخديعة وتزلفاً إليهم طمعاً فيما عندهم، في مقام المدح والتعظيم لشأنه فضلاً عما في ذلك من دلالة الترغيب في الاقتداء به .

ومن ذلك قوله 8 : (فَلَيْسَ أَحَدٌ – وإنْ اشتَدَّ عَلَى رِضَا اللهِ حِرْصُهُ وَطَالَ فِي العَمَلِ اجتِهَادُهُ – بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا اللهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ)[1] فقد دلَّت (لَيْسَ) المساقة قيداً في هذا النص النفي المطلق من أن يبلغ شخص ما ــ مهما أشتد حرصه وطال اجتهاده . ما الله أهل له . كما نلحظ دخول (الباء) الزائدة على الخبر (ببالغ) وذلك ((تأكيد لأمره بالمبالغة في طاعة الله))[2] فضلاً عما أفاده مجيء اسمها نكرة من دلالة العموم لابهامه .

ونظير ما فات قوله 8: (وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابتِدَاعِهِا بِأَعْجَبَ مِنْ إنْشَائِهَا واخْتِرَاعِهَا)[3] فقد أفاد القيد (ليس) المساق في النص العلوي نفي أن يكون انعدام الدنيا بعد إيجادها بأعجب من إنشائها وابتداعها؛ إذ ((ليس صيرورة ما خلق إلى العدم بقدرته بعد الوجود بأعجب من صيرورته إلى الوجود بعد العدم عنها ..... بل صيرورتها إلى الوجود المشتمل على أعاجيب الخلقة وأسرار الحكمة التي لا يهتدي لها ولا يقدر على شيء منها أعجب وأغرب من عدمها الذي لا كلفة فيه))[4].

النفي ب (مـا)[5]

تقسم (ما) النافية على قسمين: القسم الأول : الداخلة على الجملة ذات الإسناد الاسمي وهي على قسمين أيضاً : الأول : العاملة عمل ليس (الحجازية). والآخر : غير العاملة (التميمية) . فتفيد بذلك ما تفيده (ليس) وهو نفي أن يكون المسند (الخبر) هو عين المسند إليه (المبتدأ) أو وصفا لهُ.

من ذلك قوله 8 : (وَهَا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إبَاحَةِ حِمىً حَرَّمَهُ عَلَى العَالَمِينَ)[6] لقد جاء النص العلوي مقيداً بـ (ما) النافية العاملة عمل (ليس) . فلإمام 8 ينفي أن تكون هناك مصالحة أو هوادة بين الله جلّ وعلا وبين أحد من عباده فيجيز له بها أن يستبيح حكماً حرمه الله على سائر عباده. كما جاءت (ما) العاملة عمل (ليس) في الخطاب العلوي وقد دخلت (الباء) الزائدة على خبرها، وذلك لتأكيد النفي، من ذلك قوله 8 : (

1 - المصدر نفسه: 11/ 71.
2 - شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني : 4 / 55.
3 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 13 / 67 . وينظر أيضاً : 7 / 86 ، 10 / 138 ، 11/ 71 ، 78، 205.
4 - شرح نهج البلاغة، أبن ميثم البحراني: 4/ 206.
5 - ينظر: الكتاب : 1/ 57، 4 / 221 ، الجنى الداني: 322، شرح أبن عقيل : 1/ 279، معاني النحو :4/ 163.
6 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 13/ 100.

وَمَا أَسْمَاعُكُم الْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِكُم بِالأَمْسِ)[1] فقد نفى الإمام أن تكون أسماعهم اليوم وهم مجتمعون عنده دون أسماعهم يوم كان رسول الله (9)، فأراد بذلك أن يقول لهم : إن الذي احدثكم به وأسمعكم إياّه هو ذلك الكلام نفسه الذي أسمعكم إيّاه رسول الله (9).

القسم الآخر: (ما) النافية غير العاملة وهي التي تدخل على الجملة ذات الإسناد الفعلي فتفيد بذلك نفي نسبة الفعل إلى الفاعل وهذا النمط من (ما) هو الأكثر استعمالا في سياقات الخطاب العلوي. من ذلك قوله 8: (مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ)[2] فدلّت (ما) المساقة في النص العلوي مطلق النفي من أن يكون عليه السلام قد خالجه الشك في الحقّ مذ عرفه. وشبيه ما فات قوله 8 في طلحه والزبير: (وَاللهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً ، وَلاَ جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفاً)[3] فالنفي الذي افادته (ما) المساقة في هذا النص هو النفي المطلق من أن يكونوا قد أنكروا عليه فعلا منكراً قد صدر منه، ولا جعلوا بينهم وبينه نصفاً فيما طلبوا . كما يلحظ أن الدلالة قد عززت بالقسم (والله) فضلاً عما أفاده تكرار أداة النفي من تقوية النفي وتوكيده في السياق . ونظير ذلك ايضاً قوله 8 في بيان صفات الله تعالى : (مَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ)[4]

النفي بـ (لـم)[5]

فقد كثر التقييد بها في سياقات الخطاب العلوي للدلالة على النفي بشكل مطلق ، لا سيما في مواضع الحديث عن الله تعالى وصفاته أو عن صفات المؤمنين المتقين أو عن أشياء اتسمت بسمة الدوام.فمن الأول قوله 8(لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ، وَلاَ تَخَوُّف مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ)[6] فأفاد القيد (لم) المساق في النص دلالة النفي المطلق تنزيهاً لله تبارك وتعالى عن أن يكون قد خلق ما خلق لغرض معين. ومثله كذلك قوله 8 : (لَمْ يَتَكَاءَدْهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا

---

1 - المصدر نفسه : 300/6 . وينظر أيضاً: 2/ 151 ، 6/ 297 ، 300 ، 8/ 83 ، 10/ 27 ، 13 / 44.
2 - المصدر نفسه : 1 / 199.
3 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : 9 / 27.
4 - المصدر نفسه : 7/ 20. وينظر أيضاً:1 / 253، 279، 2/ 61، 90، 236، 3/ 262، 4/ 11، 6/ 300، 7 / 9،90،76 / 27، 13/ 123.
5 - ينظر: الكتاب: 3/ 8 ، 111 ، 4 / 220 ، المقتصد:2/ 1091، الجنى الداني: 266، شرح ابن عقيل: 335/2، معاني النحو: 4 / 8 ، 162.
6 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 5 / 124.

إِذْ صَنَعَهُ ، وَلَمْ يَؤُدْهُ مِنْهَا خَلْقُ مَا بَرَأَهُ وَخَلَقَهُ)[1] نلحظ في هذا النص تكرار القيد (لم) سعياً منه 8 لتقوية النفي وتوكيده في أذهان المخاطبين.

ومن الثاني قوله 8 في صفة المؤمن المتقي : (إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ ، وإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ)[2] جاءت الجملتان مقيدتان بقيد النفي (لم)؛ إذ نفى الإمام 8 في الأولى أن يكون قد أصابه الغم والحزن بسبب سكوته؛ وذلك لاستعماله إيّاه في موضعه المناسب له، ونفى عنه في الأخرى أن يكون من أهل القهقهة؛ لكثرة ذكره الموت وما بعده[3]. ويلحظ في هذا النص أنه قد جاء مقيداً بقيد آخر وهو أداة الشرط (إن) التي عملت على تقييد الزمن في السياق وتحويله إلى المستقبل. كل ذلك في معرض المدح والتعظيم لشأنه.
وشبيه ذلك أيضاً قوله 8: (فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْهُ)[4] ومن الثالث قوله 8 في وصف الملائكة : (لَمْ يَسْكُنُوا الأَصْلاَبَ وَلَمْ يُضَمُّوا الأَرْحَامَ وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، وَلَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ رَيْبُ المَنُونِ)[5] نفى القيد هنا أن تكون الملائكة قد تناكحوا وتناسلوا فيما بينهم كما نفى أن يكون الله جل وعلا قد خلقهم من ماء مهين لأنهم أجسام نورانية ، كما نفى ان تكون صروف الزمان قد فرّقتهم ، فهم أعرف خلقه به وأخوفهم له وأقربهم منه . ونظير ما فات قوله 8:(وَلَمْ تَبِغْ لِطُولِ انْتِجَاجَةٍ أَسْلاَتُ)[6](السَّنَتِهِمْ)[7]

النفي بـ (لـن)[8]

ويؤتى بها لنفي الفعل المضارع فهي حرف نفي ونصب واستقبال[9] كما أنَّها تفيد ــ بدخولها على الجملة الفعلية ــ معنى التأبيد وتأكيد النفي غير أن هناك من النحويين من رفض دلالتها على معنى التأبيد[10] . أي أنها تأتي لمجرد النفي. والحق أن المجال الوحيد الذي يحدد دلالتها ويوجه معناها هو السياق الذي ترد فيه. وقد جاءت (لن) في

1 - المصدر نفسه : 13 / 69 . وينظر أيضاً : 1 / 124 ، 5/ 124 ، 6 / 309 ، 320 ، 322 ، 7 / 20 ، 152 ، 9 / 140 ، 171 ، 194 ، 10 / 133 ، 11 / 182 ، 13 / 44.
2 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 10 / 117.
3 - ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 3 / 526 .
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 11 / 135 .
5 - المصدر نفسه : 7 / 157.
6 - وهي جمع أسله وهي طرف اللسان . لسان العرب مادة (أسل) : 1 : 144.
7 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:6 / 328 .وينظر أيضاً:6/327 ، 328، 329 ، 7/ 146 ، 9 / 136، 141، 10 / 69، 11/ 51.
8 - ينظر : الكتاب :1/ 135، 3/ 5 ، 4 / 220 ، المقتصد : 2 : 1049-1050 ، الجنى الداني : 270 شرح أبن عقيل : 2 : 314 ، معاني النحو : 4 : 163.
9 - ينظر : الكتاب : 1 : 135 - 136 ، 4 : 220.
10 - ينظر: شرح الكافية : 4 / 36 ، البرهان في علوم القرآن : 4 / 387.

سياقات الخطاب العلوي لتفيد دلالة توكيد النفي وتأبيده كما في قوله 8 في أهل البيت (β): (أنظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُم فَالْزَمُوا سَمْتَهُم ، واتَّبِعُوا أَثَرَهُم ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُم مِنْ هُدًى وَلَنْ يُعِيدُوكُم فِي رَدًى)[1] فالسياق الشريف نفى خروج من يتبعهم من الهدى ، كما نفى عودة من يتبعهم إلى الردى نفياً مؤبداً . ومثل ذلك قوله 8 في الحديث عن الله تعالى : (وَلَـئِنْ أَمْهَلَ اللهُ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ)[2].

وقد يأتي القيد (لن) للدلالة على النفي المجرد كما في قوله 8 من كلام له حثّ فيه أصحابه على القتال: (إِنَّهم لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِم دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِيمُ، وَضَرْبٍ يَفْلِقُ الهَامَ، وَيُطِيحُ العِظَامَ، وَيُنْدِرُ السَّوَاعِدَ والأَقْدَامَ)[3] فقد قيد السياق العلوي ابتعاد الأعداء عن أماكنهم بالطعن الموصوف إذ أفاد التقييد بـ (لن) نفي زوالهم وجعلته منوطاً بالطعن.
وقد تأتي أيضاً لتفيد النفي المقيد كما في قوله 8 : (واعْلَمُوا أَنَّكُم لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الذِي تَرَكَهُ ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الذِي نَبَذَهُ)[4] فقد جاء السياق العلوي بـ (لن) قيداً في ثلاثة مواضع؛ إذ قيد في الأول معرفة الرشد وجعله مرتبطاً بمعرفة من تركه، وقيد في الثاني الأخذ بميثاق الكتاب بمعرفة الذي نقضه وكذلك قيد في الثالث التمسك به وجعله منوطا بمعرفة من نبذه فأفادت بذلك دلالة النفي لكنه نفي مشروط؛ إذ لم يكن نفياً مطلقاً لتقييده بـ (حتى) التي أفادت بتضامها مع القيد بـ (لن) معنى المبالغة. والدعوة لمعرفة ما فاتهم. ومثل ذلك قوله 8: (لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلى دَعْوَةِ حَقٍّ، وَصِلَةِ رَحِمٍ وَعَائِدَةِ كَرَمٍ)[5] ففي هذا النص أتى القيد (لَنْ) مرتبطاً بالفعل المضارع (يسرع) من خلال علاقة النفي، لينفي 8 أن يكون هناك من سبقه إلى هذه الأمور، وممَّا يؤكد دلالة ذلك ويعززه. في النص ورود الفاعل (أحد) نكرة مفيداً دلالة العموم، وتجدر الإشارة إلى أنَّ النفي هنا لم يكن مؤبداً لتقييده بـ (قبلي). كل ذلك جاء ليعزز دلالة الفخر في النص.

التقييد بـ (المفاعيل)

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7 / 59.
2 - المصدر نفسه : 7/ 54 . وينظر أيضاً : 9/ 167، 10 / 92.
3 - المصدر نفسه : 8/ 8 . وينظر : 4 / 42 .
4 - المصدر نفسه : 9 / 83 . وينظر : 9 / 39 .
5 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 9 / 39.

التقييد بـ (المفعول به)[1] :

يعد المفعول به من المقيدات التي يعمل وجودها في التركيب الجملي على جعل المعنى واضحاً لا لبس فيه؛ إذ إن غاية المتكلم من ذكره إخبار المخاطب به، وأن فعل الفاعل قد وقع عليه فإذا ((قلت: هو يعطي الدنانير: كان المعنى على أنَّك قصدت أن تعلم السامع أنَّ الدنانير تدخل في عطائه أو أنَّه يعطيها خصوصاً دون غيرها ، وكان غرضك على الجملة بيان جنس ما تناوله الإعطاء لا الإعطاء في نفسه))[2].

وهذا يعني أن وجوده في الجملة يعمل على حصر وقوع الفعل فيه دون غيره مما يؤهله لأن يكون قيداً للحدث فمتى ما ذكر انصرف ذهن المخاطب أو المتلقي إلى أنَّ الفعل قد وقع على شيء محدد. وقد مثل حضور هذا القيد في الخطاب العلوي ملمحاً أسلوبياً بارزاً من ذلك قوله 8 في بيان حال الماضين من الخلق مع التنبيه على ضرورة الاعتبار بهم: (قَدْ هَتَكَتْ الهَوَادِمُ جِلْدَتَهُ، وَأَبْلَتِ النَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ، وَعَفَتِ العَوَاصِفُ آثَارَهُ ، وَهَذَا الحَدَثَانِ مَعَالِمَهُ)[3] لقد جيء بالمفعول به (جِلْدَتَهُ ــ جِدَّتَهُ ــ آثَارَهُ ــ مَعالِمَهُ) قيداً لغرض بيان ما وقع عليه الفعل ، ففي القيد دلالة واضحة على حصر حدث الفعل فيه؛ إذ قطّعت الحشرات جسمه حتى صار حطاماً وصّيرته النوائب رثاً باليا كما محت صروف الحدثين قبره وآثاره فعلها بالذين قبله، فأفاد حضوره في الجملة زيادة الفائدة ووضوح الصورة في ذهن المتلقي .

ومنه كذلك قوله 8 :(فَمَنْ أَتَاهُ اللهُ مَالاً فَلْيَصِلْ بِهِ القَرَابَةَ ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ ،وَلْيُغِثّ بِهِ الأَسِيرَ والعَانِيَ، وَلْيَعُطْ مِنْهُ الفَقِيرَ والغَارِمَ ، ولْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الحُقُوقِ والنَّوَائِبِ)[4]

فقد أبان الإمام 8 من خلال تقييده هذه الجمل بالمفعول به (مالاً ــ القرابة ــ الضيافة ــ الأسير والعاني ــ الفقير والغارم ــ نفسه) ما وقعت عليه الأفعال رغبة منه في زيادة تقريب الصورة إلى ذهن المخاطب ، ففي القيد توضيح لكيفية استعمال المال ومناحي صرفه ، فضلاً عما في حضوره من توجيه عناية المخاطبين إلى ضرورة الاهتمام به .

ومن شواهد ذلك قوله 8 من خطبة له خطبها بذي قار وهو متوجّه إلى البصرة ذكر فيها النبي الأكرم (9) : (فَلَمَّ بِهِ الصَّدْعَ ، وَرَتَقَ بِهِ الفَتْقَ ، وَأَلَّفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الأَرْحَامِ)[5] فقد أفاد

---

1 - ينظر: شرح المفصل:1 / 243، شرح الكافية:1 / 136 ، في النحو العربي- نقد وتوجيه: 98 معاني النحو:2/ 74.

2 - دلائل الإعجاز: 186 . وينظر: الإيضاح: 106 .

3 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 6 / 205.

4 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 9 / 59.

5 - المصدر نفسه: 13 / 9 . وينظر أيضاً : 1 / 100 ، 131 ، 144، 216 ، 6 / 211 ، 217 ، 272 ، 7/ 5 ، 52 ، 59 ، 8 / 91 ، 10/ 45 ، 133 ، 149 ،13 / 104 ، 137.

التقييد بالمفعول به (الصدع ــ الفتق ــ الشمل) حصر حدوث الفعل فيه ((واستعار لفظي الصدع والرتق لما كان بين العرب من الافتراق وتشتت الأهواء واختلاف الكلمة والعداوات والأحقاد))[1]

وقد يجيء المتكلم بالمفعول به قيداً في سياق التركيب الجملي ليزيل به الإبهام والغموض الذي قد ينتاب النص، كي لا يحار ذهن المخاطب فيتبادر إلى ذهنه خلاف المقصود.[2]

من ذلك ما جاء في كلام له 8 في معنى قتل عثمان يقول : (وَجَزِعْتُم فَأَسَأْتُم الجَزَعَ)[3] فقد عمد الإمام 8 إلى تقييد فعل (الإساءة) الصادر منهم بالمفعول به (الجزع) دفعا للتوهم الذي يعتري ذهن المخاطب فيما لو أطلق الإمام فعل (الإساءة) فإطلاقه يجعل المخاطبين يظنون أن اساءتهم عامة شاملة لكل الأمور. فأزال ذلك الوهم منه بأن جاء به مقيداً بالمفعول به (الجزع) ليبين ويوضح لهم أن فعل الإساءة جاء مقتصراً على الجزع حسب، وذلك في مقام الذَّمِّ والتوبيخ لهم .

ومن أمثلته أيضاً قوله 8 : (فَلَعَنَ اللهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ المَعَاصِي، والحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي)[4] فقد أبان الإمام 8 في هذا النص مَنْ وقع عليه فعل (اللعن) الصادر من الله عز وجل والمتمثل في قيد المفعول به (السفهاء) ، (الحلماء) ففي ذكرهما توضيح لما قد يصيب ذهن المخاطب من التوهم فيما لو أطلق فعل (اللعن) من دون تقييد فأفاد حضورهما تقييد مطلق اللعن ، فلعنُ الله لمن كان قبلهم لم يكن عاماً لكل الناس ، وإنّما كان منحصراً في السفهاء منهم لارتكابهم الذنوب والآثام بتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما جاء منحصراً بالحلماء من الناس لصمتهم وعدم ردعهم لما يرونه من المنكر.[5]

التقييد بـ (المفعول المطلق)[6]

وهو ((المصدر المنتصب توكيداً لعامله أو بياناً لنوعه أو عدده))[7] وإنّما سُمّي مطلقاً لأنَّه ((غير مقيّد بحرف جر ونحوه . بخلاف غيره من المفعولات))[8] ويؤتى بالمفعول المطلق (المصدر) قيداً في سياق التركيب الجملي ليفيد ثلاثة أغراض هي: توكيد حدث الفعل أو بيان نوع الفعل أو بيان عدد مرات حصول الفعل. ولا يخفى ما في ذلك من البيان وزيادة الفائدة. فمن أمثلة الغرض الأول قوله 8: (أَنشَأَ الخَلقَ إنشَاءاً ، وابتَدَأَهُ ابتِدَاءاً

1 - شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني : 4 / 126.
2 - ينظر: المطول: 362.
3 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : 2 / 102.
4 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 13/ 135 . وينظر : 6 / 282.
5 - ينظر: شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 4 / 357 .
6 - ينظر: الكتاب:228/1 ،اللمع في العربية: 114، شرح المفصل: 1 / 214 ،همع الهوامع: 2 / 72: معاني النحو: 129/2.
7 - شرح ابن عقيل : 1 / 505 .
8 - المصدر نفسه، الصحيفة نفسها .

)[1] فقد جاء بالقيد (انشاءاً ـ ابتداءاً) وهما مصدران ليؤكد قدرة الله تبارك وتعالى على ايجاد الخلق فعملت هذه الزيادة على توضيح المعنى وتأكيده في سياق النص، وكان بمقدور الإمام 8 الاكتفاء بالقول: (أنشأ الخلق وأبتدأه) ولكنَّه قيّد ((وأتى بالمصدرين بعد الفعلين تأكيداً لنسبة الفعلين إلى الله تعالى))[2] وشبيه ما فات قوله 8: (وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً)[3] هذا المقطع من خطبة له لما بويع في المدينة، فقد جيء بالمصدرين (بلبلة) و (غربلة) بعد الفعلين (لَتُبَلْبَلُنَّ) و (وَلَتُغَرْبَلُنَّ) تأكيداً لحدث الفعل، فذكر المصدر أكّد أنَّ هذا الأمر نازل بهم؛ لما هم عليه من الفرقة والتشتت واتباع الأهواء الباطلة، كما أسهم في تعزيز دلالة التأكيد القسم (والذي بَعَثَهُ بالحقِّ) ونون التوكيد الثقيلة في الفعلين.

ومن شواهد الغرض الثاني قوله 8 : (أَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الإِعْلاَنَ ، وَالقَلْبُ وَاللِّسَانَ)[4] تمثل القيد في النص المذكور في قوله: (شهادة يوافق فيها السر الإعلان والقلب واللسان) إذ جاء به ــ فضلاً عن تأكيد تلك الشهادة ــ لبيان نوعها، فَوصْفُها بهذا الوصف جاء ((كناية عن خلوصها عن شائبة النفاق والجحود بالله))[5] فإيراده القيد على هذه الصورة جاء للدلالة على صدق شهادته وتنزيها له من الكذب ، وعضّد التقييد دلالة التضاد التي أراد ترسيخها الإمام 8 في النص.

ونظير ما تقدم قوله 8 في معرض تنزيه الله جل وعلا: (تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ وَالْجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوّاً كَبِيراً)[6]

ومن أنماط المصدر المبين للنوع (المفعول المطلق المضاف) من أمثلة ذلك قوله 8: (فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا ، وَقَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا ، وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا) [7] وهذا الكلام من خطبة له 8 خطبها في صفين يشير فيها إلى صفة أصحابه لمّا طال منعه لهم من قتال أهل الشام فقد أفاد تقييد المسند (تداكوا) بالمصدر المبين للنوع (تداكَّ الإبل الهيم) في رسم صورة لأولئك الذين ازدحموا عليه طالبين منه الإذن بالقتال؛ إذ أقبلوا عليه

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1 / 97 .
2 - شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: 1 / 243 .
3 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 1 / 253. وينظر أيضاً : 3 / 262 ، 6 / 139 ، 9 / 178 ، 11 / 135.
4 - المصدر نفسه: 7 / 76.
5 - شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: 3 / 20.
6 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : 3 / 169 . وينظر: 10 / 133.
7 - المصدر نفسه: 4 / 7.

مزدحمين ازدحام الإبل العطاش حين ترد الماء . فأسهم المصدر (المفعول المطلق) في رسم صورة تشبيهيه عملت على توضيح موقف أولئك من خلال ربطهم بصورة مألوفة في الصحراء وهي صوت الإبل العطاش المزدحمة على الماء.

ومما زاد في توضيح صورة إقبالهم تقييد الحكم بأكثر من قيد ، فقد قيد هنا بالظرف (يوم وردها) والحال (وقد أرسلها راعيها وخلعت مثانيها)؛ لأن الحكم كلما ازدادت قيوده ازداد وضوحا وتخصيصاً. ومنه كذلك قوله 8: (أَظْأَرُكُمْ[1] عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ الْمِعْزَى مِنْ وَعْوَعَةِ الْأَسَدِ !) [2] تم تقييد المسند (تنفرون) بالمصدر المبين للنوع (نفور المعزى من وعوعة الأسد)؛ إذ جاء لبيان نوع النفور، فقد أورد 8 هذا القيد ليبين حال أصحابه وهم يبتعدون عن الحقِّ وكأنه يقول لهم: ((استدر عطفكم عليه وأرغبكم فيه بكل الوسائل ولكن ما أصنع؟ (وأنتم تنفرون عنه) مدبرين (نفور المعزى من وعوعة الأسد)))[3]، وذلك في معرض الذَّمِّ لهم؛ إذ دخل المفعول المطلق في رسم صورة عززت المعنى المراد.

ومن أمثلة الغرض الثالث المبين لعدد حدث عامله قوله 8 في معرض التحذير من المنافقين: (وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ ، فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ وَالزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَانًا) [4] قُيّد المسند (يتلونون) بالمفعول المطلق (ألواناً) ليؤكّد وقوع الفعل مع بيان عدد مرات وقوعه ، فقد أورد المصدر مجموعاً كي يعطي صورة واضحة للمنافقين وما هم عليه من التغيّر والتحوّل وكيف أنَّهم لا يثبتون على حال واحدة مبالغة في ذمّهم إذ ((كنّى بتلوّنهم ألونا عن تغيّراتهم في أقوالهم وأفعالهم من حال إلى حال بحسب أغراضهم الفاسدة فيلقون كلاً بوجه ولسان غير الآخر))[5] ولا يتأتى هذا المعنى في النص فيما لو جيء بالمصدر (تلوّناً) مع ما يفيده الأخير من دلالة تأكيد حدث الفعل.

التقييد بـ(المفعول له)[6]

---

1 - الظئر مهموز العاطفة على غير ولدها المرضعة له من الناس والإبل ، الذكر والأنثى في ذلك سواء ..... وفي المثل: الطعن يظئره أي يعطفه على الصلح. لسان العرب مادة (ظأر) : 8 / 245 - 246.

2 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 8 / 201 . وينظر أيضاً : 1 / 100 - 101 ، 131 ، 262 ، 2/ 163 ، 3/ 93، 154، 7/ 35 ، 83 ، 9/ 30 ، 97 ، 10 / 138 ، 13 / 148.

3 - في ظلال نهج البلاغة: 2 / 269 - 270.

4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 10 / 128 . وينظر : 2 / 253 ، 7 / 195.

5 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني: 3 / 531.

6 - ينظر : الكتاب: 1 / 367 - 369 ، شرح الكافية: 2 / 29 ، وشرح ابن عقيل: 1 / 520 - 521 ، معاني النحو: 2 / 192 ، أسلوب التعليل في العربية: 133، النص اللغوي بين السبب والمسبب : 32 .

يؤتى بالمفعول له قيداً في سياق التركيب الجملي لغرض بيان علة وقوع الفعل ، موضحاً السبب الذي من أجله قام الفاعل بالفعل لذا صح وقوعه جواباً لسؤال بـ (لِمَ). والعلّة فيه تكون على نمطين: إمّا علَّة يراد تحصيلها بإيقاع الفعل أو علة تسبب وجود الحدث. وقد أطلق عليه الفراء (ت 207 هـ) مصطلح (التفسير)[1].

وقد ورد هذا النمط من المفاعيل بكثرة في سياقات الخطاب العلوي ؛ إذ جاء متلائماً وما شاع في الخطاب العلوي من أسلوب المحاججة والوعظ والإرشاد ((فإنَّ النفوس أبعث على قبول الأحكام المعللة من غيرها))[2] ومن أمثلة ذلك قوله 8: (أَحْمَدُهُ اسْتِحْمَاداً لِنِعْمَتِهِ، وَاسْتِسْلَاماً لِعِزَّتِهِ، وَاسْتِعْصَاماً مِنْ مَعْصِيَتِهِ)[3] نلحظ أنَّ القيد (استتماماً ــ استسلاماً ــ استعصاماً) الذي هو المفعول له قد جاء مبيناً علة الحمد، ولو حذف لأبهم المعنى في النص ولفات على المخاطب معرفة السبب الرئيس وراء عملية الحمد . فقد أوضح 8 من خلاله دواعي حمد الله وشكره والمتمثلة في تمام النعمة وزيادتها ودوامها، والخضوع لعظمة الله وعزّته ، والاستعصام من الوقوع في معصيته[4]. وفيه أيضاً دلالة على أهمية الحمد ولو لا ذكر القيد لما تحقق هذا المعنى . وقد جاء تركيب الجمل متوازناً في كل أجزائه فضلاً عن حلية الأسجاع وما يتركه مثل هذا الإيقاع من أثر في نفوس السامعين واستيعابهم له .

ومنه كذلك قوله 8: (لَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ)[5] ورد القيد المتمثل في المفعول له (شوقا) و (خوفا) في النص ليكشف للمخاطب سبب وعلة عدم استقرار أرواحهم في أجسادهم وذلك لـ ((غلبة الشوق إلى ثواب الله والخوف من عقابه على نفوسهم))[6] ومما أسهم في ترسيخ ذلك في ذهن المخاطب مجيؤه في سياق الشرط بـ (لولا) وتقييده بـ (لَمْ).

ومن شواهده أيضاً قوله 8 وهو يذم الإطراء والثناء: (... وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطاً للهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ)[7] جاء بالمفعول له (انحطاطا) قيداً ليوقف المخاطب على علة الترك ، فهو لم يترك الإطراء والثناء لما قد يخلقه في نفس

1 - ينظر : معاني القرآن : 1 / 17.
2 - معترك الأقران : 1 / 184 .
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد :1/ 139.
4 - ينظر: شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 1 / 401 - 402.
5 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 10 / 104.
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني: 3 / 515 .
7 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 11 / 78 . ينظر أيضاً : 1 /111 ، 114 ، 142 ، 2/ 61 ، 62 ، 3 / 262 ، 6 / 272 ، 7/ 5 ، 59 ، 13 / 123 ، 137.

المثني عليه من الخيلاء والتكبر والعجب، وإنَّما جاءت علة تركه له لاعتبار آخر((وهو الإنحطاط والتصاغر عن تناول ما الله أحق به من العظمة والكبرياء))[1]

التقييد بـ (المفعول فيه)[2]

ويؤتى بالمفعول فيه (الظرف) قيداً لغرض بيان زمان حصول الفعل أو مكانه.

ومن أمثلة التقييد بالمفعول فيه الذي هو للمكان قوله 8: (وَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ جِهَةَ مَا خَلَقَكُم لَهُ)[3] أفاد التقييد بالمفعول فيه (جهة) بيان جهة التقوى والمتمثلة في اعتبار ما خلقهم له وهو الوصول إليه سبحانه فيكون المعنى بهذا القيد:((اجعلوا تقواكم الله نظراً إلى تلك الجهة والاعتبار لا الرياء والسمعة))[4] ونظير ما فات قوله 8 في الخطبة نفسها في من يعمل فعل الخير لآخرته: (وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مَقَامِهِ)[5] ومن شواهده أيضاً قوله 8: (وَبَرَوْهُم آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُم مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُم مَوْضُوعٍ)[6] ورد في النص الشريف قيدان من المفعول فيه هما: (فوقهم) و(تحتهم) ليؤكّد قدرة الله تعالى فضلاً عن التناغم الصوتي في (مرفوع، موضوع) والذي أسهم في اغنائه السجع المتوازي والجناس المصحف.

ومن أمثلته لظرف الزمان قوله 8: (فَوَ اللهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلاَّ وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي وَتَعْشُوا إِلَى ضَوْئِي)[7] فقد اتى الإمام بالمفعول فيه(يوما) قيداً هنا ليؤكد حرصه الشديد على دفع الحرب وحقن القتل والقتال يوماً فيوما رغبةً منه في هدايتهم واللحاق به.

ومنه كذلك قوله 8: (إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدْ اسْتَفَلَّ[8] وَهُوَ غَداً مُتَبَرِّئٌ مِنْهُم وَمُتَخَلٍّ عَنْهُم)[9] وهذا النص من كلام له 8 قاله لرجل من أصحابه لمّا علم أنَّ قوما من جند الكوفة قد ظعنوا فلحقوا بالخوارج. فقد قيد الامام الوقت الذي زيّن لهم الشيطان فيه الهرب والدعوة إلى ترك الجماعة واللحاق بأوليائه فـ (اليوم) مفعول فيه أفاد بيان وقت التزيين والدعوة كما قيد وقت غدره بهم وتركه لهم والتبرؤ منهم وهو ما أفاده المفعول فيه (غداً) فجاء 8

---

1 - شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 4 / 57 .
2 - ينظر : شرح الكافية : 2 / 11 ، شرح ابن عقيل : 1/ 526 ، شرح المفصل: 2 / 341 ، معاني النحو : 2 / 153 ، التراكيب الإسنادية: 15 وما بعدها.
3 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 6/ 202.
4 - شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: 2/ 333.
5 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 6 / 201
6 - المصدر نفسه: 1/ 123.
7 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: 4/ 11.
8 - استفلّ الشيء: أخذ منه أدنى جزء ..... والاستفلال أن يصيب من الموضع العسر شيئاً قليلاً من موضع طلب حق أوصلة فلا يستفلّ إلاَّ شيئاً يسيرا. لسان العرب مادة (فلّ): 10/ 325.
9 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: 10/ 60.

بهذين القيدين للدلالة على مدى جبنهم وركونهم إلى الشيطان؛ وذلك في مقام الذَّمّ والتوبيخ لهم وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَ قالَ لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَ إِنِّي جارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ وَ قالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرى ما لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخافُ اللَّهَ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾[1] ومما زاد المعنى وضوحاً في النص التقييد بـ (إنَّ).

ومنه كذلك قوله 8: (أَلاَ وإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُم إلى قِتَالِ هَؤلاَءِ القَوْمِ لَيْلاً وَنَهَاراً)[2] فقد أفاد التقييد بالمفعول فيه (ليلاً، ونهاراً) دلالة استمرار دعوته لهم؛ إذ دعاهم مراراً لقتال معاوية وأصحابه؛ لذا أوضح القيد أنَّ دعوته لهم كانت مستمرة. وإنما قال ذلك توبيخا لهم لشدة تقاعسهم وتخاذلهم وليس ذلك إلاَّ من دلالة السياق. وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿قالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَ نَهاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلاَّ فِراراً﴾[3] ومن ذلك قوله 8: (وأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُمْتَحِناً إِخْلاَصُهَا، مُعْتَقِداً مُصَاصُهَا، تَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَداً مَا أَبْقَانَا، وَتَدَّخِرُهَا لأَهْوَلِ مَا بَلْقَانَا)[4]. وهذا النص من خطبة خطبها بعد انصرافه من صفين. فقد أفاد التقييد بالمفعول فيه (أبداً) دلالة التأبيد والتأكيد؛ إذ أكّد وأبّد التمسك بكلمة التوحيد ففيها أمان من عذاب الله ومما زاد في وضوح المعنى وتأكيده في النص كثرة القيود فيه؛ إذ تم التقييد بـ (القصر ، والحال في (وَحْدَهُ) والمصدر الموصوف في (شهادةً ممتحنا إخلاصها ، معتقداً مصاصُهَا).

التقييد بـ (الحال)[5]

هي ((وصف منصوب فضلة يبين هيأة ما قبله من فاعل أو مفعول به او منهما معاً أو من غيرهما وقت وقوع الفعل))[6] .

فهي بذلك ((وصف للصاحب قيد في العامل))[7] وتكمن الغاية التي من أجلها تأتي الحال قيداً في الجملة في أنها تبيّن هيأة صاحبها، وتعمل على إزالة اللبس والابهام

1- الانفال/ 48.
2 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: 2/ 61.
3 - نوح/ 5، 6.
4 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:1/ 139.وينظر أمثلة أخرى للظرف:125/1،110،106،100،97-126 ،277 ،7/ 54، 196، 8/ 6، 9/ 183.
5 - ينظر: الكتاب: 1 / 44 ، اللمع في العربية: 134 ، المقتصد : 675/1 وما بعدها المقرب: 161 ، شرح الكافية: 2 / 46 همع الهوامع: 2 / 223 ، الحال في القرآن الكريم : 11 ، معاني النحو : 2 / 239.
6 - النحو الوافي: 2 / 338 - 339 .
7 - دراسات الأسلوب بالقرآن الكريم : ق3 ، ج3 : 4.

والغموض الذي يعترض المتلقي أو السامع ، وقصر ذهنه على شيء واحد وهذا ما أشار إليه وأوضحه عبد القاهر الجرجاني بقوله: ((جاءني زيد فيسبق إلى قلب المخاطب جميع ما يحتمله المجيء من الأحوال، فإذا قلت: راكباً أو راجلاً كشفت ذلك الإبهام وقصرت علم المخاطب على نوع مخصوص من جميع ما كان يظنه))[1] فغرضها إذاً ((الزيادة في الفائدة والخبر))[2] وقد وردت الحال في الخطاب العلوي بنوعيها مفردة وجملة، وتجدر الإشارة إلى أنه ((لا بد في الجملة الحالية من ضمير يربطها بصاحبها أو (واو) تقوم مقام الضمير، وقد يجمع فيها بين الأمرين كما في (جاء زيد وهو ناو رِحْلَةً)))[3] في حين لا تحتاج الحال المفردة إلى الربط بـ (الواو) الحالية. وقد جاءت سياقاته مقيدة بها، لتعطي صورة واضحة لحاله (8) أو حال مخاطبيه أو بيان حال من يتكلم عنه . ومن صور مجيء الحال مبينة لهيأة حاله 8 ما ورد في خطبة له خطبها في أصحابه عندما أغار النعمان بن بشير على عين التمر: (أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخاً ، وأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثاً ، فَلاَ تَسْمَعُونَ لِي قَوْلاً ، وَلاَ تُطِيعُونَ لِي أَمْراً)[4]. جاء التقييد بالحال (مستصرخاً) و (متغوثاً) ليبين هيأة حاله 8 معهم، والمتمثلة في استصراخه لهم واستغاثته بهم كي ينهضوا لنصرة إخوانهم في عين تمر ولكن دون جدوى. كل ذلك في مقام التحسر والتوجع فضلاً عما يحمله السياق من دلالة الذَّمّ والتوبيخ لهم لعدم طاعتهم له. ولولا القيد بـ (الحال) لتبادر إلى ذهن المخاطب أمور كثيرة حول هيأة قيامه فيهم ومناداته لهم .

ومن ذلك أيضاً قوله 8: (وَاللهِ لأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً ، أَوْ أُجَرَّ فِي الأَغْلاَلِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ العِبَادِ وَغَاصِباً لِشَيءٍ مِنْ الحُطَامِ)[5] إذ جاء التقييد هنا بالحال (ظالما) و (غاصبا) ليبيّن الهيأة والصورة التي يلقى فيها الله ورسوله يوم القيامة ، كما نلحظ في النص تقييداً آخر تمثل في الحال المؤكدة في قوله: (مسهداً) و(مصفداً) ليشير بذلك إلى أن مبيته على حسك السعدان وجره بالأصفاد أهون عنده من أن يلقى الله وهو ظالم لعباده أو غاصب لشيء من حطام هذه الدنيا الفانية.

1- المقتصد: 1 / 676 .
2 - شرح المفصل: 2 /376.
3 - شرح ابن الناظم: 245. وينظر : شرح ابن عقيل: 1 / 594.
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2 / 236.
5 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:11 / 188.وينظر ايضاً:6/ 89 ،7/ 222، 8/ 201، 9/ 233،10/ 5، 11،140/ 84، 13/ 148.

ومما جاء في بيان حال مخاطبيه قوله 8: (وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُم عِتْرَةُ نَبِيِّكُم وَهُمْ أَزِمَّةُ الحَقِّ وأَعْلاَمُ الدِّينِ وأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ)[1] جاء التقييد في هذا النص بالحال جملة في موضعين الأول قوله: (وبينكم عترة نبيكم) والآخر قوله: (وَهُمْ أزِمَّةُ الحَقِّ و أعلامُ الدِّينِ ...) لغرض بيان هيأة حالهم مع ما يحمله قيد الحال من دلالة التعجب من شأنهم والتي أسهم في إبرازها مجيؤه في سياق استفهامي تتصدر تركيبه اللغوي أداة الاستفهام (كيف) الدالة على الحال؛ إذ كيف يمكن لهم أن يتيهوا في الضلال وظلمات الجهل وفيهم عترة رسول الله (9)؟ فهم طوق النجاة وقادة الخلق إلى الحقّ والتمثيل الحي للوحي الصادق.

وشبيه ما فات قوله 8: (تَحُوزُكُم الجُفَاةُ الطَّغَامُ وأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ وأَنْتُم لَهَا هِبِرُ العَرَبِ)[2] وقد تتضمن الحال مع بيان هيأة حال صاحبها دلالة المدح له كما في قوله 8: (وَلَقَدْ شَغَا وَحَاوِحُ صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُم بِآخَرَةٍ تَحُوزُونَهُم كَمَا حَازُوكُم وَتُزِيلُونَهُم عَنْ مَوَاقِفِهِم كَمَا أَزَالُوكُم، حَسّاً بِالنِّصَالِ ، وشَجْراً بِالرِّمَاحِ)[3] فالحالان (حسّاً بالنِّصال) و (شجراً بالرماح) قد أوضحاً هيأة أصحابه في حيازتهم وإزالتهم لعدوهم في مقام المدح لهم.

ومما ورد في بيان حال من يتكلم عنه قوله 8 في معرض بيان حال الأمم عند بعثة النبي (9): (بَعَثَهُ والنَّاسُ ضُلاَّلٌ فِي حَيْرَةٍ ، وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ ، قَدْ اسْتَهْوَتْهُم الأَهْوَاءُ، واسْتَزَلَّتْهُم الكِبْرِيَاءُ، واسْتَخَفَّتْهُم الجَاهِلِيَّةُ الجَهْلاَءُ حَيَارَى فِي زِلْزَالٍ مِنَ الأَمْرِ وَبَلاَءٍ مِنَ الجَهْلِ)[4] أفاد التقييد بالحال جملة في (والناس ضُلاّل في حيرة) ومفردة في قوله: (حيارى) بيان هيأة تلك الأمم عندما بعث إليها النبي الأكرم (9) ، وكيف أنها كانت تعيش في ضلال وحيرة؛ إذ قادتهم اهواؤهم فأوردتهم الذنوب والآثام، وأبعدتهم الجاهلية عن جادت الصواب حيارى لا يعرفون شيئا، ومما زاد في بيان ذلك الجار والمجرور المتعلّق بهما. كما نلحظ في هذا النص أنَّ الإمام 8 قد عمد إلى استحضار الحدث الماضي بصورة الحال ليصوّر للمخاطبين شدة وخطورة الأمر الذي يخبر عنه.

ومن ذلك ما جاء في كلام له 8 في معنى الحكمين إذ يقول : (وَتَرَكَا الحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِه)[5] فالجملة الحالية ((وهما يبصرانه)) قد بينت بحضورها هيأة الحكمين المتمثلة في تركهما للحقِّ مع رؤيتهما له ومعرفتهما به ، وذلك في مقام الذَّمِّ والتوبيخ لهما . ومنه كذلك قوله

1 - المصدر نفسه : 6 / 289.
2 - المصدر نفسه: 140/7.
3 - المصدر نفسه ، الصحيفة نفسها . وينظر أيضاً: 6 /300، 7 /80 ، 93 ، 13 /88.
4 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 7 /51 .
5 - المصدر نفسه : 10 /45.

8 في المؤمن :((يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرَ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرَ))[1] فقد أفاد التقييد بالحال ((وهمُّهُ الشّكر)) وقوله : ((وهمُّهُ الذِّكر)) بيان الهيأة التي يكون عليها المؤمن فهو شاكر ذاكر لأنعم الله تعالى عليه ليلاً ونهاراً لا يشغله عن ذلك شغل شاغل ، وهو ما أسهم في أفادته دلالة الفعلين (يمسي – يصبح) الدالة على الاستمرار والتجدّد في مقام المدح له .

وقد تأتي الحال منفية من ذلك قوله 8 من خطبة له علم فيها الناس الصلاة على النبي (9): (فَاضْطَلَعَ قَائِماً بِأَمْرِكَ مُسْتَوفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ، وَلاَ وَاهٍ فِي عَزْمٍ)[2] فأوضحت الأحوال ((قائماً)) و ((مستوفزاً)) و ((غير ناكل)) و ((ولا واه)) هيأة النبي (9) فهو غير ناكل من طاعة الله ولا وان في القيام بأمر الله، كما قد تأتي الحال في سياقات الخطاب العلوي لتأكيد حدث الفعل وترسيخه في ذهن المخاطب كما في قوله 8 من خطبه له في بيان خلقة الطاووس: (فَبَقَهقِهِ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ)[3] وقوله 8 في أخيه عقيل: (وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً ، وَكَرَّرَ عَلَيَّ القَوْلَ مُرَدِّداً)[4] وقد حرص الإمام في النصوص المتقدمة على أن تجيء صيغها محلاّة بالإزدواج المسجوع في غير تكلف أو تصنع.

التقييد بـ (التمييز)

((هو كل اسم نكرة متضمن معنى (من) لبيان ما قبله من إجمال نحو :(طاب زيدٌ نفسا) و(عندي شبرٌ أرضا)))[5] وعُرّف بأنَّه ((نكرة منصوبة في الأكثر فضلة، تبيّن جنس ما قبلها أو نوعه أو توضح النسبة فيه فهي-كما يقولون -بمعنى (من) البيانية -غالبا- والكلمة التي تجتمع فيها هذه الأوصاف تسمى ((التمييز)) كما يسمى ما تفسره وتزيل الإبهام عنه ((المميز))[6] كما يسمّى ((التبيين أو التفسير أو المفسر أو المميز أو المبين))[7] فهو إذن يفيد إزالة الغموض والإبهام ويحدد القصد فضلا عن إفادته معنى الشمول، كما يفيد وجوده قطع الاحتمال قال ابن الزمكاني (ت 651هـ): ((وليس يخفى عليك فائدة التمييز، والقصد به التفرقة بين الأجناس وكشف المحتملات، كما يفرق الحال بين الهيئات التي وقع عليها الفعل وله من الفخامة في الجملة ما لا يدفع

1 - المصدر نفسه : 10 /116. وينظر أيضاً: 7 /90 ، 178 - 179 ، 9/ 141 ، 179 ، 10/ 133 ، 13/ 8.
2 - المصدر نفسه: 6 /110. وينظر أيضاً: 3 / 119 ، 13 / 75.
3 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 9 / 208.
4 - المصدر نفسه: 11 / 188.
5 - شرح ابن عقيل:1/ 601، وينظر: شرح المفصّل : 2/ 403، همع الهوامع:2/ 262، معاني النحو :270/2 .
6 - النحو الوافي : 2/ 388.
7 - المصدر نفسه (الهامش).

وضوحه، ومما تلاءم حسنه من جهة النظم والتأليف))[1] ويعد التمييز أقل القيود حضورا في سياقات الخطاب العلوي ــ ومن أمثلة ذلك ما جاء في كلام له 8 كان يقوله لاصحابه في بعض أيام صفين (وَحِيلُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْساً)[2] فقد أتى بالتمييز(نفسا) قيدا ليبين إجمال النسبة في مقام تحريك الهمة والترغيب في الجهاد من خلال توطين النفس وتهوينها. ومنه أيضا قوله 8: (وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَلاَّ يَعْرِفَ قَدْرَهُ)[3] لقد تمَّ تقييد المسند اليه (المرء) بالتمييز (جهلا)؛ وذلك لتمييزه وتفسير ماهيته في مقام الذم والتوبيخ له. ونظير ما تقدم قوله 8: (حَتَّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً صلّى الله عَلَيه شَهِيْداً وبَشِيراً وَنَذِيْراً، خَيْرَ البَرِيَّةِ طِفْلاً وأَنْجَبَهَا كَهْلاً، وأَطْهَرَالْمُطَهَّرِينَ شِيْمَةً وأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطِرِينَ دِيْمَةً)[4] فقد أوضح الإمام 8 بقيد التمييز(طفلا ــ كهلا ــ شيمة ــ ديمة) شخصية النبي الاكرم (9) فهو ((خيرهم طفلا في هديه وسلوكه،وأنجبهم كهلا في طيب سريرته وحسن سيرته، وأطهر المطهرين شيمة في جميع خصاله وأجودالمستمطرين ديمة في كرمه وعطائه، كان يعطي ويشعر أنَّه أخذ أكثر ممَا أعطى))[5] وهكذا جاء بالتمييز لبيان شخص النبي (9) ولولا قوله: (طفلا، كهلا، شيمة، ديمة) لما عرفت هذه الشخصية العظيمة ولظلت في حيز الإجمال المبهم. وواضح أنَّ بناء المديح على صيغة أفعل التفضيل استدعى المجيء بما يسمى بتمييز النسبة ليكون الثناء أقوى دلالة وأخصُّ توصيفا .

وشبيه ما فات قوله 8: (فَكَفَى وَاعِظاً بِمَوْتَى عَايَنْتُمُوهُمْ، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ، وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ)[6] نلحظ أَنَّ التمييز (واعظا) جاء ليوضح ويفصَل إجمال النسبة بين الفعل (كَفَى) والفاعل(بموتى) إذ جاء ليبيّن شدة الاعتبار والعظة في ذكر الموت ومعاينة احوال الموتى؛ وذلك في معرض التنبيه والتحذير لهم . إلى جانب قيد الحال في الجملتين الأخيرتين ومارسمه من صورة الموتى في حال حملهم وإنزالهم، فمن دون هذه القيود يجيء تركيب الجمل مبهما غير دال على ما كان يهدف اليه البيان العلوي.

---

1 - التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن: 127.
2 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:5/ 136 .
3 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 7/ 85 .
4 - المصدر نفسه: 7/ 93 .
5 - في ظلال نهج البلاغة: 2/ 111 -112 .
6 - شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد: 13/ 75. وينظر أيضا: 1/ 297، 3/ 262، 6/ 193، 201، 208 ،13/ 84 .

التقييد بـ (التّوابع)

التقييد بـ (التّوكيد)

يعرف التؤكيد بأنه ((لفظ يراد به تثبيت المعنى في النفس وإزالة اللبس عن الحديث أو المحدث عنه))[1]. وهو أسلوب من الأساليب العربية المهمة التي تطرأ على الجملة؛ إذ يمثل عنصراً مهماً من العناصر الأسلوبية التي يعمد إليها المتكلم فيضمّنه كلامه سعياً منه إلى تحقيق غرض يروم إيصاله إلى الآخرين، ويكمن ذلك الغرض في ما يبتغيه المرسل من تثبيت المعنى وتقريره في ذهن المرسل إليه، كي يجعله أكثر اطمئناناً إليه ووثوقاً به، فضلاً عما فيه من زيادة فائدة تتمثل في لفت الانتباه إليه. وقد قسم النحويون التوكيد إلى (التوكيد اللفظي) و (التوكيد المعنوي).

التوكيد اللفظي :

ويظهر هذا النوع من التوكيد في تقييد المؤكّد من خلال إعادة اللفظ أو تقويته بما شابهه معنى[2]. ويؤتى به لأغراض دلالية ومعان بلاغية كثيرة قد أشارت إليها مظان الدراسات النحوية والبلاغية.[3]

وهو من الاساليب التي كثيرا مايستعملها المتكلم لتاكيد الاهتمام بالمعنى وتقويته فـ ((الكلام اذا تكرر تقرر)) [4] وهوبذلك يُعدُّ ((من اقوى طرق الاقناع وخير وسائط تركيز الرأي والعقيدة في النفس البشرية على هينة وفي هوادة دون استثارة لمخاليها في الجدل والمشادة)).[5]

وكثيرا ما ياتي التقييد بالتوكيد اللفظي في سياقات الخطاب العلوي متمثلا في اعادة لفظ (المفعول به) في باب (الاغراء والتحذير) ليفيد تاكيد دلالتهما ــ من ذلك قوله 8 : (عِبَادَ اللهِ اللهَ اللهَ فِي أَعزِّ الأَنْفُسِ إِنَّكُم فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُم سَبِيْلَ الحَقِّ وَأَنَارَ طرقه)[6] لقد تـمَّ التقييد بالتوكيد اللفظي (الله الله) الواقع مفعولا به لفعل محذوف . وقد زاد هذا القيد فائدة في المعنى؛ اذ جاء في مقام تاكيد التحذير لهم من العذاب الإلهي في أعزِّ الأنفس عليهم وأحبّها إليهم ((وغاية هذا التحذير حفظ كُلِّ نفس ممّا يوبقها في الآخرة، وذلك بالاستقامة

---

1 - شرح جمل الزجاجي: 1/ 228، وينظر: شرح المفصّل: 3/ 585، المقرّب: 261، في النحو العربي- نقد وتوجيه: 234، معاني النحو: 112.
2 - ينظر: شرح جمل الزجاجي: 1/ 228، شرح ابن عقيل: 2/ 197، النحو الوافي: 3/ 424، معاني النحو: 4/ 129، في بناء الجملة العربية: 55.
3- ينظر: شرح الكافية : 1/ 377- 378، معاني النحو: 130/4- 132، المثل السائر:2/ 138، البرهان في علوم القرآن: 3/ 21، خصائص التراكيب: 94 -99 .
4 - البرهان في علوم القرآن : 4/ 10 .
5 - مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب : 210 .
6 - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 160/9 .

على سبيل الله))[1] فضلا عمَّا يحمله من دلاله التنبيه لهم على ضرورة الاقلاع عن غيّهم والعمل لما بعد الموت .

ومنه كذلك قوله 8: (فاللهَ اللهَ فِي كِبْرِ الحَمِيَّةِ، وَفَخْرِ الجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّهُ مَلَاقِحُ الشَّنَآنِ، وَمَنَافِخُ الشَّيطَانِ)[2] جاء التقييد بالتوكيد اللفظي (الله الله) ليفيد تأكيد تحذير الله عزّ وجلّ لهم من أن ينهجوا نهج ابليس (لعنه الله) في التكبّر والعصبية وما يتبعهما من الرذائل والموبقات معللا ذلك التحذير بأَنَّ التكبّر مفتاح العداوة والبغضاء وأَنَّه نفثة من نفثات ابليس. ومنه كذلك مايرد لتأكيد دلالة الاغراء كما في قوله 8: (الجِهَادَ الجِهَادَ عِبَادَ اللهِ أَلاَ وإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَاحَ الى اللهِ فَلْيَخْرُجْ)[3] افاد قيد التوكيد اللفظي (الجهاد الجهاد) تعظيم امر الجهاد في نفوس المتلقين ترغيبا لهم في الالتزام به لمايصحبه من ((الرّواح الى الله تعالى)) كناية عن الشهادة. وشبيه ما فات في تاكيد دلالة الاغراء قوله 8: (... الجِدَّ الجِدَّ أَيُّهَا الغَافِلُ)[4] فضلا عما يحمله سياق النص من دلالة تحريك الهمة في نفس المتلقي.

ومن انماط التقييد بالتوكيد اللفظي اعادة لفظ المفعول المطلق (المصدر)، ومن امثلة ذلك قوله 8: (أَيْنَ القَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إلى الإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ ؟ وَقَرَؤوا القُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَهُبُّوا إلى الجِهَادِ فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقَاحِ إلى أَوْلَادِهَا وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا، وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً وَصَفّاً صَفّاً بَعْضٌ هَالِكٌ وَبَعْضٌ نَاجٍ)[5] يتحدث الامام في هذا النص عن أصحابه الذين خلعوا لباس الدنيا وبذلوا انفسهم في سبيل نصرة الدين واعلاء كلمة الحق، وقد صدّر حديثه بالسؤال عنهم ((أين القوم ؟)) في مقام التحسر لفقدهم ثم جاء بالتوكيد اللفظي (زحفا زحفا وصفّاً صفّاً) ليوضّح ويؤكّد هيأتهم وكيف أنَّهم كانوا صفوفا متراصّة يزحفون إلى الحرب زحفا تعظيما لشأنِهم وترغيبا للمخاطبين في ضرورة الاقتداء بهم فصلا عما أفاده التوكيد من بيان حال المخاطبين المتحدث عنهم، وبذلك قُيِّد المعنى في الجملة. ومن انماط التوكيد اللفظي ايضا (تكرار الجملة) كما في قوله 8: (اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَأَكْفَؤُوا إِنَائِي، وأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا: أَلاَ إِنَّ فِي الحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وفِي الحَقِّ أَنْ تَمْنَعَهُ)[6] يتحدّث الإمام في هذا النص عن ظلامته في دفعه عن حقّه في الخلافة الذي هو أولى به من غيره فقد جاء تكرار التركيب ((في الحَقِّ)) ليؤكّد ويبيّن

1 - شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: 3/ 339 .
2 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : 13/ 111 .
3 - المصدر نفسه: 10/ 79 .
4- المصدر نفسه: 9/ 122.وينظر أيضا: 6/ 272، 131/7، 220/9،122، 10/ 13،84/22 ، 111.
5 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 7/ 226 .
6 - المصدر نفسه: 11/ 84 . وينظر : 9/ 124 .

حال قريش معه وكيف زعموا أنَّهم أصحاب الحقّ في منازعته هذا الأمر متعجباً من فعلهم هذا مع من هو بمنزلته، ومكانته وهو صاحب الحق و((إنَّما كرّر قوله ((في الحَقِّ)) مبالغة بالتوجّع، واعظاما في التهكّم بهم حيث اعتقدوا أنَّ منعه هو الحق بزعمهم، فهذا من التكرير الذي بلغ من الفصاحة أعلاها وأصعد في ذروتها وحلَّ أقصاها))[1] وهكذا نلحظ التوكيد اللفظي في النص الشريف قد جاء قيداً لافادة المعنى.

1 - الطراز : 289 .

التوكيد المعنوي:

وهو ما يحصل ((بتكرير المعنى دون لفظه نحو قولك: رأيتُ زيداً نفسه و رأيتُكُم أنفسكم ومررتُ بِكُم كُلّكم))[1] ويتحقق هذا النوع من التوكيد من خلال مجيء الفاظ تضاف إلى ضمير يعود على المؤكّد وهذه الالفاظ هي (نفس، عين، كل، كلا، كلتا، جميع، عامة). ويؤتى به قيدا في سياق الكلام لتحقيق دلالتين: تتمثل الأولى في رفع توهّم تقدير مضاف إلى المؤكّد وهو ما تحققه في السياق لفظتا (نفس) و(عين) أمَّا الدلالة الأخرى فتتمثل في رفع توهّم عدم إرادة الشمول وهو ماتحققه في السياق الفاظ (كل، كلا، كلتا، جميع)[2] وتجدر الاشارة إلى أنَّه سبق وأن أشرت إلى الدلالة الأخرى للتوكيد المعنوي في الفصل الأول من البحث عند الحديث عن تقديم (كل) وتأخيرها؛ لذا سأقصر الحديث هنا على لفظة(عين) علما أنَّ ورودها في السياق العلوي كان قليلا جدا. كما يلحظ في ورودها اختصاصها بدخول الباء الزائدة عليها زيادة في التوكيد نحو: (جاء أخوك بعينه) وللدكتور فاضل السامرائي رأي في هذا؛ إذ يرى ((أَنَّ هذه الباء ليست زائدة، بمعنى أنَّ حذفها وذكرها سيّان، .....، وإنَّما تفيد الباء أنَّ المؤكّد فعل ذلك وما كان متوقعا منه أن يفعل أو بعبارة أخرى أنَّها يؤتى بها للاهتمام الزائد))[3] ومن ذلك قوله 8: (تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِم القَضِيَّة فِي حُكْمٍ مِنَ الأَحْكَامِ فَيَحْكُم فِيْهَا بِرَأْيِهِ ثُمَّ تَرِدُ تِلكَ القَضِيَّة بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُم فِيْهَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ)[4] وهذا النص من كلام له 8 يذمُّ فيه اختلاف العلماء في الفتيا. فقد قيّد 8 ورود القضية عليهم بالتوكيد المعنوي ((بعينها)) لغاية معنوية وهي تاكيد حقيقة الشيء المذكور وتقريره في ذهن المخاطب؛ كي لا يتوهّم ان اختلافهم في الفتيا إنَّما جاء في قضية أخرى غير التي وردت عليهم. ونظير ماتقدم في تأكيد حقيقة الشيء وتقريره وإزالة توهّم المخاطب إرادة غيره قوله 8 من كلام له في النهي عن غيبة الناس: (وَكَيْفَ بِذُهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ ؟ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ)[5].

التقييد بـ (النعت)

يُعَرَّف النعت بأنَّه ((التابع المكمل متبوعه ببيان صفة من صفاته نحو ((مررت برجل كريم)) او من صفات ماتعلق به ــ وهو سَبَبِيُّهُ ـ نحو ((مررت برجل كريم أبوه))

1 - شرح المفصل: 586/3، وينظر: الخصائص: 3/ 106، شرح الكافية: 1/ 329، شرح جمل الزجاجي: 1/ 231.
2 - ينظر: شرح ابن عقيل : 2/ 191 -193، شرح الكافية:394/2 ، شرح جمل الزجاجي : 1/ 233-244 ، همع الهوامع : 3/ 136- 137، معاني النحو: 4/ 114.
3 - معاني النحو: 4/ 117.
4 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:1/ 266 .
5 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد :9/ 47 .

))[1] ويؤتى بالنص قيدا للمسند اليه او المسند معا من اجل ((إزالة اللبس))[2] فحضوره يجعل الكلام واضحا مفهوما لدى المخاطب، ذلك عند وصفه بصفة معينة تميّزه من غيره فوظيفته الدلالية تكمن في تقييد المنعوت بصفة معينة للابانة عنه، كما يؤتى به لأغراض ومعان يقصدها المتكلم فهو ((يفيد تخصيص متبوعه أو توضيحه أو مدحه أو ذمه أو تأكيده أو الترحم عليه))[3] وقد أشار البلاغيون إلى بعض هذه الاغراض، فهذا بن يعقوب المغربي يرى ان النعت إنما يؤتى به قيداً للمسند اليه ((لكون الوصف مخصصا اي مقيدا له بتقليل الاشتراك في النكرات ... أو يرفع الاحتمال في المعارف التي لا اشتراك في استعمالها))[4] كما نراه ينقل لنا وجهة نظر النحويين فيقول: ((وأمَّا في عُرف النحويين فالتخصص مخصوص بتقليل الاشتراك في النكرات، وأما رفع الاحتمال في المعارف فهو مخصوص بالتوضيح))[5] جاء التقييد بالنعت في سياقات الخطاب العلوي ليفيد الدلالات الآتية:

1 - شرح ابن عقيل:2/ 178 . وينظر : اللمع في العربية: 161، همع الهوامع: 3/ 117، معاني النحو:3/ 157 .
2 - نهاية الإيجاز: 79 .
3 - شرح شذور الذهب: 555 . وينظر: شرح ابن عقيل: 2/ 178، شرح الكافية: 314/2 معاني النحو: 3/ 157- 159.
4 - شروح التلخيص: 1/ 363. وينظر: البلاغة العربية - تأصيل وتجديد -: 56.
5 - المصدر نفسه: الصحيفة نفسها .

التخصيص

يجيء بالنعت قيدا للنكرات لافادة دلالة التقييد والتخصيص.[1] إذ إنَّ النكرات تفيد في الأغلب الأعم اما الاطلاق او العموم. من ذلك قوله 8: (فَقَدْ أَعْذَرَ اللهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ، وَكُتُبٍ بَارِزَةِ الْعُذْرِ وَاضِحَةٍ)[2] ففي النص قيدان الأول: ((مسفرة ظاهرة)) وقد جيء به ليخصص عموم (الحجج) والآخر: ((بارزة العذر واضحة)) وقد خصص به عموم ((الكتب)) فأفاد هذان القيدان دلالة التقرير على وضوح ما جاءهم من الحجج والكتب فضلا عما يستبطنه من دلالة الترهيب والتخويف لهم . ومنه كذلك قوله 8: (وَلِكُلِّ بَابٍ رَغْبَةٍ إِلَى اللهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ)[3] وهذا المقطع جزء من كلام له قاله عند تلاوته قوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ * رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[4] نلحظ في هذا النص أنه قد قيّد المسند إليه (يَدٌ) بالصفة (قارعة) فأفاد الوصف الذي أدى وظيفة القيد في النص تخصيص عموم اليد؛ إذ ليس كل يد يمكنها قرع باب الرغبة إلى الله تعالى سبحانه وتعالى، وإنَّما التي يمكنها قرع تلك الباب هي يدُ المتقين المخلصين خاصة من خلال ((توجيه أسرارهم وعقولهم إلى القبلة الحقيقية استشراقا لأنوار الله واستسماحا لجوده))[5]

التوضيـــــح

يؤتى بالنعت قيداً للمعارف لغرض التوضيح [6]. من ذلك قوله 8 (احْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُورِّطَةَ، وَالْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ)[7] تم في هذا النص تقييد المفعول به (الذنوب) بالصفة (المورطة) وكذا المعطوف (العيوب) بالصفة (المسخطة) فأفاد القيد بذلك دلالة التبيين والتوضيح؛ إذ أوضحت كل صفة موصوفها، جاء ذلك في مقام التنبيه لهم. ومنه كذلك قوله 8: (فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ وَالْآثَارَ الْبَيِّنَةَ وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ)[8] فـ (القائمة) و (البينة) و (القريب) صفات وردت موضحة لما قبلها، فكان القيد دليلا وبرهانا يحفز

1 - ينظر: شرح المفصل: 3/ 600، همع الهوامع: 3/ 117، معاني النحو: 3/ 157 .
2 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 6/ 183.
3 - المصدر نفسه:11/ 136. وينظر : 1/ 100، 114، 5 / 124، : 6/ 272،212، 9/ 90، 111، 182، 10/ 147.
4 - النور/ من الآيتين 36 ، 37.
5 - شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: 4/ 86 - 87.
6 - ينظر شرح المفصل: 3/ 600، همع الهوامع:3/ 117، معاني النحو:3/ 157.
7 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 6/ 217.
8 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 9/ 37.

المتلقي على الالتزام بما امره به. ونظير مافات قوله 8: (وَأَتْرُكُم بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ، والرِّفَدِ الرَّوَافِغِ، وأنذَرَكُم بِالْحُجَجِ البَوَالِغِ)[1] ومثله ايضا قوله 8: (أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُم بِالثَّقَلِ الأَكْبَرِ، وَأَتْرُكْ فِيكُم الثَّقَلَ الأَصْغَرَ)[2] وفيه قيد الامام(الثقل)بالصفة (الاكبر)و(الاصغر) من أجل تمييزه لدى المخاطب.

المدح والتعظيم

وقد يعمد المنشيء أو المتكلم إلى التقييد بالصفة ليس لغرض ((ازالة اشتراك ولا تخصيص نكرة، بل لمجرد الثناء والمدح))[3] من ذلك قوله 8: (الحَمْدُ للهِ الفَاشِي فِي الخَلْقِ حَمْدُهُ، والغَالِبِ جُنْدُهُ، والمُتَعَالِي جَدُّهُ)[4] فقد أثرى التقييد بالصفات (الفاشي)، (الغالب)، (المتعالي) دلالة المدح والتعظيم لله تبارك وتعالى.

ومنه كذلك قوله 8: (عِبَادَ اللهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللهِ إِلَيهِ عَبْداً أَعَانَهُ اللهُ عَلَى نَفْسِهِ)[5] فقد تَمَّ تقييد المسند إليه (عبداً) بالنعت المتمثل في جملة أعانه الله على نفسه) إثراء لدلالة المدح والتعظيم له؛ لقهره نفسه الأمَّارة بالسوء، فاستحق بذلك محبة الله له.

ومن شواهده قوله 8 في ضرورة التمسك بالتقوى: (فَإِنَّ لَهَا حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، وَمَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ)[6] نلحظ هنا أَنَّه قد قيّد المسند إليه (حبلا) بالنعت (وثيقا عروته) ؛ اذ وصفه بانَّه محكم العرا، وممَّا زاد في تعزيز دلالة المدح مجيء التقييد في سياق استعاري، فكما أنَّ الحبل سببٌ من أسباب النجاة كذلك من يتمسك بتقوى الله فإنَّهُ ماسك بسبب لاينقطع يؤمّنه من المهالك ويصل به إلى برّ الأمان .وكذلك نلحظ قد قيد المعطوف (معقلا) بالنعت (منيعا ذروته) في سياق استعاري ايضا مثريا دلالة المدح والتعظيم للتقوى.

وشبيه مافات قوله 8 في الجهاد: (وهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى وَدِرْعُ اللهِ الحَصِينَةُ وَجُنَّتُهُ الوَثِيقَةُ)[7]ومثله قوله 8 في وصف الملائكة : (قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفَظَةً كِرَاماً)[8].

---

1 - المصدر نفسه : 193/6.

2 - المصدر نفسه: 6/ 289. وينظر أيضا:6/ 138، 270، 8/ 208، 9/ 61، 170، 10 / 27 ، 89/13.

3 - شرح المفصل: 1/ 601. وينظر: معاني النحو:3/ 157.

4 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 13/ 88.

5 - المصدر نفسه: 6/ 282.

6 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 13/ 84 .

7 - المصدر نفسه : 2/ 61

8 - المصدر نفسه: 10/ 92. وينظر أيضا: 5/ 124، 6/ 110، 191 ، 90/9، 113، 140، 178 ، 10/ 47، 62، 90 ، 13، 35 ، 69 .

الذَّمُّ والتحقير: [1]

ومن ذلك قوله 8 : (وإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الرِّجَالِ إِلى اللهِ لَعَبْداً وَكَلَهُ اللهُ إِلى نَفْسِهِ جَائِراً عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، سَائِراً بِغَيْرِ دَلِيلٍ)[2] لقد جاء المسند إليه المؤخّر (لعبدا) بالصفة (جائرا) و(سائرا) في مقام الذم والتحقير له، لاتصافه بهاتين الصفتين؛ إذ إنَّ كل من قاده هواه وذهب به كل مذهب عدل عن جادة الصواب، وصار أعمى يسير بغير دليل يدلهُ على الخير، وساعد في تأكيد ذلك التقييد بـ (إنَّ) ومجيء المسند إليه (لعبدا) نكرة مؤخّرة مؤكّدة بـ (لام الابتداء) ولولا القيد الوارد في سياق الخطاب ما أفيد هذا المعنى.

ومنه كذلك قوله 8 لمروان بن الحكم في البصرة عندما ضمن الحسن والحسين χ مبايعته لأمير المؤمنين: (إِنَّمَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ)[3] فقد اثرى تقييد المسند (كَفٌّ) بالصفة (يهودية) دلالة الذَّمِّ والخيانة والغدر وعدم الثبات تحقيرا له؛ ((إذ من شأن اليهود الخبث والمكر والغدر))[4]

1 - ينظر: شرح المفصل: 3/ 601، معاني النحو: 3/ 158.
2 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 7/ 85.
3 - المصدر نفسه:6/ 117. وينظر أيضا: 2/ 236، 9/ 27، 85، 105، 13/ 77.
4 - شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: 2/ 275 .

التوكيـــد : [1]

من ذلك قوله 8 : (وَهَنْ بَقْبِض بَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُم يَدٌ وَاحِدَةٌ، وَتُقْبَضُ مِنْهُم عَنْهُ أيدٍ كَثِيرَةٌ)[2] قيد 8 المسند اليه (يَدٌ) بالنعت (واحدة) على الرغم من أنَّ لفظ (اليد) دال على معنى الفردية، وأنَّها واحدة لاغير، وإنَّما وصفها بهذا الوصف ليؤكّد للمخاطبين إنَّ مايقوم به الشخص من إمساك يده عن تقديم المساعدة لعشيرته إنَّما يحرمهم بفعله ذلك يدا واحدة في حين يحرم هومن أيد كثيرة تمسك عنه عند الحاجة.

وشبيه ما فات قوله 8 في صفات المتقين : (وَتَخَلَّى عَنْ الْهُمُومِ إِلاَّ هَمّاً وَاحِداً انْفَرَدَ بِهِ)[3] فأفاد تقييد (هَمَّا) بالصفة (واحداً) تأكيد انفراده بذلك الهم والمتمثل في معرفة الله ومحاولة الوصول إلى سبحات نوره جل وعلا. ومثله كذلك قوله 8: (وإنَّما عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُود رَجُلٌ وَاحِدٌ)[4]. ومن شواهد دلالة التوكيد قوله 8 : (بَعَثَهُ والنَّاسُ ضُلاَّلٌ فِي حَيْرَةٍ وَخَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ قَدْ اسْتَهْوَتْهُم الأَهْوَاءُ، واسْتَزَلَّتهُم الكِبْرِيَاءُ، واسْتَخَفَّتْهُم الجَاهِلِيَّةُ الجَهْلاَءُ)[5] فقد جيء بصفة (الجهلاء) قيدا لغرض تأكيد متبوعه وهو المسند اليه (الجاهلية) فـ ((لفظ الجهلاء تأكيد للأوّل كما يقال: ليل أليل ووتد واتد))[6] ومثله كذلك قوله 8 في النبي الأكرم (9): (حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِس وَأَنَارَ عَلَماً لِحَابِس، فَهُوَ أَمِينُكَ المَأْمُونُ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ ، وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً وَرَسُولُكَ بِالحَقِّ رَحْمَةً)[7] فقد أثرى التقييد بالصفة (المأمون) دلالتي التاكيد والمدح معا. فعمل القيد هنا على تكثيف المعنى في سياق النص. وقد يأتي التقييد بالنعت ليفيد دلالة التأكيد والذم معا كما في قوله 8: (فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِإِبْلِيسَ إِذ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَجَهْدَهُ الجَهِيدَ)[8].

التقييد بـ (البدل)

---

1 - ينظر: شرح الكافية: 2/ 314، شرح المفصل: 1/ 601، معاني النحو: 3/ 158 .
2 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 1/ 286.
3 - المصدر نفسه : 6/ 282.
4 - المصدر نفسه : 10/ 201.
5 - المصدر نفسه : 7/ 51.
6 - شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني:2/ 529.
7 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 7/ 136.
8 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : 13/ 100. وينظر ايضا: 6/ 304، 9/ 92، 161، 194، 10/ 97، 13/ 148.

البدل في اللغة ((الخلف والعِوضُ))[1] وفي الاصطلاح:((التابع المقصود بالحكم بلاواسطة))[2] وهو مصطلح بصري[3]، ويسميه الكوفيون ((الترجمة والتبيين))[4] وقد جاء مصطلحهم هذا متساوقا مع الوظيفة الدلالية لقيد (البدل)؛ إذ يقوم على تبيين الاجمال في المبدل منه وتفصيله ممّا يجنّب المخاطب الوقوع في اللبس والغموض.

وقد درس البلاغيون قيد البدل في باب (التوشيع) وهو ((أن يؤتى في عجز الكلام بمثنّى مفسّر باسمين أحدهما معطوف على الآخر، كما جاء في الخبر ((يشيب ابن ادم وتشيب فيه خصلتان: الحرص وطول الامل))[5] فقوله: الحرص وطول الأمل بدل من (خصلتان) أفاد به الايضاح والبيان. فالغرض من البدل إذن هو ايضاح المعنى وازالة الالتباس عن ذهن المخاطب[6].((لأنَّ البدل مقصود بالحكم بعد ابهام))[7] ويؤتى بالبدل قيداً لأحد ركني الجملة أو كليهما لأغراض يروم المتكلم او المنشيء قصدها وايصالها إلى نفس المتلقي. وله في العربية اربعة اقسام [8]: بدل كل من كل او مايسمى بـ (بدل المطابقة)، وبدل بعض من كل وهو باب تخصيص العام، وبدل الاشتمال، وبدل الغلط او الاضراب او النسيان او ما يسمى بـ (المغايرة). لقد كان حضور هذا النوع من التقييد قليلافي سياقات الخطاب العلوي.

وقد شاع منه في تلك السياقات ثلاثة أنواع هي (بدل الكل، وبدل البعض، وبدل الاشتمال). فمن امثلة بدل الكل قوله 8: (وَاتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً بَيْنَكُم وَبَيْنَ عَدُوِّكُم: إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ)(9) نلحظ في النص أنَّ لفظة (إبليس وجنوده) قد وردت بدل كل من لفظة الاجمال(عدوكم) فأفادت بذلك التبيين مع التأكيد؛ إذ أوضح الإمام 8 للمخاطبين أنَّ عدوّهم الرئيس هو ابليس وأولياؤه وأعوانُهُ منبها إيَّاهُم بالحذر من أن يعديهم بدائه (التكبّر)، مبينا لهم أنّ السبيل الوحيد لردعه هو التسلّح بخلق التواضع. ومن شواهد بدل الكل مايفيد مع التبيين دلالة التفصيل من ذلك قوله 8: (وَسَبَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ) (10) فقد ورد في النص الشريف

---

1 - المعجم الوسيط مادة (بدل): 1/ 44.
2 - شرح الحدود النحوية: 25، وينظر : شرح ابن عقيل: 2/ 226.
3 - ينظر: الكتاب: 1/ 432.
4 - معاني القرآن: 1/ 7، 56، 2/ 58، 360. وينظر: همع الهوامع: 3/ 147.
5 - الإيضاح: 197. وينظر: المطول: 394، حسن التوسل: 274.
6 - ينظر: البرهان في علوم القران: 2/ 453 - 454، الإتقان: 2/ 70، دراسات لأسلوب القران الكريم: ق3 ج4: 49، البلاغة العربية - تأصيل وتجديد: 53.
7 - جواهر البلاغة : 161.
8 - وينظر: اللمع في العربية: 169، شرح المفصل:3/ 628-631، شرح جمل الزجاجي:1/ 252-254. همع الهوامع:3/ 147- 149، معاني النحو: 3/ 177- 184.
9 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : 13/ 105.
10 - المصدر نفسه : 8/ 91.

تفصيل ببدل الكل لما أجمل في لفظة (صنفان)؛ إذ قيّد 8 الهلاك بسببه في بنية تركيبية تضمنت عنصري التفصيل وهما: محب تجاوز وغإلى في حبّه له فذهب به ذلك الحبّ مذهب الهلكة، وآخر مبغض أفرط في بغضه وكرهه له فأورده ذلك البغض مورد الهلكة أيضا. فافاد القيد بذلك ذمّ الإفراط والتفريط لخروج كل منهما عن الحقّ والعدل.

ونظير ما تقدم قوله 8:(أَلاَ وإِنّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ:رَجُلاً ادَّعَى مَالَيْسَ لَهُ، وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ)[1] ويبدو لي أن هدف الإمام 8 من تضمين سياقات خطابه قيد البدل المبني على التفصيل من خلال بنية ثنائية هو ((تحقيق درجة معينة من التوصيل سالكا بذلك بناء اللاحق على السابق))[2]

ومن أمثلة بدل البعض قوله 8: (خَلَقْتَ دَاراً وَجَعَلْتَ فِيْهَا مَأدُبَةً: مَشْرَباً وَمَطْعَماً وَأَزْوَاجاً وَخَدَماً وَقُصُوراً وَأَنْهَاراً وَزُرُوعاً وَثِمَاراً)[3] وهذا النص من كلام له يصف فيه الجَنَّة موجها خطابه لله جلّ وعلا. فقد تَمَّ التقييد هنا بالبدل؛ إذ أجمل 8 في المبدل منه (مأدبة) التي جعلها الله تبارك وتعإلى في تلك الدار ثم أتى بالبدل ليبين صفات المجمل وهو (مشربا ومطعما وأزواجا وخدما، وقصورا وأنهارا وزروعا وثمارا) والمراد هنا (الجَنَّة) فأفاد بذلك القيد دلالة الترغيب في العمل لها.

ومن شواهد التقييد بـ(بدل الاشتمال) قوله 8 في ذكر أمر البيعة: (وَقَدْ قلّبْتُ هَذَا الأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ)[4] نلحظ أنَّ الإمام 8 في هذا النص قد جاء ببدل الاشتمال (بطنه وظهره) من أجل تفصيل النسبة في ((هذا الأمر))؛ لأنَّ علم المخاطبين بتقليب الامام لهذا الامر مجمل غير واضح الدلالة. فحدد الامام نسبة العلم باستعماله بدل الاشتمال، فافاد التقييد به أنَّه درس هذا الأمر وأنعم النظر فيه من كل جهاته حتى اقلق راحته ومنعه من النوم، فلم يجد بُدّاً من قبوله. فحقق بذلك ((البيان بعد الاجمال والتفسير بعد الابهام؛ لما فيه من التاثير في النفس))[5].

التقييد بـ (الشَّرط)

يُعرَّف الشَّرط بأنَّه: ((تعليق شيء بشيء، بحيث اذا وجد الأول وجد الثاني وقيل: الشرط: ما يتوقف عليه وجود الشيء، ويكون خارجاً عن ماهيته، ولا يكون مؤثراً في وجوده وقيل: الشرط: ما يتوقف ثبوت الحكم عليه))[6] ويمثل الشّرط واحدا من

1 - المصدر نفسه : 9/ 250. وينظر أيضا: 1/ 286، 2/ 138, 250، 7/ 5، 61، 9/ 140.
2 - لسانيات النص: 269.
3 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد :7/ 157.
4 - المصدر نفسه : 4/ 7.
5 - شرح الكافية:2/ 383. وينظر: دراسات لأسلوب القران الكريم: ق 3 ج4: 49.
6 - التعريفات: 104.

الأساليب المهمة في العربية؛ إذ يعتمد على مبدأ التعليق في صياغة بنيته التركيبية فهو ((أسلوب لغوي ينبني ــ بالتحليل ــ على جزاين الاول منزل منزلة السبب والثاني منزل منزلة المسبب، يتحقّق الثاني إذا تحقّق الأول وينعدم الثاني إذا انعدم الأول، لأنَّ وجود الثاني متعلّق على وجود الأول))[1] فتمام المعنى في بنية التركيب الشرطي يقتضي وجود جملتين الأولى للشرط ويطلق عليها (جملة الشرط) والأخرى للجزاء ويطلق عليها ((جملة جواب الشرط))[2] ويؤتى بالشرط قيدا لاعتبارات يقتضيها الحال والمقام يقول التفتازاني (ت 792هـ): ((تقييد الفعل بالشرط، نحو: (أكرمك إنْ تكرمني) أو (إنْ تكرمني أكرمك) فالاعتبارات وحالات تقتضي تقييده به، لاتُعرف إلاَّ بمعرفة ما بين أدواته أي: حروف الشرط واسمائه من التفصيل))[3] ولابدَّ من التنويه على أنَّ المعتبر لدينا هنا والذي عليه يقوم بحثنا هوجملة جواب الشرط، وقد جاءت مقيدة بالأدوات الآتية:

التقييد بـ (إنْ)

لقد عَدَّ سيبويه (إنْ) أُمَّ أدوات الشرط؛ اذ يقول: ((وإنَّما أجازوا تقديم الاسم في (إنْ) لأنَّها أُمُّ الجزاء ولاتزول عنه))[4] وقد علّل الزركشي (ت 749 هـ) ذلك بقوله: ((وأقواها دلالة على الشرط (إن) لبساطتها ولهذا كانت أم الباب، وما سواها فمركّب من معنى (إنْ) وزيادة منه))[5]ويؤتى بها للدلالة على الشرط المشكوك فيه؛اذ((إنَّ الأصل في (إنْ) أنْ لايكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه))[6] ((وإنَّما اشترط فيما تدخل عليه (إنْ) ان يكون مشكوكا فيه لأنها تفيد الحث على الفعل المشروط لاستحقاق الجزاء ويمتنع فيه لامتناع الجزاء))[7] ومن شواهدها في افادتها الامر المشكوك فيه ما جاء في كلام له 8 قاله قبل موته:(إنْ ثَبَتَتِ الوَطأَةُ فِي هَذِهِ الزَّلَّةِ فَذَاكَ، وإنْ تَدْحَضِ القَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا، فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ، وَهَبَبٍ رِيَاحٍ وَتَحْتَ ظِلٍّ غَمَامٍ اِضْمَحَلَّ فِي الجَوِّ مُتَلَفِّقُهَا وَعَفَا فِي الأَرْضِ مَخَطُّهَا)[8] فقد جاءت جملتا جواب الشرط في سياق شرطي مشكوك فيه ممّا استدعى تقييدهما بأداة الشرط (إنْ)؛ إذ أراد الإمام أن يقول: إنْ كان لي نصيب في النجاة والبقاء في هذه الدنيا فذاك ما نرجو وقد كنى عن ذلك بـ (ثبات الوطاة)، وإنْ زلّت القدم وكانت الأخرى وهي الرحيل عن الدنيا فإنَّا سبق وإن عشنا فيها وتمتعنا بها. وقد كنى عن الموت بـ (دحض القدم) كما نراه قد كنّى

1 - في النحو العربي نقد وتوجيه: 384.
2 - ينظر: همع الهوامع: 2/ 453، شرح الحدود النحوية: 132، التراكيب الاسنادية : 148.
3 - المطول: 315. وينظر : الإيضاح: 91.
4 - الكتاب: 1/ 134. وينظر: المقتصد:1119/2 ،الجنى الداني: 207 ، همع الهوامع:449/2.
5 - البرهان في علوم القرآن: 2/ 360.
6 - الإيضاح: 91. وينظر: مفتاح العلوم: 346، الطراز: 298،البرهان في علوم القرآن : 240/4 الإتقان: 149/1، الكليات: 407، البلاغة فنونها وأفنانها: 338-339.
7 - البرهان في علوم القرآن: 4/ 226، وينظر: خصائص التراكيب: 257.
8 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 9/ 90.

عن الدنيا وأحوالها بما ذكره من امور في جملة جواب الشرط الثانية [1] ومنه كذلك ماجاء في دعاء له : (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ)[2] يقول البحراني: ((إنَّ طلبه لغفرانها إنَّما هو على تقدير وقوعها منه فكأنَّه قال: اللهم إنْ صدر عنّي شيء من هذه الأمور فاغفره لي، وقد علمت أنَّه لا يلزم من صدق الشرطية صدق كل واحد من جزأيها فلا يلزم من صدق كلامه صدور شيء منه حتى يحتاج إلى المغفرة))[3] فالإمام 8 ــ كما هو معلوم ــ معصوم من المعاصي. ويحتمل أَنَّه أراد بالقيد الشرطي تأكيد رغبة الإمام في وقوع الجواب وهو معاودة المغفرة وتكرارها .

وممّا جاءت فيه (إنْ) دالة على شرط غير مقطوع بوقوعه قوله 8 من كلام له كلم به عبد الله بن زمعة لماّ قدم عليه في خلافته يطلب منه مالا: (فَإِنْ شَرِكْتُهُم فِي حَرْبِهِم، كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِم وإِلاَّ فَجَنَاةُ أَيْدِيهِم لاَتَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِم)[4] فجملة جواب الشرط (كان لك مثل حظهم) جملة فعلية خبرية قيدت بأداة الشرط (إن) لتضفي عليها معنى التعليق؛ إذ إنَّ أخذه للمال متعلّق بمشاركته لهم في الحروب؛ لأنَّ هذا المال مما جلبته اسيافهم، فافاد التقييد هنا دلالة التنبيه والاعتذار، وكذا الحال نفسها في جملة جواب الشرط (فجناة أيديهم ...). ومنه كذلك قوله 8 مخاطبا عمر بن الخطاب وقد شاوره الأخير في الخروج إلى غزو الروم: (فَإِنْ أَظْهَرَ اللهُ فَذَاكَ مَا تُحِبُّ، وإِنْ تَكُنْ الأُخْرَى كُنْتَ رِدْءاً لِلنَّاسِ وَمَثَابَةً للمسلمينَ)[5] ورد في النص جملتان شرطيتان جاءت جملة جواب الشرط في الأولى جملة اسمية خبرية قيدت بأداة الشرط (إنْ) كي تضفي عليها معنى التعليق فما يحب متعلّق بما يظهره الله من النصر والغلبة، في حين جاءت في الأخرى جملة فعلية خبرية مقيدة باداة الشرط (إنْ) لتضفي عليها معنى التعليق وتحول زمنه إلى المستقبل، فكونه ردءا للمسلمين وملجأ يلجؤون إليه متعلّق بالانكسار وعدم الانتصار .

وقد يؤتى بـ (إن) قيداً في التركيب الشرطي المقطوع بوقوعه؛ لافادة دلالة التوبيخ[6] انكارا لحدوث الفعل من فاعله . من ذلك قوله 8 : (فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ، هَيَّأَ لَهَا حَشْواً رَثّاً مِنْ رَأْيِهِ ثُمَّ قَطَعَ بِهِ ..... وإِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ اكْتَتَمَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ)[7] وهذان

1 - ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني:3/ 267.
2 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 6/ 141.
3 - شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: 290/2.
4 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 13/ 10.
5 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 8/ 227.
6 - ينظر: الإيضاح: 93، البلاغة فنونها وأفنانها : 344- 345.
7 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : 1/ 262.

المقطعان من كلام له 8 يصف فيه من يتصدى للحكم بين الناس وهوليس أهلا لذلك. فتهيئة الكلام الكثير الذي لاطائل من ورائه والجزم به من قبل القاضي الجاهل مع علمه بأنَّ ذلك ليس الحل المناسب لتلك القضية، وكذلك تغافله عمّا يرد عليه من الأمور لعلمه بجهل نفسه هما من الامور المقطوع بوقوعها من قبل القاضي الجاهل. غير أنَّ الامام 8 لما قصد دلالة الذَّمّ والتوبيخ أنزل هذين الأمرين منزلة غير المقطوع بوقوعهما عن طريق تقييد جواب الشرط بـ (إنْ) انكاراً منه لذلك الفعل وأنَّه يجب ان لايكون. ومنه كذلك قوله 8: (إِنْ هُوَ خَافَ عَبْداً أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لاَ يُعْطِي رَبَّهُ)[1] وهذا النص من خطبة له يذمُّ فيها مَنْ يدعي الخوف والرجاء من الله ولايعمل لهما. أراد الامام هنا أن يبيّن أنَّ خوف الانسان وخشيته من انسان مثله أكثر من خوفه من الله جلّ وعلا حتَّى يصل الأمر به إلى أن يعطيه من ذلك الخوف ما لايعطي خالقه. وما ذكره الامام أمرٌ مقطوع بوقوعه ثابت لاشك ولاريب فيه، ولماّ كان الامر غير مشكوك فيه نراه ينزلّه منزلة المشكوك لقبحه من خلال تقييد جملة جواب الشرط (اعطاه من خوفه ما لا يعطي ربَّه) بأداة الشرط (ان) ذمّاً وتوبيخا لمن يفعل ذلك. ونظير ماتقدم في افادة دلالة التوبيخ قوله 8 من خطبة له في التزهيد في الدنيا: (وإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ لَعَبْداً وَكَلَهُ إِلَى نَفْسِهِ جَائِراً عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ سَائِراً بِغَيْرِ دَلِيلٍ إِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الدُّنْيَا عَمِلَ، وإِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الآخِرَةِ كَسِلَ)[2] فقد جاءت جملتا جواب الشرط ((عَمِلَ))، ((كَسِلَ)) جملتين فعليتين خبر يتين مقيدتين بأداة الشرط ((إن)) على الرغم من أنَّ ما تَمَّ الإخبار به أمرٌ ثابت الوقوع لا محالة؛ وإنَّما أنزلهما منزلة المشكوك فيه بالقيد الشرطي (إن) لافادة دلالة التوبيخ إذ حريٌّ به أن يكون الأمر منه بالعكس، وقد أسهم في تعزيز هذه الدلالة التضاد القائم بين (الدنيا × الآخرة) فضلا عما اتشحت به العباراتان من التوازن الصوتي.

وقد يؤتى بـ (إن) لتفيد دلالة الاخبار فقط كما في قوله 8 وهو يصف الموتى: ((وَجُعِلَ لَهُم مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ فَهُمْ جِيرَةٌ لاَ يُجِيبُونَ دَاعِياً، وَلاَيَمْنَعُونَ ضَيْماً، وَلاَيُبَالُونَ هَتْكَ وَبَةٍ، إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا وإِنْ قَحَطُوا لَمْ يَقْنَطُوا))[3] فقد قيدت كل من جملة جواب الشرط (لم يفرحوا) وجملة جواب الشرط (لم يقنطوا) بأداة الشرط (إنْ)؛ إذ أوضحت كل منهما حال الموتى فهم إن اصابهم الغيث لم يفرحوا مثلما يفرح اهل الدنيا، وإنْ نزل بهم

1 - المصدر نفسه : 9/ 174.
2 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 85/7 .
3 - المصدر نفسه:7/ 178.

الجدب لم يقنطوا لعدم تضررهم به. ومثله كذلك ماجاء في دعاء له 8 إذ يقول: (إنْ أَوْحَشَتْهُم الغُرْبَةُ، آنَسَهُم ذِكْرُكَ، وإنْ صُبَّتْ عَلَيهِم المَصَائِبُ لَجَؤوا إلى الاستِجارةِ بِكَ)[1].

فجملتا الجزاء (آنسهم ذكرك) و (لجؤوا إلى الاستجارة بك) جملتان فعليتان خبريتان قيدتا بأداة الشرط (إنْ) لغرض افادة دلالة الإخبار؛ إذ أفادت في الأولى الاخبار بحصول

الاستئناس بذكر الله تعالى من قبل اوليائه فهو أنيس وحشتهم، في حين أفادت في الأخرى الإخبار بالتوكّل الخالص عليه والالتجاء به دون غيره عند نزول المكاره[2].

التقييد بـ (إذا)[3]

وهي من أدوات الشرط غير الجازمة ((والأصل في (إذا) أن يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه))[4] وقد وردت (إذا) قيدا في سياقات الخطاب العلوي دالة في الأغلب الأعم على شرط متيقن حصوله في المستقبل من الزمان من ذلك ما جاء في خطبة له خطبها في غارة الضحاك بن قيس بعد قصة الحكمين اذ يقول 8: (فَإذَا جَاءَ القِتَالُ قُلْتُم حِيدِي حَيَادِ[5])[6] يتحدث الامام في هذا النص عن أصحابه وكيف أنَّهم كانوا يتحدثون في مجالسهم عن القتال ومقارعة العدو فلما حان اوانه استصرخهم فتلكأوا في النهوض؛ لذا قيّد الإمام 8 جملة الجزاء ((قلتم حيدي حياد)) باداة الشرط (إذا) مفيدة وقوع الأمر منهم لامحالة، فتخاذلهم وعدم اجابتهم لدعوة الجهاد وكراهيتهم للحرب والفرار من العدو وكُلُّها امور صدرت منهم واقعا، وهو ماعبّرت عنه جملة الجزاء في معرض الذَّمّ والتوبيخ لهم.[7] ومنه كذلك قوله 8 في التنفير عن الدُّنيا:(حَتَّى إذَا أَنِسَ نَافِرُهَا واطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا قَمَصَتْ[8] بِأَرْجُلِهَا

1 - المصدر نفسه : 11/ 205.
2 - ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: 4/ 109- 110.
3 - ينظر : الكتاب: 3/ 60- 63، المقتصد: 2/1117-1119، الجنى الداني: 367، معاني النحو: 4/ 61.
4 - الإيضاح: 91. وينظر: مفتاح العلوم: 347، البرهان في علوم القرآن: 2/ 360، خصائص التراكيب: 157، البلاغة فنونها وأفنانها: 338.
5 - حيدي: ميلي. لسان العرب مادة (حيد): 3/ 413.
6 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:2/ 90.
7 - ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: 2/ 74.
8 - قمصت الفرس وغيره يقمص قمصا وقماصا أي استنَّ وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معا ..... والقامصة النافرة الضاربة برجلها. لسان العرب مادة (قمص): 27/11

وَقَنَصَت[1] بِأَحْبُلِهَا، وأَقْصَدَت بِأَسْهُمِهَا، وأَعْلَقَت الهرءَ أَوْ هَاقَ الهبَّةِ)[2] تَمَّ تقييد جملة الجواب (قمصت) وكذا المعطوف بأداة الشرط (إذا) للدلالة على القدرة التي عليها

الدنيا وأنَّ هذه الافعال متيقن حدوثها من قبل الدنيا تجاه الانسان بعد ان يانس بها ويطمئن لها. ومما عزّز هذه الدلالة في النص اعتماده الجمل الفعلية الدالة على التجدد والحدوث؛ اذجاءت قصيرة، مؤثّرة، معبّرة لاعتمادها الاستعارات التصريحية الداخلة في رسم صور حسية بصرية اثرت دلالات النص، لأنَّها مستمدة من الحياة العربية المألوفة لدى المتلقين آنذاك كما وشّح الجناس اللاحق بين (نافرها / ناكرها)، (قمصت/ قنصت) مع يتمتع به من سجع لطيف النص بفيض من الايقاع والنغم الموسيقى الجميل. ومن شواهدها قوله 8: (إِنَّ الفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ، وإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ)[3] لقد جاءت جملتا الشرط (شبهت) (نبهت) جملتيين فعليتين مقيدتين بأداة الشرط (إذا) الدالة على حصولهما لا محالة؛ إذا إنَّ امتزاج الحقّ بالباطل وعدم قدرة الناس على التمييز بينهما أمرٌ ثابت واقع لاريب فيه عند ادبارها؛ وذلك من خلال ماتتركه بين عامة الناس من الهرج والمرج واضطراب الأحوال. جاء ذلك في مقام التنبيه والتحذير منها. ومنه كذلك قوله 8: (فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الوَالِي حَقَّهُ وأَدَّى الوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ الحَقُّ بَيْنَهُم، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، واعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ العَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا السُّنَنُ، فَصَلُحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ، وطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّولة، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الأَعْدَاءِ)[4] فقد قيّد الإمام 8 اعزاز الحقّ، واظهار الدّين وانتصاب معالم القسط، واتيان السُّنن من دون تحريف بايفاء كل من الرعية والوالي بما شرطه من أداء كلّ ذي حقٍّ حَقَّه، وإنزال كل مزلته ؛ إذ إنَّ اعزاز الحق منوط بأداء كل من الرعية والوالي الحقَّ إلى صاحبه.

التقييد بـ (لـو)[5]

تستعمل اداة الشرط (لو) ((فيما لايتوقع حدوثه، وفيما يمتنع تحققه أو فيما هو محال))[6] إذ يؤتى بها للتعبير عن ((أمنية من الأماني أو ممّا لارجاء في تحقيقه، ولا طمع

في وقوعه))[7] وقد وردت (لو) قيدا في سياقات الخطاب العلوي. من ذلك قوله 8: (وتاللهِ لَوْ انْحَاشَتْ قُلُوبُكُم انحِيَاشاً، وَسَالَتْ عُيُونُكُم مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أو رَهْبَةٍ مِنْهُ دَماً ثُمَّ عُمِّرْتُم فِي الدُّنْيَا – مَا

1 - قنص الصيد يقنصه قنصا واقتنصه وتقنصه صاده. لسان العرب مادة (قنص) : 63/11

2 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: 6/ 195.

3 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : 7/ 35.

4 - المصدر نفسه: 70/11. وينظر ايضا: 1/ 62، 5/4 ، 5 /108، 118، 197/6، 211، 212، 338، ، 7/ 59، 66، 9/ 101، 10/ 54، 70/11 ،13/ 114، 127.

5 - ينظر: الكتاب: 4/ 224، الجنى الداني: 288، شرح ابن عقيل:353/2، مغني اللبيب: 1/ 223، معاني النحو: 4/ 76، التراكيب الاسنادية: 154- 156.

6 - في النحو العربي نقد وتوجيه: 291.

7 - في النحو العربي نقد وتوجيه: 297.

الدُّنيَا باقية - مَاجَزَتْ أَعْمَالكُم - وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئاً مِنْ جُهْدِكُم - أَنْعُمَهُ عَلَيْكُم العِظَام وَهُدَاهُ إيَّاكم للإيمانِ)[1] فقد افاد تقييد جملة الجواب ((ما جزت اعمالكم)) باداة الشرط (لو) انتفاء حصوله، لانه مما يمتنع تحققه؛ اذ ((لو وجد هذا العابد ماكانت عبادته بكمها وكيفها تعدل شيئا من نعم الله وهدايته للايمان))[2] ومنه ايضا قوله 8: (وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِيْنَ تَنْزِلُ بِهِم النِّقَمُ، وَتَزُولُ عَنْهُم النِّعَمُ، فَزَعُوا إلى رَبِّهم بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهم وَوَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِم، لَرَدَّ عَلَيْهِم كُلَّ شَارِدٍ، وَأَصْلَحَ لَهُم كُلَّ فَاسِدٍ)[3] فقد قيّدت جملة الجواب ((لرد عليهم كل شارد، وأصلح لهم كل فاسد)) بأداة الشرط (لو) لافادتها دلالة انتفاء أن يرد الله عليهم كل نعمة ذهبت عنهم أو أن يصلح ما فسد من سائر أحوالهم؛ لانتفاء توجههم إليه بنيّات صادقة وقلوب حاضرة إذ ((إنَّ الفزع إلى الله بصدق النيّة وولـه القلب وتحيره وذهوله عن كُلِّ شيء سوى الله يعد الإعداد التام لافاضة المطالب سواء كانت عود نعمة أو استحداثها أو زوال نقمة او استنزالها على عدو))[4] وممّا ساعد في ترسيخ ذلك وتعزيزه في النص وقوع (اللام) في جواب جملة الشرط لا فادتها معنى التاكيد.[5] فضلا عمّا أشاعه السجع المتوازي من نغم موسيقي اتشحت به فاصلتا الفقرتين. ومنه كذلك قوله

8 من خطبة له خطبها بصفين: (لَوْ كَانَ لأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلاَ يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصاً للهِ سُبْحَانَهُ دُوْنَ خَلْقِهِ، لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ)[6] أفاد تقييد جملة الجزاء ((لكان ذلك خالصا لله سبحانه دون خلقه)) باداة الشرط (لو) انتفاء حدوثه؛ لأنَّه ممّا يمتنع وقوعه لغير الله تبارك وتعالى؛ إذ لو وجد من يجري له الحقّ ولا يجري عليه لكان الله تعالى أحق بذلك دون خلقه، وإنَّما أخلص الإمام 8 ذلك لله جلّ وعلا دون غيره لقدرته على عباده وأخذه الحَقّ منهم من غيرأن يترتب عليه شيء لهم لعدله فيهم وهذا ما أوضحته الملازمة الشرطية في سياق النص،[7] كما اسهم في تعزيز ذلك دخول (اللام) على جملة الجزاء لافادتها دلالة التأكيد. ونظير ما تقدم قوله 8: (وَاللهِ لَوْ أُعطِيْتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أفلاكها عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا

1 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: 262/3.
2 - في ظلال نهج البلاغة: 291/1.
3 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: 10/ 49.
4 - شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: 3/ 464.
5 - ينظر: شرح المفصل: 9/ 22، معاني النحو: 4/ 80.
6 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: 11/ 68.
7 - ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: 4/ 51.

فَعَلْتُهُ)[1] لقد تَمَّ تقييد جملة جواب الشرط (ما فعلته) بأداة الشرط (لو) للدلالة على استحالة وقوعه منه، وممّا عزّز من دلالة ذلك في النص قيام السياق الشرطي على فرض محال ابرزه فعل الشرط ((لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها))؛ اذ من المحال ان يملكها شخص، ومع ذلك يرفضها الامام 8 مقابل ظلم بسيط يوقعه على نملة يسلبها جلب شعيرة فهو يزهد ((في الكون بجميع أقاليمه طالبا لماهو أكثر وأعظم ورغبة في ثواب الله ورضوانه))[2] وقد أسهم في ترسيخ ذلك تأكيد السياق الشرطي بالقسم البار (ولله). وبناء صيغة الجملة الشرطية للمجهول لما لهذا البناء من تفخيم الأمر وتعظيم شأنه.

وقد يؤتى بأداة الشرط (لو) قيدا في السياق للدلالة على معنى التمنّي كما في قوله 8: (وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُم فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي، وَنَخَلْتُ لَكُم هَخْزُونَ رأيي لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ)[3] كما يلحظ هنا أنَّ الإمام 8 قد أدخل التناص النثري في هذا القول من خلال افادته من المثل الشهير ((لو كان يطاع لقصيرٍ أمرُ))[4] ليعكس دلالات المثل على التحسر. ويعضد تحسره وأسفه وألمه على عصيان أصحابه رأيه وأمره في مسالة التحكيم. ومثله قوله 8 : (فَيَا لَهَا أَمْثَالاً صَائِبَةً وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً لَوْصَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً، وأَسْمَاعاً وَاعِيَةً، وآرَاءً عَازِمَةً، وألبابا حَازِمَةً)[5] وكذلك قوله 8 في ذَمّ العاصين من أصحابه: (قَدْ دَارَسْتُكُم الكِتَابَ، وَفَاتَحْتُكُم الحِجَاجَ، وَعَرَّفْتُكُم مَا أَنْكَرْتُم، وَسَوَّغْتُكُم مَا هَجِبْتُم، لَوْ كَانَ الأَعْمَى يَلْحَظ أو النَّائم يَسْتَيقظ)[6] وشبيه ما فات قوله 8 في ذَمّ اهل العراق: (كَلاَّ واللهِ لكنَّها لَهْجَةٌ غَبِتُم عَنْهَا، وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا وَيْلَ أُمِّهِ كَبْلاً بِغَيْرِ ثَمَنٍ لَوْ كَانَ لَهُ وعاء)[7].

التقييد بـ (القصر)

1 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: 11/ 188. وينظر أيضا:1 /250، 275، 303، 2/ 102، 3/ 93، 262، 4/ 26، 6/ 44، 312، 7/ 55، 138، 8/ 88، 9/ 213، 10/ 11، 73، 11/ 19، 13/ 44، 100، 114، 117.
2 - في ظلال نهج البلاغة: 3/ 318.
3 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:163/2.
4- ورد هذا المثل بصيغة اخرى هي ((لا يطاع لقصيرٍ أمرُهُ)) . مجمع الامثال: 3 / 198وينظر ايضاً:1/ 414.
5 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد :6/ 201.
6 - المصدر نفسه : 10/ 54.
7 - المصدر نفسه : 6/ 101.

يُعرَّف القصر بأنَّه ((تخصيص أمر بآخر مخصوص، ويقال أيضا: اثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه))[1]، ويرافق مصطلح (القصر) مصطلح آخر وهو (الحصر) وهو ما أشار اليه السيوطي بقوله: ((أمَّا الحصر، ويقال له القصر، فهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص))[2] ولقد أوضح السكاكي دلالة أسلوب القصر بأنَّه ((ليس إلا تأكيدا للحكم على تأكيد))[3] ولم يقتصر التعبير على هذا الاسلوب وتأدية معناه على صيغة واحدة، بل كان له أنواع متعددة وطرائق متنوعة، يحمل كل نوع منها معاني ودلالات تختص به، وهو ما يترك للمتكلم حرية اختيار ما يتناسب والمعنى الذي يبتغي ايصاله للمخاطب. وقد قصرنا الحديث هنا على اثنين منها حسب هما: القصر بـ (إنَّما)، والقصر بـ (النفي وإلاَّ).

القصر بـ (إنـما)

وتتألف أداة القصر (إنَّما) من تضام أداتين هما: (إنَّ) التي هي لتأكيد النسبة، و (ما) الكافة.[4] وقد نوّه السكاكي إلى ذلك مبينا دلالتها على معنى القصر يقول ((أنَّ كلمة (أن) لما كانت لتأكيد اثبات المسند للمسند إليه ثُمَّ اتصلت بها (ما) المؤكّدة لا النافية على مايظنّهُ من لا وقوف له بعلم النحو ضاعف تأكيدها فناسب أن يضمن معنى القصر))[5] كما أشار الدكتور مهدي المخزومي إلى أنَّ طبيعة التلازم القائمة بين الاداتين تنتج معنى جديد غير المعنى التي كانتا عليه قبل التضام إذ يرى أنَّ الكلمتين ((إذا ركبتا وكان لكل منها معنى على حدة اصبح لهما بعد التركيب معنى جديد وحكم جديد وقد تغيرت دلالتهما على التوكيد من كونه توكيدا إلى كونه توكيدا قاصرا أو حاصرا، أو بعبارة أوضح من كونه توكيدا إلى كونه توكيدا مشدّدا))[6] وللقصر بـ (إنَّما) دلالتان: الأولى: الاختصاص؛ إذ إنَّها تفيد اثبات الحدث المشار إليه في سياق الكلام لما بعده ونفيه عن غيره فإذا قيل: إنَّما جاءني زيد، عرف المخاطب أنَّ الجائي (زيد) لا غيره .[7] وهذا يعني أنَّ أداة القصر(إنَّما)((لا تأتي إلاَّ حين يراد تصحيح معتقد او ظن يذهب إلى نقيض المفهوم))[8] أمَّا الدلالة الأخرى فهي التعريض[9] ــ نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا

1 - الاتقان: 2/ 49. وينظر : مفتاح العلوم : 400، شروح التلخيص: 2/ 166، البلاغة العربية - قراءة أخرى- :260، أساليب المعاني في القرآن : 139.
2 - الاتقان:2/ 49.
3 - مفتاح العلوم : 403. وينظر : الايضاح : 126.
4 - ينظر الجنى الداني: 38.
5 - مفتاح العلوم: 403.
6 - في النحو العربي نقد وتوجيه: 338- 339.
7 - ينظر: دلائل الإعجاز: 332. وحسن التوسل : 176.
8 - دلالات التراكيب: 139.
9 - ينظر: دلائل الإعجاز: 345. وحسن التوسل: 177.

الأُلْبابِ ﴾[1] ويبيّن عبد القاهر الجرجاني سبب ذلك بأنَّها تضمّن الكلام دلالة النفي من بعد الاثبات.[2] كما نراه يوضّح لنا بحسه المرهف السياق الذي تاتي فيه هذه الأداة فيقول: ((اعلم أنَّ موضوع (إنَّما) على ان تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته أو لما ينزل هذه المنزلة تفسير ذلك أنَّك تقول للرجل: إنَّما هو أخوك، وإنَّما هو صاحبك القديم، لا يقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقرُّ به إلاَّ إنَّك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب))[3] فالغاية اذن من ايراد المتكلم لـ(إنَّما) في ثنايا سياق كلامه هي تنبيه المخاطب على أهمية أمر معيّن لا يجهله لغرض تأكيده وتقريره في ذهنه. ولعلَّ من الجدير بالذكر الإشارة إلى أنَّ من الباحثين من يرى لهذا الأداة دلالة أخرى هي أنَّها ((تحقّق مبدأ الاقتصاد اللغوي؛ لأنَّها نمط تعبيري يتسم بالايحاء وثراء الدلالة والتعبير عن المضمون بأقصر عبارة واقل مفردات))[4] من ذلك قوله 8 للخوارج: (إنَّما اجتَمَعَ رَأيُ مَلَئِكُم عَلَى اختِيارِ رَجُلَينِ أَخَذنَا عَلَيهِمَا أَلاَّ يَتَعَدَيَا القُرآنَ فَتَاهَا عَنهُ)[5] أراد الإمام 8 في هذا النص تنبيه أذهان المخاطبين إلى أنَّ أمر قبول التحكيم واختيار رجلين جاء بناء على ما اتفقت عليه آراء قومهم، فجيء بأداة القصر (إنَّما) تاكيداً لذلك الأمر ونفيا لتعيينه لهما، ويلحظ هنا أنَّ التعبير بـ (إنَّما) قد ورد في سياق دلالي موجه لمن يعلم مضمون الخبر ولا يجهله. وشبيه ما تقدم قوله 8: (إنَّما طَلَبْتُ حَقّاً لِي وَأَنْتُم تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ)[6] أفاد التقييد باداة القصر (إنَّما) تأكيد أحقيته وأولويته في هذا الأمر (الخلافة) وهو ما يستلزم نفي الحكم عن غيره. ومن ذلك قوله 8: (إنَّما مِثْلِي بَيْنَكُم مِثْلُ السِّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا)[7] فقد أثرى القصر هنا تأكيد تشبيه وجوده 8 بين أصحابه بالسراج الذي يستضاء به في الظلمة؛ إذ إنَّ ((الطالبين للهداية منه 8 والمتبعين له يستضيئون بنور علومه وهدايته إلى الطريق الأرشد كما يهتدي السالكون في الظلمة بالسراج وهذا يستلزم تشبيه أحوالهم بالظلمة ونسبتهم بالمغمورين فيها لولا وجوده 8 فيهم))[8] ولا يخفى على القارىء في أنَّ تأكيد ذلك يستلزم نفي غيره. ومنه كذلك قوله 8:(إنَّما

1 - الرعد/ من الآية 19
2 - ينظر: دلائل الاعجاز: 347.
3 - ينظر: دلائل الاعجاز: 327- 328 . وينظر: الايضاح: 129.
4 - الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الاعجاز : 286.
5 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : 8/ 91.
6 - المصدر نفسه : 9/ 233.
7 - المصدر نفسه : 13/ 72.
8 - شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: 4/ 218.

حَظُّ أَحَدِكُم مِنَ الأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ والعَرْضِ قَبْرُ قِدِّه مُنَعَفِّراً عَلَى خَدِّهِ))[1] ففي هذا المقطع اسهم قيد القصر (إنَّما) في اغناء دلالة التأكيد فضلا عن تذكيرالمخاطب وتوجيه عنايته لامر معلوم والانتباه له؛ فلا شك في أنَّ نصيب كُلِّ امرىء من هذه الدنيا ــ مهما جد واجتهد ــ هو ((مقدار قامته وهو كناية عن قبره))[2]. فضلا عما توحيه بتزهيد الناس بالحياة الدنيا ودعوتهم لما فيه خيرهم في الحياتين.

القصر بـ (النفي وإلاَّ) :

اشار سيبويه إلى أنَّ اجتماع (النفي وإلاَّ) في التركيب الجملي يفيد دلالة القصر؛ إذ يقول: ((فَأمَّا الوجه الذي يكون فيه الاسم بمنزلته قبل ان تلحق (إلاَّ) فهو ان تدخل الاسم في شيء تنفي عنه ما سواه وذلك قوله: ما أتاني إلاَّ زيداً وما لقيت إلاَّ زيداً، وما مررت إلاَّ بزيدٍ تجري الاسم مجراه، إذا قلت ما أتاني زيدٌ ، وما لقيت زيداً وما مررت بزيد ولكنّك أدخلت (إلاَّ) لتوجب الأفعال لهذه الأفعال ولتنفي ما سواها))[3] كما نوّه إلى هذا المعنى المبرد (ت 286 هـ) بقوله : ((وإنَّما احتجت إلى النفي والاستثناء لأنَّك اذا قلت جاءني زيد فقد يجوز أن يكون معه غيره فاذا قلت ما جاءني إلاَّ زيد نفيت المجيء كله إلاَّ مجيئه))[4] وقد سمّى النحاة هذا النمط من القصر بالأَستثناء المفرّغ، وهو أمر لَم يقبل به الدكتور مهدي المخزومي مبينا علّة ذلك بقوله: ((وإلاَّ هذه ليست استثناءً وإنَّما هي مسبوقة بالنفي أداة قصر ووظيفتها قصر ما قبلها على ما بعدها، والقصر توكيد وايجاب أبداً وهذا هو ما يفرّق بينها وبين إلاَّ في الأَستثناء لأنَّ وظيفة إلاَّ في الأَستثناء اخراج ما بعدها من حكم ماقبلها، فهما مختلفتان ولذلك كان عدُّ النحاة إيّاها في الأَستثناء خلطا، وتسميتها بالأَستثناء المفرغ ضربا من التكلّف))[5] وفي ضوء ما تقدم يتضح لنا أنَّ القصر بـ (النفي + إلاَّ) يفيد تحقيق دلالة الأَختصاص، وهو ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني من خلال تحليله للبنية العميقة لتركيب النفي والأَستثناء يقول: ((واعلم أنه اذا كان الكلام بـ (ما وإلاَّ) كان الذي ذكرته من أنَّ الأَختصاص يكون في الخبر إن لم تقدمه وفي المبتدأ إنْ قدّمت الخبر أوضح وأبين: نقول: (ما زيدٌ إلاَّ قائمٌ) فيكون المعنى أنَّك اختصصت القيام من بين الأوصاف التي يتوهّم كون زيد عليها يجعله صفة له. وتقول: (ما قائِمٌ إلاَّ زيدٌ) فيكون المعنى أنَّك اختصصت زيدا بكونه موصوفا بالقيام، فقد قصرت في الأول الموصوف على الصفة، وفي الثاني الصفة على الموصوف))[6] كما نراه

1 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 6/ 217. وينظر أيضا: 1/ 277، 2/ 234، 3/188 ،6/ 300، 7/231،192، 8/ 83، 9/37 ،72، 75، 10/ 71، 201.
2 - شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: 2/ 359.
3 - الكتاب: 2/ 310.
4 - المقتضب: 4/ 595.
5 - في النحو العربي نقد وتوجيه: 240.
6 - دلائل الإعجاز: 338- 339 . وينظر: حسن التوسل: 175، البرهان في علوم القرآن:2/ 240، نحو المعاني: 135.

يوضّح لنا ــ بفكره الثاقب ــ السياق الدلالي لاستعمال هذا النوع من القصر فيقول: ((وأمَّا الخبر بالنفي وإلأَّثبات نحو: (ما هذا إلاَّ كذا وإنْ هُوَ إلاَّ كذا) فيكون لأمر ينكره المخاطب ويشك فيه))[1] وقد ورد القصر بـ (النفي + إلاَّ) قيداً في سياقات الخطاب العلوي من ذلك قوله 8: (لاَ يَحْمِدُ حَامِدٌ إلاَّ رَبَّهُ، وَلاَ يَلُم لاَئِمٌ إلاَّ نَفْسَهُ)[2] أفاد القصر بالقيد (لا+ إلاَّ) لفت انتباه المخاطب إلى تخصيص الحمد والشكر بالله جل وعلا دون غيره، وكذا تخصيص اللائمة بالنفس لانحرافها عن جادة الحق وهذا من قبيل قصر الصفة على الموصوف وإنَّما جاء التقييد بـ (النفي وإلأَّستثناء) تأكيدا لدلالة إلأَّختصاص. ومنه كذلك قوله 8 في وصف القرآن: (وَلاَ تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إلاَّ بِهِ)[3] فقد حصر الإمام 8 رفع الشبهات في القرآن دون غيره، رغبة منه في تنبيه المخاطب إلى أهمية هذا الأمر، فالقرآن طريق نور وهداية، وقد جاء به مقيدا بـ (النفي وإلأَّستثناء) ليؤكّد التخصيص المذكور وليزيل إلأَّنكار والشك من ذهن المخاطب. وشبيه ما فات أيضا قوله 8: (واعْلَمْ أَنَّه لَيْسَ مِن شيء إلاَّ وَيَكَادُ صَاحِبُهُ

1 - دلائل الإعجاز: 329. وينظر: الايضاح : 127.
2 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد : 1/ 254.
3 - المصدر نفسه: 266/1.

يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمَلُّهُ إلاَّ الحياة فَإنَّهِ لاَ يَجِد فِي المَوت رَاحَةً)[1] فقد أراد الإمام 8 من خلال التقييد بـ (ليس) و (إلاَّ) ازالة حالة الشك والإنكار من ذهن المخاطب إذ قد يتبادر إلى ذهنه أن حالة الشبع والملال تشمل الحياة أيضا، فأكّد له بواسطة القيد عدم الملل من الحياة. ومما زاد في تأكيد التخصيص مجيء (من) الزائدة في قوله: ((من شيء)). ومن ذلك أيضا قوله 8: (وأَيْمُ اللهِ مَا كَانَ قَوْمٌ قط فِي غَضِّ نِعْمَةٍ من عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُم إلاَّ بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا)[2] عمد الإمام من خلال قيد القصر إلى تنبيه المخاطبين إلى أنَّ زوال النقم عنهم وحلول النعم عليهم منوط بما يقترفونه من ذنوب ومعاصي، فهو لما أراد دلالة الحصر نراه يقيد كلامه لهم بالقصر بـ (ما) و(إلاَّ) تأكيدا للاختصاص، ومما زاد من دلالة التأكيد في سياق النص ورود القسم (وأيم الله). ومثله كذلك قوله 8: (وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُم أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا لاَ يَخَافُ مِن عَيْبِهِ إلاَّ مَخَافَةَ أن يَسْتَقْبِلَه بمثله)[3]. وإنَّما تم التقييد بقصر الخبر بـ (ما) و (إلاَّ) لتأكيد الأَختصاص.

1 - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: 8/ 219.
2 - المصدر نفسه: 10/ 49.
3 - المصدر نفسه : 192/7. وينظر: أيضا: 2/ 138، 163، 241، 154/3، 262، 4/ 7، 11، 5/ 118، 6/ 133، 205، 7/ 142، 8/ 88، 201، 9/ 72، 10 / 47، 49.

الخاتمة

الخاتمة

بعد هذهِ الرحلة في رحاب الخطاب العلوي ، وتحليل نصوصه التي وردت فيها هذهِ الثنائيات التركيبية يمكن لنا أن نستخلص بإيجاز أهم النتائج التي تمخض عنها البحث .

- إنَّ أبرز ما يلفت الانتباه في الخطب العلوية تلك اللغة التي تميّزت بها ، والتي انمازت بجودة السبك ، وروعة التأليف ، على نحو يجعلها تنبض بروح صاحبها فتؤثر في مشاعر متلقيه ووجدانهم .
- لقد جاءت لغة الخطب العلوية معبرة أدق تعبير عن المضمون الفكري والوجداني للإمام علي (8) وتوجهاته .
- كشف الفصل الأول عن تنوع الاستعمال اللغوي لثنائية التقديم والتأخير ؛ إذ أفاد تقديم المسند إليه (المبتدأ) في سياق الخبر المثبت دلالات بلاغية منها (كونه أصلا ولا مقتضى للعدول عنه ، الاهتمام والعناية ، التعظيم والتنويه ، المدح ، التحقير) على حين جاء تقديمه في السياق الاستفهامي قليلا جداً .
- أوضح البحث أنَّ تقديم الخبر المفرد على المبتدأ لم يرد في الخطب العلوية الاَّ مرتين في نمط لغوي واحد تمثل في تقديم خبر (كان) على اسمها مفيداً بذلك حصر ذهن المخاطب في خبر واحد دون أن يتشظى ذهنه في توقعات كثيرة .
- يرى البحث أن دلالة تقديم المسند (الخبر) الجار والمجرور على المبتدأ (المعرفة) لا تنحصر في دلالة الاختصاص فحسب كما ذهب إلى ذلك اغلب البلاغيين ، و إنَّما تتعدّد وتتنوّع دلالاته تبعا لتنوع مقامات الكلام . كما ورد تقديمه في سياق النفي في أربعة مواضع فقط.
- أفاد تقديم (كل) في سياق الإثبات دلالة الاستغراق وتعميق معنى التفرّد في مقام المدح أو الذّمّ . على حين أفاد تقديمها في سياق النفي دلالة سلب العموم كما جاءت متأخرة في ستة مواضع تميزت جميعها بأن اقتصرت دلالتها على تأكيد الخبر وتثبيته في ذهن المخاطب فضلا عن رفع احتمال الخصوص بما ظاهره العموم جاء ذلك في مواقف حاول الإمام فيها إثبات رأي وإقناع الآخرين به .
- ورد تقديم المسند إليه (الفاعل) على الفعل في سياق النفي في سبعة مواضع تلبية لحاجة معنوية ، على حين جاء تقديمه في سياق الاستفهام في ثلاثة مواضع ، أمَّا تقديمه في سياق الإثبات فأفاد في الأغلب الأعم ثلاث دلالات هي (جذب الانتباه ، التوكيد وتقوية الحكم ، الأهمية) .
- أوضح البحث أنَّ تقديم المفعول به على فاعله في سياق النفي غالبا ما يفيد دلالة الاهتمام والعناية بالمتقدّم ، وعادة ما يتمّ ذلك في المناجاة الإلهية أو الحديث

عن الصفات الإلهية في حمد الله أو في الأدعية . كما ورد في سياق الاستفهام في موضعين . لينبّه المخاطب على أن محورية الاهتمام تدور حول المتقدّم ، أمَّا تقديمه في سياق الإثبات فأفاد دلالات (تقديم المفعول به لكثره الألفاظ المتعلّقة بالفاعل ، دفع توهم إرادة غير المراد ، تقديمه لالتصاقه بالفعل) على حين حقّق تقديمه على الفعل دلالات معنوية أشارت إليها السياقات المختلفة التي ورد فيها .

- جاءت شبه الجملة (الجار والمجرور أو الظرف) مقدّمة على المسند (الفعل) في سياقات الكلام المختلفة (النفي ـ الاستفهام ـ الإثبات) محققة بذلك دلالات معنوية وفي مقدمتها دلالة (الاختصاص) . كما لاحظ البحث أنَّ الظرف لم يقدّم على المسند (الفعل) في سياق النفي .
- لقد أفاد تقديم شبه الجملة (الجار والمجرور أو الظرف) على المسند (الخبر) الدلالة نفسها في تقديمها على المسند (الفعل) وهي (الاختصاص) ، على حين أفاد تقديمها على المسند إليه (الفاعل ونائبه) دلالة (العناية والاهتمام) وهي الدلالة نفسها التي أفادتها في تقديمها على المفعول به .
- جاء التركيز منصبا على الضمير الغائب فالمتكلم ثُمَّ المخاطب وهو ما أتى منسجما ومقتضيات الخطاب العلوي .
- لاحظ البحث عدم اقتصار مجيء المسند إليه معرّفا بضمير المتكلم على دلالة (إثبات الحديث في مقام التكلّم) بل جاء محملاً بفيوضات دلالية أخرى قصدها الإمام (8) أتت متساوقة والموقف العام أبرزها (الفخر، الشكوى ، التحسّر، الوعيد ، توكيد المعنى وتثبيته ، الإخبار بتحقيق الأمر) .
- لاحظ البحث مجيء المسند إليه معرّفا بضمير المخاطب موجها إلى مخاطب غير مشاهد لكنه حاضر في الذهن والقلب ويكثر هذا في خطاب الذات الإلهية لاسيما في مقام الدعاء وتعداد صفات الله وقد يأتي موجها إلى غير معيّن ليفيد دلالة العموم.
- مثل حضور ضمير الغائب سمة أسلوبية بارزة في الخطاب العلوي فهو يفوق ضميري (المتكلّم والمخاطب) وعموم سياقاته جاءت للدلالة على التعظيم والتفخيم أو المدح أو التحقير .
- كشف مجيء المسند إليه معرّفا بـ (العلمية) عن دلالات دقيقة أبرزها (قصد استحضار مدلوله بعينه في ذهن المخاطب ، التعظيم ، التحقير ، التفاؤل) أمَّا تعريف المسند (الخبر) فلم يرد في الخطاب العلوي إلاَّ في نماذج قليلة جداً محققاً بذلك دلالتين هما : (استحضار مدلوله بعينه لدى المخاطب ، الاهانة والتحقير).

- لقد جاء التعريف بالأسماء الاشارية محمّلاً بشحنات من المعاني الإضافية والمقاصد والدلالات الفنية التي أتت متلائمة والحال والمقام أبرزها (تمييز المشار إليه أكمل تمييز ، التعظيم والتنويه على علو المنزلة ، الإيجاز وتأكيد المعنى ، التنبيه على جدارة المشار إليه بما بعده من أوصاف التحقير ، التفخيم والتهويل) .
- أوضح البحث أنَّ تعريف المسند إليه بـ (الاسم الموصول) قد أفاد دلالات بلاغية أفرزها سياق الخطاب العلوي أبرزها (التعظيم ، التحقير ، الإشارة إلى نوع الخبر ، التفخيم والتهويل ، إرادة واحد غير معين من الجنس) أمَّا تعريف الخبر بالموصولية فلم يحقق حضوراً كبيراً مفيداً دلالات هي (المدح والتعظيم ، التحقير ،التفخيم الدلالة على بلوغ المسند إليه في الصفة حد الكمال) على حين أفاد تعريف المفعول به بالموصوليه دلالات بلاغية هي (التعظيم أوالتحقير، العموم ، التفخيم والتهويل) .
- أفاد تعريف المسند إليه بـ (أل) دلالات كثيرة أهمها : (استغراق أفراد الجنس ، بيان الجنس ، تعيين واحد بعينه من أفراد الجنس ، الدلالة على حقيقة مراداً بها فرداً مبهما غير متعين ، الاختصاص ، دلالة الكمال في الوصف) وأوضح البحث أنَّ معنى القصر والاختصاص هو الأصل في تعريف الخبر وأنّ باقي المعاني والمقاصد متفرعة عنه .
- أغنى مجيء المسند والمسند إليه معرّفين بالإضافة سياقات الخطاب العلوي بدلالات ومقاصد بلاغية فقد أفاد تعريف المسند إليه (تعظيم شأن المضاف أو المضاف إليه، تحقير شأن المضاف أو المضاف إليه ، الاستغناء عن التفصيل ، التبيين والوضوح) أمّا تعريف المسند (الخبر) فأفاد (التعظيم ، التحقير، التعيين والتخصيص) .
- يمثل التنكير في الخطب العلوية مهيمنا أسلوبيا في مواطن كما في تنكير المسند إليه ؛ لأنّ الأصل فيه أن يكون معرفة ، ولا يمثل في مواطن أخرى مهيمنا أسلوبيا كما في تنكير المسند (الخبر) ؛ لأنَّ الأصل فيه أن يكون نكرة .
- أوضح البحث أنَّ جمل الخطب العلوية جاءت وقد هيمنت عليها ثلاثة أنماط من الفصل هي : (كمال الاتصال ، كمال الانقطاع ، شبه كمال الاتصال) كما تجلى حضور النمط الثالث من الفصل بوضوح في أسلوب الشرط وكذلك في أسلوب الطلب والجزاء .
- تمثل سياقات الوصل في الخطب العلوية ملمحاً أسلوبياً بارزاً ؛ لكثرة ورودها فيه ؛ إذ لا تكاد تخلو منها خطبة من خطبه ، وقد تمثل حضورها في نمطين

هما : (القصد إلى إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي ، والآخر : اتفاق الجملتين خبراً وانشاءاً مع المناسبة في المعنى) أما الوصل بحروف العطف الأخرى فقد جاء بحسب ما تؤديه تلك الحروف من معان ودلالات أثرت النص العلوي .

- كشف البحث عن دلالات الفصل والوصل بين الأخبار والصفات فضلا عن ابرازه دلالة الفصل بين المفردات في مقام التأكيد .

- أبرز البحث أنَّ سياقات الخطاب العلوي أتت في الأغلب الأعم مقيدة. ولعل السبب في ذلك يعود إلى أمرين : أحدهما : كي يتلاءم وحال المتحدث أولاً وهو الإمام (8) ، ونفسية المخاطب ثانيا ، ومقتضى الحال ثالثا .

والآخر : يتمثل في أنَّه شاع في الخطاب العلوي أسلوبان : أسلوب الوعظ والإرشاد وأسلوب المحاججة وهما أحوج ما يكونا إلى هذهِ القيود لغرض اقناع المتلقي من جهة والتأثير فيه من جهة أخرى . كما لاحظ البحث أنَّ لهذه القيود أثراً واضحا في ابراز المعنى وإثراء الدلالة في الخطاب العلوي . وقد جاءت متمثلة بـ (النواسخ ، النفي ، المفاعيل ، الحال ، التمييز ، التوابع ، الشرط ، القصر) فمن دون هذهِ القيود يجيء تركيب الجمل مبهما غير دال على ما كان يهدف إليه البيان العربي .

- أسهمت هذهِ الثنائيات التركيبية في تحقيق الدلالة الصوتية إلى جانب الدلالة المعنوية بما أشاعته في النص العلوي من وقع نغمي جميل يحدث أثره في السمع .

وبعد ، فهذا الذي تقدم وقفة لغوية بلاغية في الخطب العلوية حاولنا من خلالها أن نقول كلمة في هذا النهج البلاغي ودرساً بين دراسات مضت وجديدٍ آت ، فالقول لم ينته بعد في هذا المعين الثرّ والأدب الرفيع ، وحسبي أني أجتهدت وبذلت الجهد طلباً للصواب . ونجدان الكمال في مثل هذه الدراسات صعب المنال وبخاصةٍ في محيط النثر العلوي الذي لم تستجل الأقلام بعد كلّ ما يمكن أن يقال فيه فكراً ومعاني وأساليب وتراكيب وأنا طالب محجّة ولكل مجتهدٍ نصيب والحمد لله ربِّ العالمين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً : الكتب المطبوعة :

ـ أ ـ

- الإتقان في علوم القرآن ، تأليف شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي (ت911هـ) ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ـ لبنان ، (د. ت) .
- أثر النحاة في البحث البلاغي ، د . عبد القادر حسين ، (د.ط) ، دار النهضة مصر للطبع والنشر ، الفجّالة ، القاهرة ، (د . ت).
- إحياء النحو ، إبراهيم مصطفى ، (د. ط) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1959م .
- ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبي حيان الأندلسي (745 هـ) ، تحقيق وتعليق : د. مصطفى أحمد النماس ،ط 1 ، 1984 م .
- أساس البلاغة ، تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت 538 هـ) ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، 1998 م .
- أساليب بلاغية (الفصاحة – البلاغة – المعاني) ، د. أحمد مطلوب ، ط1 ، وزارة الثقافة والاعلام العراقية، بغداد ، 1980 م .
- أساليب المعاني في القرآن ، السّيّد جعفر السيّدّ باقر الحسيني ،ط1 ، مطبعة مؤسسة بوستان كتاب ، قم ، 1428 هـ .
- أساليب النفي في اللغة العربية (دراسة وصفية تأريخية) ،د. مصطفى النحاس ، (د.ط) منشورات جامعة الكويت ، 1979م.
- أسرار العربية ، تأليف عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنبا ري ت(577هـ) دراسة وتحقيق : محمد حسين شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان . 1997 م .
- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، د. مجيد عبد الحميد ناجي (د. ط) ، 1978 م .
- أسلوب التعليل في اللغة العربية ، أحمد خضير عباس ، ط1 ، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . 2007 م .
- إسناد الفعل (دراسة في النحو العربي) ، رسمية محمد المياح ،(د.ط) ، بغداد ، 1965 م
- الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، (د.ط) مكتبة الانجلو المصرية ، (د. ت) .
- أصول البلاغة ، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت679هـ) تحقيق : د. عبد القادر حسين ، ط1، دار الثقافة ، الدوحة ، 1986 م .
- الأصول في النحو ، لأبي بكر بن السراج البغدادي (ت 316هـ) تحقيق : د. عبد الحسين الفتلي ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، 1973 م .

- الإعجاز في نسق القرآن (دراسة للوصل والفصل بين المفردات) ، د. محمد الأمين الخضري ، ط1 ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 1423هـ - 2002 م .
- الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستغربين والمستشرقين ، تأليف خير الدين الزر كلي (ت 1976م)، ط 3 ، (د. ت).
- الألسنية العربية ، د. ريمون طحان ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1972 م .
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، تأليف الشيخ كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت 577هـ) ، ط4 ، دار إحياء التراث العربي ، 1961م .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تأليف الإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري (ت 761هـ) تحقيق : د . محمود مصطفى حلاوي ، ط 1، دار إحياء التراث العربي ـ مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ـ لبنان ، 1418 هـ - 1998 م .
- الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) ، تأليف الخطيب القزويني (ت 739 هـ) ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، 1405 هـ - 1985 م .

ـ ب ـ

- البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت 794 هـ) خرّج حديثه وقدّم له وعلّق عليه : مصطفى عبد القادر عطا ، (د . ط) دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ، 2001 م .
- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ، ابن الزملكاني (ت 651هـ) تحقيق : د . أحمد مطلوب ، د . خديجة الحديثي ، ط1 ، بغداد ، 1974م .
- البلاغة العربية (تأصيل وتجديد) ، د. مصطفى الصاوي الجويني ، (د. ط) ، منشأة المعارف ، 1985.
- البلاغة العربية (قراءة أخرى) ، د . محمد عبد المطلب ، ط1 ، الشركة المصرية العالمية ـ لونجمان ، 1997م .
- بلاغة العطف في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية) ، د . عفّت الشرقاوي ، (د . ط) دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981م .
- البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) ، د . فضل حسن عباس ، ط2 ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمّان ـ الأردن ، 1409هـ - 1989م .
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، د. محمد حسين أبو موسى ، (د . ط) ، دار الفكر العربي ، بيروت (د . ت) .
- بلاغة الكلمة والجملة والجمل ، د . منير سلطان ، (د . ط) ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، مصر ، (د . ت) .
- البلاغة والأسلوبية ، د . محمد عبد المطلب ، (د . ط) ، الشركة المصرية العالمية للنشر القاهرة ، 1984 م .
- البناء اللفظي في لزوميات المعري (دراسة تحليلية بلاغية) ، د. مصطفى السعدني ، (د. ط) ، منشأة المعارف ، (د. ت).

- البنى النحوية ، تأليف : نوم جومسكي ، ترجمة : د. يوئيل يوسف عزيز ، مراجعة : مجيد الماشطة ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1987م.
- بنية اللغة الشعرية ، جان كوهين ، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري ، ط1 ، دار توبقال ، المغرب ، 1986م.
- البيان والتبيين ، عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط 4 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1975م.

ـ ت ـ

- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن ، ابن الزملكاني (ت 651 هـ) ، تحقيق: د. أحمد مطلوب ، د. خديجة الحديثي ، ط1، مطبعة العاني ، بغداد ، 1964.
- التبيان في البيان ، للطيبي شرف الدين حسين بن محمد بن عبد الله(ت743هـ) تحقيق :د. توفيق الفيل ، عبد اللطيف لطف الله، ط1، ذات السلاسل للطباعة والنشر ، الكويت 1406هـ -1986-
- التراكيب الإسنادية ، د. علي ابو المكارم ، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2007م.
- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر ، د. عبد الفتاح لاشين ، (د.ط) دار المريخ للنشر ، دار الجيل للطباعة ، مصر ، السعودية ، 1980م.
- التطور النحوي للغة العربية ، براجشتراسر ، أخرجهُ وصححه وعلّق عليه: د. رمضان عبد التواب ، ط4، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، 1423 هـ ــ 2003م.
- التعبير القرآني ، د . فاضل صالح السامرائي ، (د . ط) ، بيت الحكمة ، جامعة بغداد ، 1987 م .
- التعريفات ، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت 816 هـ)، ط1 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، 2003 م .
- التعريف والتنكير بين الشكل والدلالة ، د . محمود أحمد نحلة ،(د.ط) القاهرة 1999م .
- التعريف والتنكير في النحو العربي ، د . أحمد عفيفي ، (د. ط) مكتبة زهراء الشرق ، 1999م .
- تهذيب اللغة ، تأليف أبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي (ت 370هـ) تحقيق:د.أحمد عبد الرحمن مخيمر،ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان،2004م.

ـ ث ـ

- الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القادر الجرجاني (دراسة دلالية) ، د . دلخوش جار الله حسين دزه يي ، ط 1 ، دار دجلة ، عمان ــ الأردن ، 2008 م .

ـ ج ـ

- الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، د . فاضل صالح السامرائي ، (د.ط) منشورات المجمع العلمي العراقي ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد - العراق ، 1998 م.
- الجنى الداني في حروف المعاني ، صنعة الحسن بن القاسم المرادي (749هـ) ، تحقيق : د . فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل ، ط 1 دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ،1992 م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، السيد أحمد الهاشمي ، ط 12 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، (د . ت) .

- ح -

- الحال في القرآن الكريم (أنماطه ودلالاته) ، د . هادي نهر، ط1 ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء - اليمن ، 2002 م .
- حسن التوسّل إلى صناعة الترسّل ، شهاب الدين محمود الحلبي (725هـ) تحقيق ودراسة : أكرم عثمان يوسف ، (د .ط) دار الرشيد للنشر ، وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، 1980م .

- خ -

- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ) تحقيق : محمد علي النجار ، ط 4 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1990م .
- خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل المعاني) ، د . محمد أبو موسى ، ط 2 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1980م .

- الخطابة ، لأرسطو ، ترجمه عن اليونانية وشرحه وقدّم لهُ : د . عبد الرحمن بدوي ، (د . ط) ، دار الرشيد للنشر ، وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، 1980م .

- د -

- دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث .
- دراسة الصوت اللغوي ، د . أحمد مختار عمر ، ط 1 ، عالم الكتب ، 1976 م .
- دلائل الإعجاز ، للإمام عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) تعليق وشرح : محمد عبد المنعم خفاجي ، (د .ط) ، مكتبة القاهرة ،1976م .
- دلالات التراكيب (دراسة بلاغية) ، د. محمد أبو موسى ، ط 1، دار العلم للطباعة القاهرة ، 1399هـ - 1979م .
- الدلالة الزمنية في الجملة العربية ، د . علي جابر المنصوري ، ط1، بغداد ، 1984م .
- دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان ، ترجمة : كمال محمد بشر ، ط 3 القاهرة ، 1972م .

- ديوان ابن الرومي ، لأبي الحسن علي بن العباس بن جريح ، تحقيق : د . حسين نصار ، (د .ط) ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، 1974م.

- ر -

- رصف المباني في شرح حروف المعاني ، أحمد بن عبد النور المالقي (703هـ) تحقيق : محمد الخياط ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، مطبعة زيد بن ثابت ، دمشق 1975م .

- س -

- السور المدنية ـ دراسة بلاغية وأسلوبية ـ ، د . عهود عبد الواحد عبد الصاحب ، ط1 ، دار الفكر ، عمّان ـ الأردن ، 1419هـ ــ 1999م .

- ش -

- شرح ابن عقيل ، قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت 769هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة المصرية للطباعة والنشر ، صيدا ـ بيروت ، 2002م.
- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك ، تأليف ابن الناظم أبي عبد الله بدر الدين محمد بن الإمام جمال الدين محمد بن مالك (ت 686هـ) ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1420هـ - 2000م .
- شرح التسهيل ـ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، تأليف جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الاندلسي (ت 672هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، وطارق فتحي السيد ، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، 2001م .
- شرح التصريح على التوضيح ، خالد بن عبد الله الازهري (ت905هـ) ، دار إحياء الكتب العربية ، (د . ط) عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، (د ت).
- شرح جمل الزجاجي ، لأبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الاشبيلي (ت 669هـ) ، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه : فواز الشعار ، إشراف : د. إميل بديع يعقوب ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، 1998م .
- شرح الحدود النحوية ، لعبد الله بن أحمد بن علي الفاكهي (ت972هـ) ، دراسة وتحقيق : د. زكي فهمي الآلوسي ، (د . ط) ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ، (د . ت) .
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، تأليف الإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت 761هـ) ، رتبه وعلق عليه وشرح شواهده : عبد الغني الدقر ، ط2 ، الدار المتحدة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1994م .
- شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ، جمال الدين محمد بن مالك (ت672هـ) : تحقيق عدنان عبد الرحمن الدوري ، (د . ط) ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1977م .

- شرح قطر الندى وبل الصدى ، تصنيف أبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الانصاري (ت 761هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط 11، مطبعة السعادة ، مصر ، 1963م .
- شرح كافية ابن الحاجب ، تأليف رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت 686هـ) ، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه : د. إميل بديع يعقوب ،ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، 1998م .
- شرح المفصّل ، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت 643هـ) تحقيق : أحمد السيد سيد أحمد ، راجعه ووضع فهارسه : اسماعيل عبد الجواد عبد الغني ، (د .ط) ، المكتبة التوفيقية القاهرة ـ مصر ، (د . ت).
- شرح نهج البلاغة ، لعز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد (ت 656هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط 1، دار الكتاب العربي ، بغداد ـ العراق ، 2005م .
- شرح نهج البلاغة ، لكمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت679هـ) ، ط 1، منشورات أنوار الهدى ،قم ـ ايران ، 1427هـ .
- شروح التلخيص ، ط 4 ، مؤسسة دار البيان العربي ، دار الهادي ، بيروت ـ لبنان ، 1992م .

ـ ط ـ

- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، تأليف السيد الامام يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني (ت749هـ) ، مراجعة وضبط وتدقيق : محمد عبد السلام شاهين، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، 1415هـ ــ 1995م.

- ع -
- علل النحو ، لابن الوراق أبي الحسن محمد بن عبد الله (ت381هـ) تحقيق ودراسه : د. محمود جاسم الدرويش ، (د .ط) ، بيت الحكمة جمهورية العراق ـ بغداد ، 2002م .
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)، د. صبحي ابراهيم الفقي، ط 1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، 2000م .
- علم المعاني (دارسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني) ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، ط1 ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، 1998م .
- علم المعاني ، تأليف د. مجهد جيجان الدليمي ، د. قيس اسماعيل الاوسي ، السيدة حذام جمال الدين الآلوسي ، (د .ط) ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، 1993م .
- علم المعاني بين بلاغة القدامى وأسلوبية المحدثين ، د. طالب محمد اسماعيل الزوبعي ، (د .ط) ، منشورات جامعة قاريونس ،(د.ط).
- علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) ، أحمد مصطفى المراغي ، راجعه وأشرف على تصحيحه محمود أمين النواوي، ط 6، المكتبة المحمودية التجارية، المطبعة العربية ، مصر / (د.ت) .

ـ ف ـ
- الفروق اللغوية ، تأليف أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت 395هـ) ، علق عليه ووضع حواشيه : محمد باسل عيون السود ،ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، 2003م.
- الفعل زمانه وأبنيته ، د . ابراهيم السامرائي ، ط 2 ، مؤسسة الرسالة بيروت 1980م
- فقه اللغة وسر العربية ، تأليف أبي منصور الثعالبي (ت 429 هـ) ، تحقيق ومراجعة: عبد الرزاق المهدي ، ط1، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ــ لبنان ، 1422 هـ ــ 2002م.
- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن قيم الجوزية (ت 751هـ) ، ط 2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، 1988م .
- في بناء الجملة العربية، د.محمد حماسة عبد اللطيف/ط1، دار القلم، الكويت،1982.
- في البنية والدلالة ـ رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية ، د. سعد أبو الرضا ، (د.ط) ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، (د . ت).
- في التحليل اللغوي ـ منهج وصفي تحليلي ـ د. خليل أحمد عمايرة ، ط1 ، مكتبة المنار ، الزرقاء ـ الاردن ، 1987م .
- في جمالية الكلمة ـ دراسة جمالية بلاغية نقدية ــ ، د. حسين جمعه ، (د ، ط) منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2002م .
- في ظلال نهج البلاغة ، محمد جواد مغنية ، ط 2 ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان ، 1978م .

- في النحو العربي ـ نقد وتوجيه ـ ، د . مهدي المخزومي ، ط 2 ، دار الرائد العربي ، بيروت ـ لبنان ، 1986م .
- في نحو اللغة وتراكيبها ـ منهج وتطبيق ـ دراسات في ضوء علم اللغة المعاصر ، د . خليل أحمد عمايرة ، ط 1، عالم المعرفة ، جدة ، 1984م .

ـ ق ـ

- قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، د . سناء حميد البياتي ط1، دار وائل للنشر ، 2003.

ـ ك ـ

- الكتاب ، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ) تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، ط3 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1988م .
- كتاب الضاعتين ، تصنيف أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، حققه وضبط نصه : د . مفيد قمحة ، ط 2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، 1984م.
- الكليات ـ معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ـ أبو البقاء الكفوي ايوب بن موسى الحسيني (ت 1094هـ) ، (ط2) ، مؤسسة الرسالة ، 1998.

ـ ل ـ

- لسان العرب ، للإمام العلاّمة ابن منظور (630- 711هـ) ، ط 3، دار احياء التراث العربي ، مؤسسة التأريخ العربي ، بيروت ـ لبنان ، 1999م.
- لسانيات النص ـ مدخل الى انسجام الخطاب ـ ، محمد الخطابي ،ط1 المركز الثقافي العربي ، 1991م.
- لمسات بيانية في نصوص التنزيل ، د . فاضل صالح السامرائي ، ط2 ، شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2006م.
- اللسانية التوليدية والتحويلية ، د . عادل فاخوري ، ط 2 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان ، 1988م .
- اللغة ، جوزيف فندريس ، تعريب : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص (د . ط) ، مطبعة لجنة البيان العربي بالقاهرة ،1370 هـ - 1950 م .
- اللغة العربية معناها ومبناها ، د . تمام حسان ، (د . ط) ، دار الثقافة ، 1994م.
- اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز ، ترجمة : د . عباس صادق الوهاب ، مراجعة : د . يوئيل يوسف عزيز ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1987م .
- اللمع في العربية ، تأليف أبي الفتح عثمان بن جنّي (ت 392هـ) ، تحقيق : حامد المؤمن ، ط1 ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1982م .

ـ م ـ

- المثل السائر في ادب الكتاب والشاعر ، ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الاثير الجزري (637هـ) ، حققه وعلّق عليه: الشيخ

كامل محمد محمد عويضة ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، 1998م.
- مجمع الامثال ، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم الميداني (ت 518هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط 2 ، دار الجيل ، بيروت ـ لبنان ، 1987م .
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، تأليف أبي الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ) ، تحقيق : علي النجدي ناصف ، د . عبد الحليم النجار ، د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، (د.ط) ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، 1386هـ .
- مدرسة الكوفة ومنهجها في النحو واللغة ، د . مهدي المخزومي ، (د . ط) ، مطبعة دار المعرفة ، بغداد ، 1955م .
- المطوّل ، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت 792هـ) ، تحقيق : د . عبد الحميد هنداوي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1424هـ .
- المعاني في ضوء أساليب القرآن ، د. عبد الفتاح لاشين ، ط 3، دار المعارف 1978م .
- معاني القرآن ، تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت 207هـ) تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ، محمد علي النجار، ط3، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 2001م.
- معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي ، ط2 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمّان ـ الأردن ، 1423هـ - 2003م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن ، جلال الدين السيوطي (ت911هـ) تحقيق : أحمد شمس الدين ، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1988م.
- مع نهج البلاغة ـ دراسة ومعجم ـ ، د. ابراهيم السامرائي ، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع ، الأردن ، 1987م.
- معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ) ، تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، 1999م.
- المعجم الوسيط ، ابراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، ط2 ، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، استانبول ـ تركيا ، (د , ت).
- المغني في النحو ، الشيخ تقي الدين أبو الخير منصور بن فلاح اليمني النحوي (ت 680هـ) تحقيق وتعليق : د. عبد الرزاق عبد الرحمن أسعد السعدي ، (د .ط) دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 2000م .
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، تأليف الإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري (ت 761هـ) خرج آياته وعلّق عليه : أبو عبد الله علي عاشور الجنوبي ، ط1 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، 2001م .
- مفتاح العلوم ، تأليف أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت626هـ) حققه وقدم له وفهرسه : د . عبد الحميد هنداوي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1420هـ - 2000م .

- المقتصد في شرح الإيضاح ، عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) ، تحقيق : د . كاظم بحر المرجان ، (د .ط) ، دار الرشيد للنشر ، الجمهورية العراقية ، 1982م.
- المقتضب ، تأليف أبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ) ، تحقيق : حسن حمد ، مراجعة : د. إميل يعقوب ،ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان 1999.
- المقرب ، علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (ت 669هـ) ، تحقيق : د . أحمد عبد الستار الجواري ، وعبد الله الجبوري ، (د . ط) ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، لجنة إحياء التراث الاسلامي ، مطبعة العاني ، بغداد ، (د . ت).
- من أسرار اللغة ، د . ابراهيم أنيس ، ط 5 ، مكتبة الانجلو المصرية 1975م .
- مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي (د .ط) ، دار المعرفة ، بيروت ، 1961م.
- من بلاغة القرآن الكريم ، أحمد بدوي ، (د . ط) ، مطبعة نهضة مصر ، الفجّالة ، القاهرة ، (د . ت).
- من بلاغة النظم العربي ـ دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ـ ، د . عبد العزيز عبد المعطي عرفة ، ط 2 ، عالم الكتب ، 1404هـ 1984م .
- منهاج البغاء وسراج الأدباء ، ابو الحسن حازم القرطاجني (ت 684هـ) ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة، (د . ط) دار الكتب الشرقية، تونس، 1966م.

– ن –

- نتائج الفكر في النحو ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت 581هـ) ، حققه وعلّق عليه : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوّض ، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان 1992م.
- نحو الفعل ، د . أحمد عبد الستار الجواري ، (د . ط) ، المؤسسه العربية للدراسات والنشر ، بيروت ـ لبنان ، 2006م.
- نحو المعاني ، د. أحمد عبد الستار الجواري (د.ط) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ــ لبنان ، 2006م.
- النحو الوافي ، عباس حسن ، ط 3 ، انتشارات ناصر خسرو ، قم ـ تهران ، (د ، ت).
- النص اللغوي بين السبب والمسبب ـ دراسة تطبيقية ، د. نهاد فليح العاني ، ط 1، الموسوعة الثقافية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 2007م.
- نظرية اللغة في النقد العربي ، عبد الحكيم راضي ، (د . ط) ، مكتبة الخانجي ، مصر ، (د . ت).
- النكت في تفسير كتاب سيبويه ، تأليف أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري (ت 476هـ) ، قرأه وضبط نصّه : د . يحيى مراد ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان 2005م.

- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين الرازي(ت 606هـ) تحقيق : ابراهيم السامرائي ، د . محمد بركات حمدي أبو علي ، (د . ط) ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمّان ، 1985م.

ـ هـ ـ

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ) ، تحقيق : أحمد شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، 1998م.

ثانياً : الرسائل والأطاريح الجامعية :

- البناء الفني في شعر الحُبّ العذري ، سناء حميد البياتي ، (أطروحة دكتوراه) ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1989م .
- الجملة الفعلية في نهج البلاغة ـ دراسة دلالية ـ ، محمود عبد حمد اللامي ، (رسالة ماجستير) ، كلية التربية ، جامعة القادسية ، 2001م .
- الحذف صوره ودلالاته في كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، هادي شندوخ حميد،(رسالة ماجستير) كلية الآداب،جامعة البصرة، 2004م.
- خطب نهج البلاغة ـ دراسة توصيلية ـ ، فاتن فاضل كاظم العبيدي (رسالة ماجستير) ، كلية التربية ، جامعة بابل ، 2006م .
- المسائل الخلافية في الفضلات من منصوبات الأسماء ، عقيل رحيم اللامي ، (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب جامعة بغداد ، 1998م .
- المظاهر البديعية في خطب الامام علي (عليه السلام) ـ دراسة بلاغية ـ ، حيدر أحمد حسين الزبيدي (رسالة ماجستير) ، كلية التربية ، جامعة ديالى ، 2007م .

ثالثا : البحوث المنشورة في الدوريات :

- الأسلوبية الصوتية ، د . ماهر مهدي هلال ، مجلة آفاق عربية ، كانون أول لسنة 17، 1992م .
- الجملة العربية في ضوء الدراسات الحديثة ، د. نعمة رحيم العزاوي ، كتاب المورد ، دراسات في اللغة ، بغداد ، 1986م
- سورة الدهر ـ قراءة تأملية ـ ، د. بشرى البستاني ، مجلة المورد ، العدد 33 .

Abstract

The subject of the current study is the constructional phenomena in the speeches of *Nahj Al Balaghah* (Plain Course of Rhetoric). It is an applied semantic study in which the researcher has made its application field the endurable text of *Nahj Al Balaghah* of Imam Ali (Peace be upon him) whose sayings are worthy to be invoked because they represent a masterpiece of rich innovative prose going back to the age of protesting and known for its eloquence and rhetoric.

This thesis deals with the constructional phenomena represented by dualities based on contradiction relation which semantics focuses on. It seeks to detect the rhetoric of those phenomena and their artistic and psychological indications according to the rhetorical method based on an applied textual analysis depending on combining between grammatical study and rhetoric semantic study in an attempt to explore the linguistic usages cases of every phenomena and the eloquence values that showed themselves in deviation and straightness.

The study consists of four chapters preceded by an introduction and followed by a conclusion summing up the outcomes of the research and a list of its sources and references.

The first chapter entitled “Advancing and Delaying” has dealt with (advancing the subject (subject of the nominal sentence), advancing the singular predicate before the subject of the nominal sentence, advancing the phrase (the adverb or the preposition and its object) before the subject of the nominal sentence, advancing and delaying *kul* (all), advancing the subject before the verb, advancing the object before the subject, advancing the object before the verb, advancing the phrase before the verb, advancing the phrase before the predicate, advancing the phrase before (the subject and the subject of the passive) and advancing the phrase before the object).

The second chapter is devoted to study (the definite and indefinite). It is distributed in two pivots: the first is about the shapes and indications of the definite and they are (pronoun, proper noun, demonstrative noun, relative pronoun, being definite by the article *al* (the) and being definite by annexation) while the second one is about the indefinite and contains (the indefinite of the subject of the nominal sentence and the indefinite of the predicate).

The third chapter deals with (separation and connection) and contains three pivots: (separation), (connection) and (the indication of separation and connection between predicates and adjectives).

The fourth chapter is devoted to study (expanding and limiting) and contains (revocations, negation, objects, circumstantial phrase, specification, appositions, condition and restriction).

The study is concluded with the following conclusions:

- The researcher has noticed that the remarkable thing in the Alawi address is the special language used in it which is characterized by its being well woven and magnificently written in a way that makes it bear the spirit of its author.
- The research shows that the language of the Alawi text is a specifically expressive of the intellectual and spiritual content of Imam Ali (pbuh).
- The first chapter manifests the variety of indications in the linguistic use of duality of advancing and delaying.
- The research explains that advancing the singular predicate before the subject of the nominal sentence does not occur in the Alawi address but twice and in one pattern that is of advancing the predicate of (cané) before its subject.
- The researcher has viewed that the indication of advancing the predicate (preposition and its object) before the subject of the nominal sentence is not limited in specialization only as most rhetoricians think it is but it differs and varies according to the variety in the occasions of speech.
- The research shows that advancing the object before its subject in the context of negation is often used as an indication of care and interest in the advanced word and it is often used in beseeching Allah, talking about His divine features and in thanking Him or in praying.
- The subject has come definite by (pronoun) and the focus in the Alawi address is on the third person, then the first and the second in a way that comply with the requirements of the Alawi address.
- The research demonstrates that presenting the subject definite by (proper noun) exposes specific indications, the most remarkable of which are: glorification, degradation and optimism while presenting the predicate definite by (proper noun) does not occur in the Alawi address except in few examples.
- Being definite by demonstrative pronouns has come loaded with additional meanings, intentions and artistic indications that comes harmonized with the situation and occasion.

- The research explains that making the subject of the nominal sentence definite by (relative pronoun) has stated rhetoric indications extracted from the context of the Alawi address while making the predicate definite by (relative pronoun) do not have frequent occurrence in the context of the Alawi address.
- Presentation of both the subject of the nominal sentence and the predicate as definite by (annexation) has enriched the contexts of the Alawi address with rhetoric indications and intentions.
- Making the noun indefinite in the Alawi address represents a dominant style at some points such as making the subject of the nominal sentence indefinite because it is originally definite. Making the noun indefinite in other points such as making the predicate indefinite does not represent a dominant style because it is originally indefinite.
- The research shows that the sentences of the Alawi speeches have been dominated by three types of separation (perfection of connection, perfection of breaking and semi perfection of connection). The connection contexts in the Alawi address represent an outstanding stylish feature because of their so many occurrence that we can hardly find a speech that does not have it. As for the connection by the other conjunctions, it comes according to the meanings and indications they perform that enrich the Alawi text. In addition, the research advances rhetoric indications of separation and connection between predicates and adjectives.
- The research manifests that the contexts of the Alawi address has often come restricted and the reason for that may be attributed to two things: the first is to be coordinated with the situation of the addresser who is Imam Ali (pbuh), the second is the psychology of the addressee and the third is the situation.
- The research shows that there are two prevalent styles in the Alawi address: the first is preach and guidance style and the second is argument style. Those two styles are in need of those restrictions and without them the construction of the sentence will be vague and will not refer to what the Alawi eloquence is aiming at.

Praise to Allah, the Lord of all that be

Ministry of Higher Education
And Scientific Research
Baghdad University/
Faculty of Education (Ibn Rushid)
Arabic Department

Constructional Phenomena in the Speeches of Nahj Al Balaghah (Plain Course of Rhetoric): Applied Semantic Study

A Thesis Submitted
By
Hassan Hadi Noor Taj-al-Deen Al-Husseiny

To the Council of First Faculty of Education (Ibn Rushid)/ Baghdad University as a Partial Fulfillment to the Requirements of PhD Degree of Arabic and Its Arts/ Rhetoric.

Supervised by

Prof. Dr. Qahtan Rasheed Al-Timimy
Prof. Dr. Uhood Abdul-Wahid Abdul-Sahib Al-Iqaily

2010A.D. 1431H.